الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الرابعة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤١ هـ
أذار-نيسان-أيار ٢٠٢٠م

٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤

كلمة الوعي

لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام العالمي الجديد

وهي وحدها المنقذة...

النظام الدولي الحالي...
هل يصيب فيروس كورونا منه مقتلًا؟

ترجمات معاني القرآن الكريم: كيدٌ خفيٌّ للقضاء على مرجعية كتاب الله — ص ١١١

الأمة قريبة من حسم الصراع مع الغرب — ص ٥٨

قدرة الإسلام على قيادة البشرية — ص ٤٢

شعوب العالم يفتقدون لتعاليم الإسلام لإنقاذهم من فيروس كورونا — ص ١٣٨

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

٤٠٢
٤٠٣
٤٠٤

السنة الرابعة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان١٤٤١هـ
آذار-نيسان-أيار ٢٠٢٠م

المحتويات

• بين يدي العدد ٤

المحور الأول

• كلمة الوعي: النظام الدولي الحالي... هل يصيب فيروس كورونا منه مقتلًا؟، لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام الدولي الجديد، وهي وحدها المنقذة... ٨

• حزب التحرير... سنته في التغيير وإقامة الخلافة هي ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾. ١٦

• فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م. ٢٦

• أميرَ الركبِ بايعناكَ طوْعاً (قصيدة). ٤٠

المحور الثاني

• الإسلام وقدرته على قيادة البشرية، وحل أزماتها التي ولدتها الرأسمالية الفاشلة. ٤٢

• طاقات الأمة الكامنة وافرة للتغيير المنشود. ٥٣

• الأمة قريبة من حسم الصراع مع الغرب. ٥٨

• عودة الخلافة (قصيدة). ٦٣

المحور الثالث

• ما لا يعذر المسلم بجهله من الإسلام. ٦٦

• البيان المبين في إقامة دولة الإسلام والتمكين. ٧٤

• في ذكرى هدم الخلافة... دولة قرار تظلُّك، لا دويلات عار تذِلُّك. ٨١

• ومن ينصر الإسلام كان هو البطلْ (قصيدة). ٨٤

ثمن النسخة

لبنان	٦٠٠٠ل.ل.
اليمن	٩٠ ريال
تركيا	٣$ أميركي
باكستان	٣$ أميركي
أستراليا	٧,٥$
أميركا	٧,٥$
كندا	٧,٥$
ألمانيا	٧,٥ يورو
السويد	٤٥ كرون
بلجيكا	٣ يورو
بريطانيا	٣ يورو
سويسرا	٦ فرنك
النمسا	٣ يورو
الدانمرك	٤٥ كرون

المحور الرابع
• أين هم العلماء والأحزاب والحركات الإسلامية من مقاومة الهجوم على الإسلام؟ ٨٦
• العلماء الربَّانيون يبلغون رسالات ربهم، ولا يخشون أحدًا سواه. ٩٣
• فارس الإسلام الإمام العابد المجاهد السّرْمَاري. ٩٧
• البعض قال دعوا السياسة جانبًا (قصيدة). ١٠٠
المحور الخامس
• الدور المشبوه لوسائل الإعلام في الصراع بين مشروع الأمة التوحيدي ومشروع الغرب التفتيتي. ١٠٢
• مراكز الفكر والمؤسسات البحثية الأميركية ودورها في الهيمنة على العالم والحرب على الإسلام والمسلمين (١) ١١٠
• المديونية وسياسة الغرب في الاستعمار ١١٩
• في معادلة الحرب الأميركيّة على الإسلام...ترجمات معاني القرآن الكريم: كيدٌ خفيٌّ للقضاء على مرجعية كتاب الله. ١٢٧
• الإسلاموية: نموذج الغرب الكافر للمسلمين الذي يتبناه ويدعو إليه أردوغان. ١٣٩
• دَارَت بِنا دُوَلُ الأَيَّامِ يا رَجَبُ (قصيدة). ١٥٢
المحور السادس
• فيروس كورونا... المسلمون وشعوب العالم يفتقدون لتعاليم الإسلام لإنقاذهم منه. ١٥٤
• أجوبة أسئلة واستفسارات حول مرض كورونا من حزب التحرير. ١٥٦
• شيء من أخبار طاعون عمواس. ١٦١
المحور السابع
• أخبار المسلمين في العالم. ١٦٤
• مع القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ ١٦٩
• رياض الجنة: أحاديث الرسول ﷺ عن الأوبئة والحجر الصحي... وحي سبق العلوم البشرية. ١٧٥
• بحجة كورونا يريدون تعطيل شعائر العبادة في رمضان ١٧٨
• كلمة ثانية: أزمة فيروس العالمية: الغرب ينتبه إلى أحقية تعاليم الإسلام. ١٧٩
• غلاف ثانٍ: خبراء: لن يبقى العالم كما هو بعد انتهاء الأزمة. ١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي العدد

يأتي هذا العدد الخاص لهذه السنة من الوعي، ودول العالم وشعوبه يعيشون وضعًا مخيفًا واحدًا سبَّبه فيروس كورونا القاتل الـمَهين الذي لا يكاد يبين، مهددًا البشرية بالفناء نصفها، أو ثلثها، أو ربعها، متحديًا حضارة الغرب بالذات حيث أصاب بالدرجة الأولى أكابر مجرميها، أميركا ودول أوروبا ومعهما الصين، كاشفًا زيفها وسوء أنظمتها على كل الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ حيث بدت أمام هجومه أنها حضارة خاوية على عروشها، وأنها على شفا جرف هار، وتنتظر أن تنهار... وهذا ما صرح به رؤساؤهم والهلع يملأ رؤوسهم أن ما بعد كورونا ليس كما قبله: (الغارديان: تدمير الإنسان للطبيعة سبّبَ وباء «كوفيد-١٩» ٢٠٢٠/٠٣/٢١م) (الصحف البريطانية: «خلال ٧ أيام «كورونا» قلب العالم والدول الكبرى انهزمت» ٢٠٢٠/٠٣/٢٢م) وصارت مثل هذه العناوين (ميلاد نظام عالمي جديد...) (إعادة تشكيل النظام العالمي الحالي...) (كوفيد-١٩ يغير وجهة القيادة العالمية ويرسم شكلًا جديدًا من العولمة...) وغيرها من مثلها هي العناوين التي تشغل بال العالم وتثير همه وعليها يتركز نظره... وقد جاء تصريح كبير دهاقنة السياسة الأميركية الثعلب المخضرم كيسنجر ليؤكد هذه الأجواء وبشكل مبكر، داقًّا ناقوس الخطر، معلنًا (جائحة كورونا ستغيّر النظام العالمي للأبد).

هذا ما كانت تركز عليه مجلة الوعي من قبل وما زالت، وقد صدَّق الواقع كل ما كانت تقوله من أن المبدأ الرأسمالي الغربي قد أثبت فشله، والبشرية تفتش عن بديل حضاري صالح لقيادتها، وهي ما زالت في مقولتها تزيد على تصريحات مسؤولي الغرب بالقول: إن إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هو التغيير الكوني القادم، والنظام الدولي المنتظر سيكون إن شاء الله بقيادتها، وإن غدًا لناظره قريب.

في هذا الإطار، جاءت مقالات الوعي في هذا العدد الخاص مقسَّمة على ما يشبه المحاور، المحور الأول يتناول مواضيع تثبت هذا التوجه الذي تبشر به الوعي منذ أمد بعيد.. فكلمة الوعي الأولى بعنوان (**النظام الدولي الحالي... هل يصيب فيروس كورونا منه مقتلًا؟. لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام الدولي الجديد، وهي وحدها المنقذة...**) تبحث كيف أن الحضارة الغربية صارت خطرة على البشرية وحتى على أهلها، وأنه يجب البحث عن بديل، وأن انتشار الأوبئة والطواعين على مَرِّ التاريخ كان يترك بصمته الواضحة في ذهاب ممالك وقيام ممالك، وأن الحضارة الغربية لو كانت قوية لهزمته، ولكنها ضعيفة مهترئة وقد كشفها هذا الفيروس وعرَّاها أمام شعوب العالم فازداد وضعها سوءًا، وأن العالم اليوم يعتبر خاليًا من أي

طرح حضاري منافس للغرب سوى الإسلام، وأن أميركا والصين ستتنافسان، ولن يسفر تنافسهما عن تغيير جذري للعالم، ليس أكثر من عالم ثنائيِّ القطبية (أميركا والصين)... إذًا لا تغيير حقيقي إلا بـ «**خلافة راشدة على منهاج النبوة**» وسيكون خيرها للمسلمين ولغيرهم. وكما كان الفيروس من الله سبحانه وتعالى فسيكون العون على النصر من الله سبحانه وتعالى... أما الموضوع الثاني في هذا المحور هو بعنوان: (**حزب التحرير... سنته في التغيير وإقامة الخلافة هي** ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾) وهو يتناول أن عمل الحزب في التغيير هو كعمل الرسول ﷺ والأنبياء من قبله، ويبين أنه اليوم على بعد قرن من هدم الخلافة مذكرًا بحديث الرسول ﷺ «**إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**». ومؤكدًا أنه قد مر بسنّة الأنبياء في حمل الدعوة والتي هي سنة واحدة من التكذيب والتعذيب والإشاعة والاستضعاف وقلة النصير وتباطؤ النصر... ويبين كيف أن خطوات التأسي بالرسول ﷺ قد استكملت، وإننا نظن أنفسنا على أبواب النصر التي مفاتيحها بيد الله وحده، ولا يفتحها إلا هو، وإننا ندعوه مخلصين له الدين أن ينصرنا ويكشف الغمة عن هذه الأمة بمنِّه وإحسانه إنه على ما يشاء قدير... ثم ذكرنا مقالًا بعنوان: (**فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م**) بشكل يعطي صورة حية عن وجود حزب قد أصبح رقمًا صعبًا في التغيير، ويغطي مساحة عمل تطال الأمة الإسلامية جمعاء حاملًا لها الأمل والخلاص، ثم أنهينا هذا المحور بقصيدة بعنوان: (**أمير الركب بايعناك طوعًا**).

ثم انتقلنا إلى محور تدور مواضيعه حول أن الإسلام يملك القدرة على قيادة البشرية، وأن طاقات الأمة الكامنة هي وافرة للتغيير المنشود، وأن الأمة قريبة من حسم الصراع وخاصة بعد أن زالت كل الأقنعة الزائفة، والثورات كانت هي الدليل والبرهان، وختمت بقصيدة (عودة الخلافة). أما عناوين مقالات هذا المحور: (**قدرة الإسلام على قيادة البشرية**) (**طاقات الأمة الكامنة وافرة للتغيير المنشود**) (**الأمة قريبة من حسم الصراع مع الغرب**) ثم قصيدة بعنوان: (**عودة الخلافة**)

ثم انتقلنا إلى بيان العلم الشرعي مذكرين المسلمين بما لا يعذرون بجهله مما هو واجب عليهم في إقامة الدين، ومبينين حكم وجوب اتباع طريقة الرسول ﷺ في التمكين، وإقامة الدين، وداعين المسلمين إلى دولة الخلافة التي تظلُّهم والتخلي عن دويلات العار التي تذلهُّم، أما عناوين مقالات هذا المحور فجاءت على الشكل التالي: (**ما لا يعذر المسلم بجهله من الإسلام**) (**البيان المبين في إقامة دولة الإسلام والتمكين**) (**في ذكرى هدم الخلافة... دولة قرار تظلُّك لا دويلات عار تذِلُّك**) وختم المحور بقصيدة بعنوان: (**ومن ينصر الإسلام كان هو البطلْ**).

ثم انتقلنا إلى وظيفة العلماء الربانيين الذين تفتقدهم الأمة وذكرنا مثلَ صدقٍ وسلفَ خيرٍ لهم وهو الإمام السرماريُّ الذي كان شيخ البخاري (رحمهما الله) كعالم رباني عابد مجاهد. أما

عناوين مقالات هذا المحور فجاءت على الشكل التالي: (**أين هم العلماء والحركات الإسلامية من مقاومة الهجوم على الإسلام؟**) (**العلماء الربَّانيون يبلغون رسالات ربهم، ولا يخشون أحدًا سواه**) (**فارس الإسلام الإمام العابد المجاهد السّرْمَاري**) ثم ختمنا بقصيدة بعنوان: (**البعض قال دعوا السياسة جانبًا**).

ثم انتقلنا إلى محور تتناول مواضيعه مختلف المواضيع التي تبين كيد الغرب لهذه الدعوة التقية النقية التي تبغي رضى ربها وحده وكانت عناوينها المفهمة على الشكل التالي: (**الدور المشبوه لوسائل الإعلام في الصراع بين مشروع الأمة التوحيدي ومشروع الغرب التفتيتي**) (**مراكز الفكر والمؤسسات البحثية الأميركية ودورها في الهيمنة على العالم والحرب على الإسلام والمسلمين**) (**المديونية وسياسة الغرب في الاستعمار**) (**في معادلة الحرب الأميركيّة على الإسلام...ترجمات معاني القرآن الكريم: كيدٌ خفيٌّ للقضاء على مرجعية كتاب الله**) (**الإسلاموية: نموذج الغرب الكافر للمسلمين الذي يتبناه ويدعو إليه أردوغان**) وختمنا بقصيدة بعنوان: (**ودارت بنا الأيام يا رجب**).

ثم أضفنا محورًا يحاكي ما يشغل العالم اليوم، ألا وهو فيروس كورونا، وورد في هذا المحور الكيفية التي يرعى الإسلام فيها شؤون الناس ويحفظ حياتهم ومصالحهم تحت وطأة الأوبئة والطواعين، فكان الموضوع الأول بعنوان: (**فيروس كورونا... المسلمون وشعوب العالم يفتقدون لتعاليم الإسلام لإنقاذهم منه**)، **كما أحببنا أن نعيد نشر أجوبة أسئلة وردت لأمير حزب التحرير حفظه الله حول فيروس كورونا لأهميتها، تحت عنوان: (أجوبة أسئلة واستفسارات حول مرض كورونا من حزب التحرير)، وختمنا المحور بشيء من تاريخ المسلمين والصحابة الأولين في وباء أصابهم نقلًا من كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وحمل المقال عنوان: (شيء من أخبار طاعون عمواس).**

ثم انتقلنا إلى المحور الأخير بأبوابه الثابتة وهي: أخبار المسلمين، ومع القرآن الكريم، ورياض الجنة، ومقالة قصيرة بعنوان (بحجة كورونا يريدون تعطيل شعائر العبادة في رمضان) وختمنا العدد كالعادة بكلمة ثانية، وغلاف ثانٍ.

وختامًا، يمكن القول إن مجلة الوعي هي عمل من أعمال حزب التحرير الصالحة، ونسأل الله أن يصل ما يكتبه إلى العقول فيوقظها وإلى القلوب فيحييها، ويكون غرسه مثمرًا وخيره منتشرًا، وأجره لا ينقطع. ونسأل الله من كل قلوبنا أن يحفظ أميرنا ويمدَّه بالصبر والإيمان والسكينة والسلوان، وأن يجزيه عن هذه الدعوة وعنا خير الجزاء، وأن يقرَّ عينيه وأعيننا بالنصر المؤزَّر... إنه خير مسؤول وخير مجيب.

ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . ■

المحور الأول:

لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام الدولي الجديد، وحزب التحرير هو حامل لواء الخلافة المنشودة...

- **النظام الدولي الحالي... هل يصيب فيروس كورونا منه مقتلًا؟، لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام الدولي الجديد، وهي وحدها المنقذة...**
- **حزب التحرير... سنته في التغيير وإقامة الخلافة هي** ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.
- **فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.**
- **أميرَ الركبِ بايعناكَ طوْعاً (قصيدة).**

النظام الدولي الحالي... هل يصيب فيروس كورونا منه مقتلًا؟
لا بديل عن الخلافة الإسلامية لقيادة النظام الدولي الجديد،
وهي وحدها المنقذة...

فيروس كورونا وتاثيره على النظام الدولي الجديد:

اجتاح فيروس كورونا دول العالم مهددًا دوله وشعوبه، مخترقًا مدنه وقراه، مالئًا مستشفياته التي غصت بالمصابين والتي عجزت عن استقبالهم، مسجلًا أعلى نسب وفيات شبيهة بنسب الوفيات في الحروب... مصيبًا شركاته ومؤسساته بالجمود، ومهددًا الدول الصناعية بالركود، ولم يفرق بين سياسيٍّ ولا عسكريٍّ ولا مدنيٍّ، ولا غنيٍّ ولا فقير، ولا كبير ولا صغير، ولا دولة غنية ولا دولة فقيرة؛ بل هو كان من دول الغرب وأميركا أقرب؛ فلم يستطع هذا الغرب، بالرغم من كل تقدمه العلمي والتكنولوجي والتقني والعسكري الهائل أن يوقفه ويمنع انتشاره؛ وغيَّر كثيرًا من أنماط الحياة فيه فأصبحت الشوارع والشركات والمطاعم والأماكن السياحة ودور العبادة فارغة... وكثرت التحليلات حول ما إذا كان وراءه يد دولة مجرمة عابثة نشرته في إطار صراعها الدولي أم هو فيروس أتى طبيعيًا... وبعثت سرعة انتشاره التفكيرَ القلِق من المستقبل كيف سيكون، وأطلق العنان للقول بأن ما بعد كورونا سيكون غير ما قبلها، وكثرت التحليلات التي تتناول مختلف التغيرات الاقتصادية والسياسية والدولية التي من الممكن أن تتأثر جراء هذا الوباء متخوفة من عواقبه... وتحدثت وسائل الإعلام عن حدوث مشكلات بطالة هائلة ما سيؤدي إلى اختلال أوضاع الناس المعيشية وإفلاس الشركات الكبرى، وما سيدفع الدول إلى التدخل لتصحيح هذا الخلل من ميزانياتها... والحاصل أن هناك خللًا عالميًا يتوقعون له أن يغير نمط الحياة فيها بشكل واضح؛ وهذا ما دفع بعض المسؤولين السياسيين في أوروبا إلى القول إنه أخطر وضع يشهده العالم الغربيُّ بعد الحرب العالمية الثانية. ولعلَّ أكثر ما يلفت النظر هو صدور تحليلات وتنبؤات تشير إلى توقع حدوث تغيير النظام الدولي، أو تغيير في النظام الدولي. ومن عناوين هذه التحليلات: (فيروس كورونا: هل يؤدي تفشي الوباء إلى ميلاد «نظام دولي جديد»؟ - بي بي سي عربي) (فيروس كورونا: ما بعد الجائحة لن يكون كما قبلها - بي بي سي عربي) (كورونا ربما

يعيد تشكيل النظام العالمي - فورين أفيرز) (هل يعيد فيروس كورونا تشكيل النظام العالمي؟ - عربي٢١) (كورونا وتشكّل نظام عالمي جديد - النهار اللبنانية)... ومن ثم نشر مقال لوزير خارجية أميركا الأسبق هنري كيسنجر بصحيفة وول ستريت جورنال يدق فيه ناقوس الخطر معلنًا أن «جائحة كورونا ستغيّر النظام العالمي للأبد» مضيفًا: «الحقيقة هي أن العالم لن يكون كما كان بعد الفيروس التاجي».

إن مثل هذه المقالات والتحليلات، إن دلت، فأول ما تدل عليه هو أن النظام الدولي الحالي يعاني من كثير من المشكلات والأزمات المزمنة على كافة الصعد السياسية والاجتماعية والمالية والسياسية من قبل ظهور فيروس كورونا. ولو كان هذا النظام الدولي في عافية ومناعة لواجهه، ولما كان هناك من داعٍ لهذا التخوُّف، ولما كان من سبب لإطلاق مثل هذه العناوين... في الحقيقة، إن النظام الدولي الحالي يعاني من أزمة وجود؛ لذلك أطلقت هذه التحذيرات.

تأثير الجوائح في التاريخ بتغيير أنظمة دولية

وقبل أن نتناول مدى إمكان أن تؤدي تداعيات هذا الفيروس إلى تغيير النظام الدولي، فإننا سنعود إلى التاريخ لنرى بأنه قد حدث لمثل هذه الجوائح الكبيرة أن فعلت فعلها في الدول والأنظمة كما تفعل الحروب وأكثر، وأنها فاقمت الأزمات بالنُّظُم الهَرِمَة اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وأطاحت بها، وأنها سرَّعت في تغيير موازين القوى الدولية، فقدَّمت وأخرَّت، ويذكر هنا أن القائمين على الأوضاع قد يقعون في سوء التصرف الذي يجعل من آثار هذه الأزمات مضاعفًا ما يعجل في قلب الموازين... وفي هذا المجال، ومن وحي فيروس كورونا هذا، فقد نشرت الواشنطن بوست مقالًا في ٢٠٢٠/٠٤/٠٩م بعنوان: **(١٠ أوبئة أشد فتكًا عبر القرون أعادت صياغة العالم)** وقد جاء في المقال: «ويُنبئنا التاريخ أن الأوبئة السابقة أعادت صياغة العالم على نحو شامل بعد أن قضت على مئات الملايين من البشر، وتسبَّبت في انهيار إمبراطوريات، وتصدع حكومات، وإبادة أجيال بأكملها».

وكمثال على ذلك، نأتي على ذكر ما عرف في التاريخ بطاعون جستنيان عام (٥٤١م-٥٤٢م)، (نسبة إلى جستنيان الأول، الذي كان إمبراطورًا في وقت تفشي المرض لأول مرة) وكان قبل ولادة سيدنا محمد ﷺ بثلاثين عامًا، وهو وباء أصاب الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية) وخاصة عاصمتها القسطنطينية، وكذلك الإمبراطورية الساسانية والمدن الساحلية حول البحر الأبيض المتوسط بأكمله؛ حيث كانت السفن التجارية تؤوي الفئران التي تحمل البراغيث المصابة بالطاعون، وقيل إنه قضى على ٤٠٪ من سكان القسطنطينية وما بين ١٣٪و ٢٦٪ من سكان العالم، وهو قد زلزل العالم وأوهن كلًا من الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية اقتصاديًا وسكانيًا

وعسكريًا، وكان عاملًا مهمًا في اختلال موازين القوى الدولية وصولًا إلى انهيار القطبين الدوليين (البيزنطي والساساني) على أيدي الفاتحين المسلمين.

ويذكِّر هذا الواقع بيوم بعاث الذي وصفته أم المؤمنين عائشة ﷺ فقالت: «**كان يوم بعاث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ، وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، في دخولهم في الإسلام**». فقبل أن يقيم النبي ﷺ دولته في المدينة، دارت حرب قوية بين قبيلتي الأوس والخزرج، قتل فيها زعيميهما، زعيم الأوس حضير الكتائب بن سماك والد الصحابي الجليل أُسَيْد بن حضير، وزعيم الخزرج عمرو بن النعمان البياضي. وكان لمقتل هذين الزعيمين، فرصة عظيمة للنبي الأكرم ﷺ؛ ما أدى إلى أن يستلم الزعامة أبناءهم من الشباب، ولأن يقبل هؤلاء الدخول في الإسلام ونصرة الرسول ﷺ؛ بعد أن قضت هذه الحرب على أشراف القوم الذين كان من المتوقع معارضتهم للرسول ﷺ، وهؤلاء كان من السهل أن يظهر منهم من يريد أن يستمع للنبي الكريم، وهو ما حدث بالفعل.

خشية الغرب من تغيير فيروس كورونا للنظام الدولي الجديد:

لهذا السبب خشي الغرب من تداعيات هذا الفيروس الدولية؛ خاصة وأن النظام الدولي الحالي الذي تسيطر عليه الحضارة الغربية بقيادة أميركا قد وصل إلى حالة الإفلاس، وتتكلم كثير من الأقلام عن فشله وضرورة تغييره؛ من هنا يمكن القول إن فيروس كورونا هذا قد أصاب جسد الحضارة الرأسمالية الغربية أكثر مما أصاب الأجساد البشرية. وبما أنه يصيب من المعمرين البشر مقتلًا؛ فإنه ليتوقع أن يصيب من هذه الحضارة الهرِمة مقتلًا. ونحن في مجلة الوعي، أكثر ما تناولنا هذا الموضوع في مقالاتنا، وأعلنا أنه قد آن أوان زوال الحضارة الغربية وقدمنا شواهدنا من الواقع، وأنه قد آن أوان قيام دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وبسطنا شواهدنا من الشرع. وإن هذا الفيروس قد أحيا نفوسًا كثيرة من المسلمين عندما رأَوا أن مخلوقًا من مخلوقاته المَهينة يتحدى اللهُ سبحانه وتعالى به جبروتَ حضارة لا ترحم، يتحدَّاها بكل ما توصلت إليه من تقدم علمي وتكنولوجي وتقني وطبي وعسكري وثقافي... ومع أنه لا يوجد أدلة دامغة على أن هذا الفيروس مصنَّع إلا أن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة فهذا الفايروس جعل المسلم والكافر يقول إنه لا يكشفه عنا إلا الله، أما الكافر ففطرة، وأما المسلم فإيمانًا. حتى ترامب، وأنظمة الحكم في أوروبا تحولوا إلى التعامل الإيجابي مع الدين الإسلامي كردة فعل أمام هذا الفيروس إقرارًا منهم أنه فوق قوتهم وقدراتهم.

نعم، لقد طغى الغرب وتجبَّر وعتا عتوًا كبيرًا، وتوطَّنَ في نفوس بعض مفكريهم وسياسييهم استعلاء وجبروت القرون التي أهلكها الله من قبل. ففي كتاب (التنوير الآن) لمؤلفه ستيفن

بينكر يذكر: «إننا نعيش اليوم أفضل حالة بشرية، والسبب في ذلك أنّنا استطعنا التغلب على الكثير من الأمراض والمجاعات، ووصلنا بالإنسان إلى مستوى من الوعي والتواصل والرخاء والحالة الإنسانيّة الراقية لدرجة غير مسبوقة تاريخيًا». وكذلك تنبَّأ «يوڤال هاراري بأنّ «الإنسان الجديد (الهوموديوس) هو متألهٌ باعتبار أنه استطاع أن يهزم كل قواعد الضعف التي أحاطت بالبشرية، وأنّه قد اقترب أكثر من أي وقتٍ مضى نحو الخلود التام» وقد اعتنق هذه النزعة عدد كبير من العلماءِ الغربيين. وكتاب (نهاية التاريخ) لفوكاياما يصبُّ في هذا الإطار. نعم، لقد جاء هذا الفيروس ليكشف وهم هذه القوة ويفضح وهنهم، وليذكرنا بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فليتصور المسلم، وغير المسلم، كم عند الله من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

بيد أنه من حيث الواقع، ومن باب المفارقة، فإننا نرى أن هذا الاستعلاء الفكري كانت سماؤه غير أرضه. فعلى الأرض، ومن الناحية الاجتماعية تعاني الشعوب الغربية اضطرابًا اجتماعيًا كبيرًا في حياتها... ومن الناحية الاقتصادية تعاني الدول الصناعية الكبرى عجزًا ضخمًا في ميزانياتها، وتواجهها مصاعب مالية خطيرة وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨م، ويتوقعون انفجارًا في الوضع المالي يكون امتدادًا لسابقه وأخطر منه بكثير؛ لذلك لم تدخل هذه الدول المواجهة مع «كورونا» من موقع قوة... والاستنتاج أنه لن تخرج أي دولة من الأعضاء سالمة من هذا الوباء الصحي، لا اجتماعيًا، ولا اقتصاديًا، ولا ماليًا. ومن المتوقع أن ينتهي عام ٢٠٢٠م بحالة من الكساد وتفشي البطالة وحدوث خسائر في الإنتاج تتراوح ما بين ٢ إلى ٢,٣ تريليون دولار كما يذكرون؛ وهذا سيدفع الدول الغنية إلى إنفاق التريليونات التي سبق وسرقتها من دول العالم الأخرى وتوزيعها على مواطنيهم ليأمنوا من الوصول إلى أي خلل مجتمعي أو فوضى أمنية. ويذكر هنا أن مفاعيل الطواعين المميتة قد تخمد لسنوات ثمّ تستعيد نفوذها وتأثيرها وقتلها للبشر، وهذا ما حدث في الطواعين السابقة فقد كانت تأتي وتذهب لسنوات حتى تحصد الملايين.، وهذا ما يجعل الاقتصاد في الدول في حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار، وهذا مؤذٍ جدًا في تحقيق حالة نمو في اقتصادات تلك الدول.

كل هذا من ثمرات الحضارة الرأسمالية المرَّة حتى على أهلها... نعم، ستستفيق أنظمة الدول الغربية بعد كورونا وتستعيد الكوابيس التي رأتها في منامها عن تداعيات هذا الفيروس عليها وعلى حضارتها البائسة، وسيستفيق الناس وقد خسروا أموالًا كثيرة جدًا، المطاعم والمقاهي وقطاع السياحة وقطاع الطيران والقطاعات الخدماتية الكبرى والموظفين المؤقتين والعمال المستقلين ومن ليس لديه قدرة مالية على الاستمرار، وستستفيق الشركات الكبرى على حالة

من الركود الاقتصادي العالمي... ما سيؤدي إلى تفاعلات اجتماعية وسياسية خطيرة ستعاني منه الولايات المتحدة الأميركية، وستكون المعاناة الاقتصادية الأكبر أوروبية... وكلما تمكنت الدول الغربية المصابة من إيجاد العلاج بسرعة فإنها ستخفف من هذه التداعيات وتحصرها ويكون أسهل عليها التغلب عليها.

الحضارة الغربية مقبلة على الزوال مع كورونا ومن دونه:

إنه ليس من المبكر القول إن الحضارة الغربية مقبلة على الزوال، ولكن من المبكر القول إن انهيارها سيكون على يد كورونا. إن أزمة كورونا ليست هي أزمة صحية عالمية فحسب، بل هي أزمة تولد أزمات: أزمة اقتصادية عالمية كما ذكرنا، وستكون أزمة ثقافية بالدرجة الأولى، فقد رأينا نظرة هتلر وستالين إلى البشر في تصرفات حكام الغرب؛ حيث كان الضعيف والمعمّر يقتل، كما رأيناه اليوم في كوريا الشمالية عندما قتلوا الضعفاء في المستشفيات كي لا تتكفل الدولة بعلاجهم، وكانت إيطاليا قد نشرت وثيقة لمركز (SIAARTI) فيها توصيات للأطباء بأن تمنع المريض الذي يزيد عمره عن ٦٥ سنة من الدخول إلى المستشفى، حتى لو كانت لديه أعراض سيئة أخرى غير فيروس الكورونا «فيترك ليموت» وذلك بسبب الأعداد المحدودة جدًا من أجهزة التنفُّس الصناعية، والدافع لتلك التوصية كان دافعًا ماديًا بحتًا إذ الشاب عنصر منتج والكبير في السن مستهلك، وشتّان ما بينهما في الحضارة الغربية. وهذه النظرة للإنسان متعلقة بنظرته عن الحياة، متعلقة بالثقافة السائدة في هذه المجتمعات. وهذه الثقافة ليست جديدة على التفكير الأوروبي المادي المستشري والذي لم يغب عنهم منذ القديم. فقد ذكر في كتب التاريخ عن الطاعون الذي اجتاح أوروبا، بأن السلطات كانت تأمر بإغلاق بيوت المرضى عليهم عندما يعلم أن فلانًا قد مرض، فيغلق البيت بالطين والحجارة على المريض لكي يموت ولا تنتقل العدوى منه، فيبقى ميتًا داخل بيته... وكم تختلف هذه النظرة عنها في الإسلام. وهذا مما يستدعي القول إن العالم يحتاج حاجة ضرورية لنظام آخر مختلف من شأنه أن يخرج الناس من هذه الحالة السيئة إلى حالة أخرى ينعم فيها بالاستقرار وبالحياة الطيبة، وليس ذلك إلا في الإسلام.

إن العالم قد يجتاز أزمة فيروس كورونا؛ ولكنه من الصعب أن يجتاز تداعياته، والسبب في ذلك أنه توجد قبل كل شيء أزمة حضارة ومفاهيم ووجهة نظر عن الحياة ومقاييس للأعمال يجب أن تتغير ... وتداعيات هذه الأزمة هي من عوارضها، فما لم يحلَّ السببُ الأساسيُّ فستبقى العوارض تظهر بأشكال مختلفة. نعم، لقد كثرت الأزمات في هذا النظام الرأسمالي البائس، ويمكن لكل أزمة منها بمفردها أن تزلزل النظام الدولي بما يغير توازن القوى. والمهم هو معالجة السبب وليس نتائجه.

إن العصر الرأسمالي الذي نعيشه اختلت فيه كل العلاقات: علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره من البشر، وتجاوزت ذلك إلى علاقته بالطبيعة، فبسبب الاختلال والجشع الهائل الذي اجتاح البشرية أصبحت الحياة فيها غير قابلة للاستمرار على كل صعيد، وأصبحت الحياة غير معقولة وغير قابلة ولا قادرة على الاستمرار. فما قيل عن الحرائق في أوستراليا، وقبلها الحرائق التي أطاحت بجزء كبير من الأمازون إن رئة الكرة الأرضية تَفسد، فهذه الغابات تنتج الأوكسجين اللازم للكائنات الحية بما فيها الإنسان، واحتراقُها كان بسبب التغيُّر المناخي وهو مظهر آخر للجشع الإنساني واللهاث المحموم خلف سراب النمو الاقتصادي المتواصل الذي لا يزيد البشرية إلا معيشة ضنكًا وسوء عاقبة، ولا يمنحها إلا التعاسة والشقاء. وبالتالي فالأوكسجين الذي يفسد والمناخ الذي يتغير والكوكب الذي يتضرر يعود علينا مرة ثانية على شكل أمراض وأوبئة ومجاعات وفقر وفيضانات وأعاصير وحرائق وتصحُّر... ويرى روبن نيبليت، مدير معهد تشاتام هاوس، أن فيروس كورونا «قد يكون القشة التي قصمت ظهر البعير للعولمة الاقتصادية». لقد كفرت الشعوب بهذا النظام الاقتصادي الرأسمالي المتوحش الذي لا يرحم، والذي يسيطر فيه أقل من ١٪ من البشر على ما يعادل أملاك نصف سكان الكرة الأرضية... لقد كفرت بالعولمة والتجارة الدولية واتفاقات التجارة الحرة، وأصبح التغيير لديها ضروريًا ضرورة البقاء والاستمرار في الحياة... وهذا الكلام أول ما يتعلق بالفكر الأساسي القائم عندهم على (فصل الدين عن الحياة) وبوجهة النظر القائمة على تحقيق الشركات والدول لمصالحهم ولو على حساب شعوبهم وشعوب الأمم الأخرى.

نعم، من المتوقع العثور على اللقاح لهذا الفيروس، وسيصور ذلك أنه انتصار للديمقراطية، وستعود المنافسة على أشدها، ولن يتغير شيء حقيقي سوى الالتفات إلى الرعاية الصحية وإيلائها اهتمامًا أكبر... هذا بالنسبة للفيروس. أما بالنسبة إلى التنافس الدولي فمن المتوقع أن يشتد أكثر، وتحديدًا بين أميركا ومعها أوروبا وبين الصين ومن معها. وقد بدأت ملامح الصراع تظهر من الآن بالاتهامات المتبادلة بالمسؤولية عن تفشي الفيروس. ويبدو أن تشكيل المسرح الدولي قد بدأ، وسواء أكان للصين يد في الأمر أم لم يكن، فإن الاتهام سيلقى عليها من باب شيطنتها تمامًا كما فعلت أميركا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي بالعمل على شيطنة الإسلام ووصفه بالإرهاب على مدى العقود الأربعة الماضية، فهل ستتحوَّل بوصلة الشيطنة إلى الصين الآن، وعندها لن يكون العالم قد استفاد شيئًا مما حدث، بل استعر الصراع لتمنع أميركا الصين من منافستها على المسرح الدولي، أي منع العالم من أن يصبح ثنائي القطبية... على هذا الفهم للمسرح الدولي الذي سيكون عليه، وهو أن صراعًا سياسيًا دوليًا سيتقدم إلى المربع الأول من المواجهة، بين أميركا والصين، فإنه لن يتغير شيء، وسيبقى العالم على ما هو عليه من حاجة ماسة إلى مبدأ جديد، ومفاهيم جديدة.

الحضارة الإسلامية هي الصالحة للتغيير وتنتظر إقامة دولة إسلامية لتأخذ دورها في الحياة

إن من أهم حسنات هذا المخاض العسير الذي تمر به دول العالم وشعوبها اليوم هو أن صراعًا دوليًا سينشأ بين أميركا والصين، فأميركا ستتهم الصين بأنها وراء الفيروس وتريد أن تقاضيها وستجر العالم معها لتحاصرها وتجعلها مكبَّلة عن المنافسة... وإن الحقيقة الوحيدة التي يمكن أخذها من كتابات الغربيين هي أن النظام الدولي هو فعلًا في حالة إفلاس وعلى حافة الانهيار... وبالتالي استمراره لا يعني سوى المزيد من الأزمات، ولأنهم لا يملكون البديل الذي يريدونه فهم سيكتفون برقع ما يُفتَق من هذه الحضارة حتى يتسع الفتق على الراتق ويضطرون إلى أن يأتي البديل بالقوة أو ما يعرف بصراع الحضارات، وهذا هو المتوقع. ولعمر الحق متى كان يأتي البديل من غير صراع سياسي وفكري؛ فهل يتصور أحد أن الغرب سيقول للعالم أن حضارته فاشلة والإسلام هو البديل عنها، حتى ولو كان عندهم اقتناع بشيء من هذا فلن يفعلوا إلا ما فعلوه سابقًا، إنهم نصارى يسكنهم مزيج من رأسمالية متوحشة ويؤثر بهم يهود من ماسون ماكرين متخفين... إن أمر الله إذا جاء، فلن يأتي إلا مغالبة، ولن يوقفه لا غرب ولا شرق، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

نعم، إن العالم أصبح في أمس الحاجة لنظام دولي جديد، وقبله لحضارة جديدة، وإلا سيتعرض لمزيد من مآسٍ هي أشد فتكًا من فيروس كورونا. وعندما نقول إن النظام العالمي يجب أن يتغير، فمعناه أن الحاجة ماسة عند كل البشر لنظام جديد أي لقيادة فكرية جديدة وليس لقيادة سياسية جديدة دون أن يكون هناك قيادة فكرية جديدة.

هذا الحديث عن التغيير الكوني المرتقب، إذا كان يشكل حاجة وضرورة عند غير المسلمين، فهو بالإضافة إلى ذلك يمثل فريضة شرعية عند المسلمين. فالله سبحانه عندما أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، إنما أرسله ليكون ظاهرًا على الدين كله، أرسله للناس كافة ليكون شاهدًا عليهم حتى قيام الساعة. صحيح أنه سبحانه جعل رسوله الكريم خاتم الأنبياء؛ ولكنه سبحانه جعلها من بعده خلافة راشدة على منهاج النبوة، وفرض على المسلمين إقامتها واستمراريتها حتى تكون قوَّامة على الناس بالحق، شاهدة على البشرية جمعاء إلى يوم القيامة... وهذا هو وقت الحاجة الماسَّة إليها، سواء من المسلمين أم من غيرهم. هذا هو وقت أن يقال للناس أجمعين أن الله هو خالقكم ومدبر أمركم، أن نقول لهم إن حياتكم غير منقطعة عن آخرتكم، أن نقول لهم إن الله خلقنا وإياكم وجميع الخلق لنعبده، وإن الآخرة هي دار القرار... لنقول لهم مقولة الإسلام في الدعوة إلى الله. نقول ذلك ونحن ندرك أن الشعوب الغربية هي قطعًا غير حكامها، إنها القطيع الذي يديره حكامه الذئاب. إنها ضحية حكامها والمتسلطين عليها. وقد أمرنا الشرع أن ننظر إلى

الشعوب غير نظرتنا إلى الحكام، فالشعوب تفتش عن الحل وتطلبه من الحكام وهم لا يزيدونها إلا ضلالًا، ونحن وحدنا الذين نملك الحل لنا ولهم وللناس أجمعين؛ ومن هنا نجد أنه في الوقت الذي يشنُّ فيه حكام الغرب حربهم على الإسلام، فإننا نرى أن شعوبهم تدخل في الإسلام.

إن للمسلمين مشروعهم الحضاري الذي تفتش عنه شعوب الغرب والعالم أجمعين، وهو إقامة دولة الخلافة الراشدة التي تقوم بمهمتها الشرعية من إقامة الحياة المبنية على الصلة بالله بتسييرها بحسب أوامره ونواهيه، ومراعاة تحقيق كل القيم الروحية والإنسانية والخلقية والمادية في الحياة والتي تبنى السعادة فيها على التقوى... مشروعهم الذي ينقذون به أنفسهم والبشرية جمعاء، في الدنيا والآخرة، فلا خلاص إلا به. وهم لهم وعد من الله سبحانه بإقامته غير مشروط بزمان ولا مكان وذلك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ ولهم بشراهم من رسولهم الكريم وعدًا غير مكذوب أنه آتٍ بعد هذا الحكم الجبري الذي يجثم على صدور المسلمين بقوله ﷺ: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**» وبعد هذا العصر الرأسمالي الذي يسيطر على الكرة الأرضية وذلك بقوله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض مشرقها ومغربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**» إن لله دعوة الحق، وقد آن أوان ظهورها

وفي الختام، نقولها بالفم المليان والقلب العامر بالإيمان بجميل وعد الله إن العالم لن يصلح إلا بنظام دولي جديد، ولا يملكه أحد من هؤلاء الذين يقودون العالم إلى الخراب. وإن فيروس كورونا هو بداية إعلان لنهاية الحضارة الغربية التي استنفذت كل أهدافها فقرًا وجوعًا وحروبًا واستغلالًا وإفقارًا وإضلالًا... وما عليها إلا الرحيل لتفسح المجال أمام نظام دولي جديد يحمل الخير للبشر. قال تعالى: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾.

نعم إن الاسلام القادم هو وحده الحل الذي تبحث عنه البشرية، وربما تكون الأوضاع الجديدة مناسبة له أكثر من أي وقت مضى، وربما جاء الوضع الأخير كتدخل رباني ليؤذن بالتغيير، فالأمر كله بيد الله... ويسألونك متى هو، قل عسى أن يكون قريبًا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب التحرير... سنته في التغيير وإقامة الخلافة هي

﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾

أحمد المحمود

إن قيام **حزب التحرير** امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ إنما كان بعد أن درس الواقع الذي تعيش فيه الأمة، ووجد أن الغرب قد فرض على الأمة أن تعيش بعيدًا عن التحاكم بالإسلام، (هدم دولة الخلافة، وقسمها إلى دويلات، وفرض على كل منها دساتير الكفر لتتحاكم إليها في حياتها، مبقيًا لها من الإسلام ما يتماشى مع فهمه للدين القائم على الفصل عن الحياة وهو، أي الغرب، من أجل أن لا تعود الأمة إلى ما كانت عليه من أمة واحدة، وخليفة واحد، وبلاد موحدة، ونظام حياة واحد، فرض عليها مناهج تعليم الإسلام على طريقته، وحرص على تخريج علماء يفهمون الإسلام فهمًا ناقصًا مختلفًا عن طريقة فهم الإسلام بشكل صحيح، وهذا ما حدث وأدى بالتبع إلى أن يعمَّ هذا الفهم الناقص والمختلف بين المسلمين...

القرن الذي قام فيه حزب التحرير هو قرن تجديد آن أوانه:

نعم، إن **حزب التحرير** بعد هذه الدراسة، وهذا الإدراك لواقع عيش المسلمين، وجد أن الواجب الشرعي على المسلمين الذي يعيد الأمور إلى نصابها الشرعي الذي يرضي الله سبحانه هو إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة، على غرار الخلافة الراشدة الأولى التي كانت الوريث الشرعي للرسول ﷺ في الحكم، والتي تقيم أحكام الدين كلها في الحياة، وتعيد وحدة الأمة ووحدة الدولة، وتجعل المسلمين يفهمون دينهم فهمًا صحيحًا قائمًا على العبودية لله وحده، وعلى تعبيد الناس له سبحانه وحده، ويعيشون على ذلك... وهذا الفهم يعني فيما يعنيه القيام بعملية تجديدٍ للدين، وبعثٍ جديد له. وهذا يذكرنا بحديث الرسول ﷺ: «**إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**».

هذا وقد ذهب العلماء باتجاهين في تحديد القرن:

الاتجاه الأول، قدره بعدد سنوات على أقوال، أرجحها ما ذهب إليه الأمام أحمد رحمه الله الذي جعلها مئة سنة؛ حيث قال: «ليس هناك ما يثبت أنّ القرن مئة سنة أكثر مما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام بما رواه عبد الله بن بسر عندما وضع الرسول يده عليه، فقال: «**وضعَ رسولُ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ - يدَه على رأسي فقالَ يعيشُ هذا**

الغلامُ قَرنًا» فعاش مئة سنة. والناظر في الوقت الذي هدمت فيه الخلافة وهو سنة ١٣٤٢هـ ونحن اليوم في سنة ١٤٤١هـ، يرى أن الأمة قد قاربت القرن في عيشها خارج الحكم بما أنزل الله.

الاتجاه الثاني: لم يقدره بعدد وإنما بحالة؛ حيث ذهب إلى أنّ القرن لا يُقدّر بالسنوات، فقد نقل الواحدي عن الرازي أنّ القرن هو الفترة التي يجتمع فيها قوم معيَّنون في زمن معين ويفترقون بالموت وينتهي زمنهم، ثم يأتي من بعدهم أقوام آخرون ويُشكِّل كل قوم قرنًا... إنّه يدل على عصر معين فإذا انقضى العصر سُمّي قرنًا. وهذا يتوافق مع ما استعمله القرآن للفظ القرن، فقد سمَّى سبحانه الأمم التي سبقت وحاربت رسل الله في دعوتهم إلى الحق بالقرون؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ ويمكن القول إنّ القرن في القرآن الكريم هو القوم الذين يجتمعون في مكان واحد وزمان واحد، وجمعه قُرون، كما يطلق على الزمان، أو على العصر مهما طال وقته.

وجمعًا بين الاتجاهين بالنسبة إلى واقعنا نرى بأنه فيما يتعلق بالأمة الإسلامية، فقد مضى عليها ما يقارب المئة سنة هجرية من هدم دولة الخلافة، وهذا يناسب الاتجاه الأول في تحديد القرن بالفترة الزمنية، فعسى أن يكون الأمر كذلك، والعلم عند الله.

وهنا يجدر القول: إن الواقع الذي نعيش فيه هو عصر الحكم الجبري، في نهايته، وتحديدًا في مرحلة الانتقال إلى عصر الخلافة الراشدة الثانية التي تكون على منهاج النبوَّة الوارد في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وفيه: «**... ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»... ويمكن القول إن الله سبحانه شاء أن يكون عمل **حزب التحرير** في التغيير قائمًا على هذا الأساس، ونسأل الله أن نكون في الحزب كما ذكر الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وأحمد عن معاوية قال: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». ففي ذلك إكرام للحزب وأي إكرام، وإكرام للأمة التي ستكون معه في إحقاق الحق ونشر الدين.

أما بالنسبة إلى الاتجاه الثاني المتعلق بالحالة، وهي سيطرة الرأسمالية على دول العالم وتحكمها في كل مفاصل الحياة فيها، أي العصر الرأسمالي، فإننا نلحظ أنه قد استنفذ أهدافه، وبان فساده وضرره حتى أضحى يشكل خطرًا عظيمًا على العالم أجمع بمن فيه أهله، وجعل جميع الناس، مسلمهم وكافرهم، يشعرون أن هذا المبدأ في آخر أجله، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يقول ابن كثير في تفسيره: «ولكل أمة (أي: قرن وجيل) أجل، فإذا جاء أجلهم) أي: ميقاتهم

المقدر لهم) لا يستأخرون ساعة (عن ذلك) ولا يستقدمون». ويقول القرطبي في تفسيره: «وأجل الموت هو وقت الموت، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله». ويقول الطبري: «ولكل أمة أجل: ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رُسل الله، وردِّ نصائحهم، والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم «أجل» يعني: وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونـزول المثُلات بهم على شركهم، فإذا جاء أجلهم، أي: فإذا جاء الوقت الذي وقّته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، يقول: لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا، ولا يُمَتَّعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم...».

عمل حزب التحرير في التجديد:

ثم إنَّ عمل الحزب في تجديد الدين يقتضي منه أن يكون، في فهم الإسلام وفي الدعوة إليه، على ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**». من هنا وجد الحزب أن الأمة تحتاج إلى إحداث نهضة فيها، فطرح مشروعه للتغيير متلمسًا إعادة الأمة إلى ما كانت عليه زمن الرسول ﷺ، وحتى يحقق ذلك، كانت البداية أن يطرح فهمه للإسلام على ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين، خير القرون، الرسول وصحبه، وأن يسير كما سار رسول الله ﷺ في مكة من أجل إقامة الدولة الإسلامية كالتي أقامها الرسول في المدينة؛ ليصل إلى تطبيق الإسلام في الحياة وجعل حياة المسلمين قائمة على العبودية لله وحده، وحمل الدعوة للعالمين عن طريق الجهاد الذي يفتح الله به البلاد وقلوب العباد؛ ويَظهر فيه الإسلام على الدين كله... وهكذا يكون تجديد الدين.

وعليه، فإن تجديد الدين اقتضى من الحزب أن يعمل على إعادة النقاء إلى فهم العقيدة الإسلامية لتعود كما كانت زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام فأقامها الحزب على الأدلة القطعية (العقلية منها والنقلية) وجعل العقيدة الإسلامية هي الأساس لكل تصوُّر فكري عن الحياة، والمسيِّرة لأعمال المسلم، والضابطة لأقواله، والناظمة لإشباع غرائزه. وأبعد عنها التأثر بالفلسفة اليونانية من علم الكلام في صفات الله، والقضاء والقدر، والهداية والضلال... وأزاح الغشاوات عن مفهوم الرزق والأجل والروح والروحانية... وكذلك اقتضى التجديد من الحزب إعادة النقاء إلى أصول الفقه وإبعاد المنطق عنها، وحصر مصادر التشريع بأربعة فقط هي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة دون غيره من الإجماعات، والقياس الشرعي المستند إلى النصوص الشرعية فحسب، ثم بنى ثقافته الفقهية اللازمة لعمله عليها كمصادر، وعلى القواعد الشرعية وكان منضبطًا بها، فما تبنَّى

حكمًا إلا وذكر طريقة استنباطه له مراعيًا بناء الشباب عليها. ولئن كانت العقيدة الإسلامية تقوم على عبادة الله وحده دون إشراك؛ فقد كان ما تبنَّاه الحزب من أصول للفقه هو الضابط المحقق لفقه يحقق هذه العبودية تمام التحقيق، من غير تأثر بالظروف ولا سير بحسب المصلحة، ولا أخذ لأحكام الأمر الواقع، وإنما بحسب الشرع حصرًا؛ بحيث يكون الشرع وحده هو مصدر التفكير حصرًا، والواقع هو موضع التغيير وليس العكس. ووضع كتبًا فكرية راقية وأخرى سياسية لازمة له في عمله، وضبطَ عمله بنظام إداري صارم ليمنع تشرذمه وانشقاقه، وهذا أمر في غاية الأهمية. فكانت فكرة التبني، والجزئية الحزبية، والطاعة، والثقة بالأمير، والبر بالقسم... هي من الأمور اللازمة شرعًا للحفاظ على وحدة الحزب؛ بحيث لا تتم هذه الوحدة إلا بها. والتي لولاها لكان الحزب أثرًا بعد عين. ولما استطاع أن يستمر طيلة هذه الفترة، بل هو استمر بها، وكان استمراره بها مثار إعجابِ حتى الأعداء. إن هذا الذي نذكره من التزام للحزب بطريقة الرسول ﷺ في الوقت الذي هو مثار فخر لنا، كان للأسف مثار استهجان واتهام عند الآخرين من حملة الدعوة والعاملين في التغيير، واتهام طريقتنا بالطريقة الخشبية التي لا تراعي الظروف، وتعيش في النص وتغفل عن الواقع، ولا تعتبر المصلحة... ومن يقارن ما عليه الحزب من فهم للإسلام وما كان عليه المسلمون الأوائل يجد أن هناك تماثلًا يطمئن إلى صحة الاقتداء، ويطمع برضى الله ونصره،

بهذا الفهم للإسلام، وبهذا السلوك لطريق الرسول ،ﷺ يكون القرآن وسيرة الرسول ﷺ قد رسما معالم الطريق للحزب، وحدَّدا ما سيواجه دعوته من صنوف الشدة. وهذا الفهم لعملية التغيير تفرَّد بها الحزب، ولا يزال، وعلى من يريد أن يحكم على عمل الحزب، فعليه أن يقيسه على دعوة الرسول ﷺ، وليس على دعوات الآخرين. ومن خلال الانضباط والتقيد الشرعي البعيد عن التأثر بكل ما ليس بشرع.

أما بالنسبة لسلوك الحزب لطريقة الرسول ﷺ لإقامة الدولة الإسلامية، فإن سلوكها جعله يقوم بمثل ما قام به الرسول ﷺ من أعمال كانت ملزمة في حقه، وجعله يمرُّ بنفس ما مرَّ به مع صحابته الكرام من مرحلة التثقيف التي جعل فيها أصحابه ينضجون على الإسلام وتتحفز نفوسهم للجهر به... ومرحلة التفاعل بكل ما فيها من تكذيب وتعذيب وتغريب وإشاعة وحصار... والصبر على كل ذلك، والتي جعلت فكر الدعوة ينتشر ويؤثر، وجعل القائمين عليها تتأهل شخصياتهم ليكونوا رجال دولة وحملة دعوة على طريقة الصحابة رضوان الله عليهم ... وهذا ما مرَّ به الحزب فعلًا وما يزال، وهذا ما جعل الحزب بمسؤوليه وشبابه يشعرون بأنهم بسيرهم هذا يعيشون بفترة مشابهة: فكريًا ومشاعريًا وعمليًا ونضجًا وشعورًا بالمسؤولية تجاه المسلمين والناس أجمعين، لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام في مكة، يصيبهم ما أصاب الرسول ﷺ والأنبياء من قبل من عنَت ومشقة...

سنة حزب التحرير في التغيير هي سنة

الأنبياء من قبله:

نعم، لقد شاء الله لنا أن نكون أولئك الذين يحملون هم إقامة أمر الله على طريقة الرسول وأنبيائه، وشاء سبحانه أن نمر بنفس ما مروا به من ابتلاءات من تكذيب وتعذيب وإخراج وإشاعة واستضعاف وسنة تأخير للنصر... وهنا يمكن القول إن هذه الدعوة إن لم تمرَّ بما مر به الأوائل فهي لن تحقق هدفها وعليها أن تراجع نفسها. ونحن لو عدنا إلى القرآن لوجدنا أن دعوة الرسول، كما الأنبياء، صلوات الله عليهم جميعًا، قد أصابها حالات واحدة تكررت لديهم أجمعين، من استضعاف المؤمنين وقلَّتهم، واستكبار الكفار وجبروتهم وإجرامهم وإيذائهم للمؤمنين. وتكرُّرها يجعلها سنَّة لازمة تصيب كل الدعوات الحقة التي تريد إخراج الناس من الظلمات إلى النور. ولما ربطها القرآن بالنصر جزاء على الصبر عليها، كان لا بد من المرور بها حتى يتحقق هذا النصر. ومن هذه المواصفات اللازمة:

- **سنَّة استضعاف المؤمنين وقلتهم واستكبار الكافرين وربط ذلك بالنصر من الله تعالى للمستضعفين:** لقد ذكَّر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأن من قبله من الأنبياء مرُّوا في حالة من القلة والاستضعاف وقلة النصير واستعلاء واستكبار الكافرين وربط ذلك بمنَّة النصر من الله سبحانه؛ حيث قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وقال سبحانه محققًا النصر لموسى ومن معه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ وعن شعيب وقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وكم ترددت مثل هذه الآية في العديد من السور بحق مختلف أقوام الأنبياء الذين استكبروا في الأرض بغير الحق وكان عاقبة أمرهم خسرًا، فقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ...﴾ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ...﴾ ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾. وكلُّنا قد قرأ كيف أن الرسول ﷺ قال في ذروة استضعافه «**اللهم إني أشكو إليك ضَعف قوَّتي وقِلَّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي! إلى مَن تَكلُني؟! إلى بعيدٍ يتجهَّمُني؟!، أم إلى عدوٍّ ملَّكتَه أمري؟!، إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ، فلا أبالي...**». ثم إن الله سبحانه أنزل في المدينة مذكِّرًا النبي ﷺ ومن معه من المسلمين يوم كانوا في مكة مستضعفين فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فاتِّباع طريقة الرسول والأنبياء هي بنفسها تقصد أن توجد هذه الحالة لأنها تولد الصبر، وعدم التخلي عن الدين تحت أي ظرف، وتساهم في بناء أهل الإيمان، وتجعلهم يتخلون عن حظوظ الدنيا،

فالنفس المريضة تستهويها القوة على الحق، والخوف على الحياة. وبمثل هذه الصفات تخرج خير أمة للناس... ثم لو نظرنا إلى الآية لوجدنا أنها تربط حالة الاستضعاف بالنصر ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ ﴿فَعَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾، وهذا الربط يجعل هذه السنة لازمة للنصر.

- سنَّة التكذيب والتعذيب والإيذاء وربط ذلك بالنصر من الله تعالى على الصبر عليه: من يقرأ القرآن يجد أن أنبياء الله تعالى ورسله، بمن فيهم رسولنا الكريم، فضلًا عن تعرضهم للسبِّ والشتم والاستهزاء من قبل أعدائهم، والدعاية السيئة ضدهم، ومن ذلك قولهم عن سيدنا محمد: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ وعن نوح ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ وعن موسى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ وعن هود: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾... هم كذلك قد تعرضوا للتكذيب والإيذاء، وربط ذلك بالنصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كذلك فقد رُوي عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تَستنصر لنا؟! ألا تَدعو لنا؟! فقال: «**قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصدُّه ذلك عن دينه، واللهِ ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا اللهَ، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»

- سنة البأساء والضراء وربطها بالنصر: إن لله سبحانه وتعالى كان يصيب الأمم التي كانت تأتيهم رسلهم لتبلغهم دين الله بسنة البأساء والضراء لعلهم يتضرعون، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ وعن ربط هذه السنة بالنصر قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

- سنَّة الإخراج من البلد وربطه بالنصر: قال تعالى عن الأنبياء السابقين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال عن رسولنا الكريم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

- سنَّة تأخير النصر: وعن هذه السنَّة وربطها

بالنصر، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾. ووصف الرسول للصحابي خبَّاب بن الأرتّ الذي سأله أن يطلب من ربه النصر، وصفه بالاستعجال بقوله له: «**ولكنكم تستعجلون**».

لا شك أن في تأخير النصر اختبارًا للمؤمنين وليتعلموا حسن الالتجاء إلى الله، وحسن التوكل عليه، فلو كان الطريق إلى النصر سهلًا لسار فيه الناس أجمعون ولذهب سريعًا كما أتى سريعًا، وكما قال الشاعر:

ومن أخذ البلاد من غير حرب يهون عليه تسليم البلاد

بل يؤخر الله سبحانه النصر ابتلاءً لعباده، وتمحيصًا لهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ لكن تأخير النَّصر يبيِّن لنا أهلَ الإيمان من غيرهم. فأهل الإيمان ثابتون، وعليهم ينزل نصر الله عز وجل. فهؤلاء أمامهم مهمة كبرى تنتظرهم وهي قيادة البشرية جمعاء قيادة رشيدة؛ من هنا كان النصر معقودًا من الله للمؤمنين الذين يسيرون على خطى رسولهم، ويمرون بسنن الدعوة التي مرَّ بها. وهذه السنن الماضية في كل دعوة حق من لدن آدم وحتى قيام الساعة، حتى لا تكون مصدر تشكيك لدى المؤمنين بعملهم، وحتى تكون مصدر ثقة بها، فقد ذكرها القرآن تثبيتًا للرسول ﷺ، وهي تثبيت وموعظة وذكرى لنا من بعده، قال تعالى:

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. وفي هذا المقام يقول الإمام ابن القيم الجوزية، رحمه الله: كلامًا عميق المعنى بعيد الأثر: «فمن ظنَّ بأن الله لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده، ويؤيد حزبه، ويعليهم، ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالةً مستقرةً، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته؛ فإنَّ حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظنَّ به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته»

وهنا نذكر أن الاستخلاف كما هو مربوط بما عليه المؤمنون من مواصفات، هو كذلك مربوط بما عليه الكافرون من معاندة وقطع كل حجة لهم يوم القيامة. فالله سبحانه يريد أن يقيم الحجة على الكافرين بعد أن تأتيهم دعوة الرسل، فقد جعل الله سبحانه موعدًا للكفار بالهزيمة، كما جعل موعدًا للمؤمنين بالنصر. وهذا يجب حسابه عند المؤمنين، كما يجرون الحساب على أنفسهم. ففي الوقت

الذي يحاسب المؤمنون أنفسهم على الطاعة والالتزام وعدم الحيد عن أمر ربهم ومراجعة أنفسهم وأحكام طريقتهم... حتى يستحقوا النصر. فكذلك الكفار هناك حجة يجب أن تقوم عليهم، وعندما يصل الكافرون إلى حد من استضعاف المؤمنين وظلمهم والصد عن الدعوة وتكذيبها والإشاعة على أصحابها بالتطرف والإرهاب والجمود... وعندما يصلون إلى حالة يشعرون معها أنهم قابضون على الأمر بحيث أنه لا يمكن أن يفلت من قبضتهم، وعندما يصلون إلى حالة أنهم قد صموا وعموا وأنهم لن يؤمنوا... عندها تقام الحجة عليهم، ويأذن الله بالاستخلاف؛ وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. وهذه الآية الأخيرة تبين أن الاستخلاف للمؤمنين جاء بعد وصف الله سبحانه وتعالى لحالة الكفار الذين يواجهون الدعوة أنهم وصلوا إلى حالة من الظلم، والإياس من إيمانهم، ومعاداتهم للدعوة والقائمين عليها حتى تكون عندهم هي العدو الأول... عندها يأتي نصر الله. أما متى يحدث هذا؟ ومتى يأتي نصره تعالى فلا يعلم ذلك على الحقيقة إلا الله. أما المؤمنون فيعلمونه على التقريب. وفي هذا يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وهكذا نرى أن الله تبارك وتعالى شاء أن يبتلي رسله وأنبياءه ومن تبعهم بصنوف الأذى والشدائد لتمحيصهم، ورفع درجاتهم، وإقامة الحجة على أعدائهم، وليكونوا قدوة للدعاة والعاملين من بعدهم، ولتتضاعف أجورهم وتتكامل فضائلهم، ويميز الله فيها الخبيث من الطيب، ويسقط فيها من يسقط ويثبت فيها من يثبت، هذا الثبات هو الذي سيساعدهم على أن يصبحوا مؤهلين للنصر وما بعده، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

هذا التاخر هو سنة الله في الدعوات، ونحن لسنا أمام تجارب بشرية للتغيير والإصلاح، وإنما هو التزام وتقيُّد بأمر الله من ألفه إلى يائه. ففي حال التأخر، على القائمين بالعمل أن يقوموا بإعادة النظر بما عندهم؛ فإذا تمت مراجعة ما عندهم وتقليب الرأي فيه، ومن ثم لم يجدوا شيئًا... فقد برئت ذمتهم أمام الله، وليس لأحد عليهم أمام الله حجة فيما يقومون به، وما عليهم في هذه الحالة إلا الصبر: الصبر على الالتزام بما عندهم وعدم الحيد عنه، والصبر على لأواء

العمل. عندما تكون خطوات السير منضبطة بعمل الرسول ﷺ ومُدرَك كيف أنها تؤدي إلى النصر؛ بحيث لا يكون هناك فجوة أو فراغ في الطريق، أو انقطاع في العمل لا نعرف بعده كيف نحقق هدفنا الأخير بالنصر، أو لا نعرف أين وصلنا، ولا كيف نكمل المسير... عندها يمكن الاطمئنان أننا نسير على بصيرة من الله، ونعلم أنه قد أصابنا ما أصاب الرسول ﷺ من سنة تأخير النصر، كل ما في الأمر أن النصر قد طال، وهناك صعوبات حقيقية في العمل ومحاصرة جدية تؤخر الظهور. وبالمختصر، هناك سنَّة يجب أن تبلغ أجلها...

هكذا يجب أن يكون حساب العمل ومقياسه وميزانه. وهذا الميزان سيختلف عند من لا يرى من المسلمين أن طريق العمل هو نفس طريق الرسول ممن يبنون ثقافتهم الإسلامية من المعاهد الشرعية التي تعلم الإسلام على طريقة الغرب في فهم الدين، فهؤلاء لن يكون مقياسهم وميزانهم وبالتالي حكمهم على ما وصلت إليه الدعوة من قرب نصر متوافقًا مع الشرع ، بل للأسف سيكون متوافقًا مع مقاييس الغرب في تحقيق النتائج.

وفي الختام، يلاحظ أن الحزب قد قطع مراحل العمل وقام بالأعمال المطلوبة منه شرعًا وما يزال. وها هي الأمة قد أصبحت جاهزة لقيام دولة الإسلام فيها، وهذا هو الغرب يخشى من ظهور الخلافة، ويجعل من محاربتها الآن حجر الزاوية في علاقاته الخارجية. وليس ذلك فحسب، بل إنه يتوقع سقوط حضارته... فالجميع اليوم على موعد مع التغيير. مع التجديد.

إن ثمرة عمل الحزب ستكون بإذن الله ومنِّه: **خلافة راشدة على منهاج النبوة**، وبعدها سيستمر عمله في أن يكون منه رجال حكم في الدولة، أو وسط سياسي فيها، وسيكون محاسبًا للدولة وضامنًا لعدم اعوجاجها... فالصحابة كان دورهم بعد وفاة الرسول كبيرًا وكبيرًا جدًا. وكما أنه عمليًا لا يمكن تصور قيام دولة الخلافة الراشدة من خارج ما يطرحه الحزب؛ لأنه لا وجود لغيره يشاركه فيما يقوم... كذلك لا يمكن تصور استمرارها من دونه، على الأقل في الفترة الأولى ريثما تتهيأ الأمة بعلمائها ليكون منهم رجال الدولة والقضاة والفقهاء والمجتهدون، وليكون منهم القوَّاد العسكريون الأفذاذ، والسياسيون المبدعون... ولو عدنا إلى النصوص الصحيحة، التي وإن لم تبلغ حد التواتر ولكن يصدِّقها الواقع، ونرى الأمور تحدث قريبًا منها، فهناك أحاديث صحيحة أن خلافة راشدة ستقوم في آخر الزمان وستحكم بلاد المسلمين، وأنها ستكون بعد الحكم الجبري الذي يعم بلاد المسلمين، وانها ستكون في أكناف بيت المقدس، وأن المسلمين سيقاتلون يهود في الأرض المباركة وسيقضون عليهم، وأن الإسلام سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأن الخلافة ستفتح روما... وكل هذا نرى بأن الواقع يصدقه وينتظر وقوعه... فهناك حكم جبري يحكم المسلمين

والناس قد ثارت عليه في كل مكان، ونرى أن هناك من يدعو إلى إقامة خلافة راشدة وقد أعدَّ لها عدتها، ونرى أنها موجودة في أكناف بيت المقدس، ونرى أن هناك دولة ليهود في الأرض المباركة قد آن أوان إزالتها من الوجود، ونرى أن المبدأ الرأسمالي على حافة السقوط وأن منظومته قادمة على الانفراط، وأن دوله مقبلة على الانقسام، ونرى أن المستقبل لهذا الدين، فما تحدث من مشكلة عالمية اليوم إلا ويظهر الإسلام أنه هو الذي يستطيع حلها. فعندما حدثت الأزمة المالية العالمية وكادت تعصف بالنظام الرأسمالي برمتِّه قال مفكرون في الغرب وسياسيون واقتصاديون أن الإسلام يملك حلها، بل إن نظامه يمنع حدوثها. وها هي جائحة فيروس كورونا والتي تهدد العالم إنما هي تعبر عن أزمة حضارية في الغرب أكثر بكثير مما هي أزمة صحية، والإسلام قد ملك حلًا لها بنصوص أحاديث نبوية شريفة... وهكذا بدأ تأثير الإسلام يلمس في حل المشاكل العالمية قبل أن تقوم خلافته... فكيف إذا قامت. إن إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة،كما هي فريضة شرعية على المسلمين، فهي أصبحت ضرورة بشرية لإنقاذ العالم من الرأسمالية ومما ولدته من أزمات. وإن غدًا لناظره قريب.

إن التبشير بإقامة الخلافة فيه اتباع لمنهج نبويّ، فالمسلمون عندما كانوا يحفرون الخندق، وهم يترقبون عدوًا قادمًا عليهم، يتربص بهم الدوائر قد أوعدهم وألَّب عليهم الناس، فلا يدرون في أي لحظة ينقضُّ عليهم، وفي هذه الأثناء عرضت لهم - وهم يحفرون الخندق - صخرة لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله، فوضع ثوبه، ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول، فقال: «**بسم الله**». فضرب ضربةً، فكسر ثلث الحجر، وقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا!**». ثم قال: «**بسم الله**» وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا!**». ثم قال: «**بسم الله**» وضرب ضربةً أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا**».

بقيت مسألة واحدة في البحث، وهي أن هناك شبه اتفاق في الرأي لدى الباحثين في الاستراتيجيا الدولية أن الأوضاع الدولية ستشهد تغييرات كونية، ويتوقعون معها تغيير النظام الدولي، ويخرجون بتصورات مختلفة للنظام الدولي الجديد... ولكن لا أحد يتوقع أن تسفر عملية التغيير عن إقامة دولة الخلافة، وسبب ذلك أن الغرب يعتبر أن ما يقوم به من حرب على الإسلام تحت اسم الحرب على الإرهاب إنما يمنع من إقامتها، والحق هو أن الغرب لن يستطيع منع ظهور أمر الله إذا جاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ هذا قرن الحضارة الرأسمالية قد دنا أجله غير مأسوف عليه، وقرن الإسلام قد حان. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بتوجيه من أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة (أبو ياسين) حفظه الله وسدَّد على الحق خطاه، ومكَّن للمسلمين على يديه قريبًا بإذن الله؛ أطلق حزب التحرير في شهر رجب المحرَّم من هذا العام ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، بمناسبة الذكرى الأليمة لقضاء المستعمرين وفي مقدمتهم بريطانيا، وبمساعدة المجرمين من خونة العرب والترك وفي طليعتهم مجرم العصر مصطفى كمال؛ بمناسبة ذكرى هدمهم للدولة الإسلامية وإلغاء نظام الحكم الإسلامي (الخلافة) في ٢٨ رجب المحرم ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤/٠٣/٠٣م، أطلق حملة عالمية واسعة بمناسبة الذكرى الهجرية الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة.

علمًا بأن الحزب هذا العام وفي كافة أماكن عمله قد ألغى كثيرًا من الفعاليات الميدانية من مثل المؤتمرات والمسيرات والمهرجانات والندوات، أو نظَّمها عبر الإنترنت؛ نتيجة للجائحة الصحية العامة التي مرَّ فيها العالم بسبب فيروس كورونا، فإننا في مجلة الوعي كما في الأعوام السابقة نضع بين أيدي قرائنا الأعزاء بعض أهم الأعمال والفعاليات التي قام بها حزب التحرير حول العالم؛ إحياء لهذا الذكرى الأليمة، واستنهاضًا لهمم أبناء الأمة الإسلامية عامة وأهل القوة والمنعة منهم خاصة، للعمل معه لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة؛ لتعود للأمة عزتها وكرامتها، وتعود كما أراد لها الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس.

١- كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

إلى الأمة الإسلامية بعامة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس... وإلى شباب حزب التحرير بخاصة الذين أكرمهم الله بحمل دعوته بصدق وإخلاص... وإلى ضيوف الصفحة المقبلين عليها حبًا بما تحمله من خير ونبراس... إلى كل هؤلاء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

في مثل هذا اليوم قبل تسعٍ وتسعين سنة قام مجرم العصر مصطفى كمال بإلغاء الخلافة، ومع أن هذا كان جهارًا نهارًا، وثابتًا بالبرهان، بل بأكثر من برهان، أنه كفر بواح وإلغاء لحكم الإسلام، ومن ثَمَّ يستحق مرتكبُه المنابذةَ بالسيف وفق حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»، فكان الواجبُ هو قتالَهُ والتضحيةَ بكل غالٍ مهما بلغ، إلا أن هذا الطاغية لم يقابَل من الأمة بما يستحقُّهُ قطعُ دابرِه! ومن ثَمَّ فقد أظلم تاريخُ أمةٍ كانت خيرَ أمة أخرجت للناس؛ حيث كانت لها دولةُ خلافةٍ واحدة مرهوبةُ الجانب بالحق والعدل، فأصبحتِ الآن تزيد على خمسين مزقة، بأسهم بينهم شديد، يتسلَّط عليهم من لا يرحمهم، ولا يرعى شؤونهم، وليس هذا فحسب، بل يتولى أمرهم حكامٌ رويبضات خانعون للكفار، خاضعون للمستعمرين، ثرواتهم تُسيِّرُ اقتصاد أولئك الأعداء لدين الله، وأما اقتصاد البلاد والعباد فمنهوب مكروب، لا ينتفع أهله به، بل ينطق حالهم (كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول)، وكل ذلك تحت سمع هؤلاء الرويبضات وبصرهم... فالفقر ينتشر بين الناس إلا فئةَ الحكام وأشياعهم فتنال أجرها المغلَّفَ بالذل والهوان نتيجة خدمة أسيادهم المستعمرين، خيانةً لله ورسوله والمؤمنين، وصدًّا عن سبيل الله العزيز الحكيم.

أيها المسلمون، إن الخلافة هي قضية المسلمين المصيرية، بها تقام الحدود، وتحفظ الأعراض، وتفتح الفتوح، ويعز الإسلام والمسلمون، وكل هذا مسطور في كتاب الله العزيز الحكيم وسنَّةِ رسوله ﷺ وإجماعِ صحابته رضوان الله عليهم، ويكفي للمسلم أن يتدبَّر الأمور الثلاثة التالية ليدرك كم هو فرض الخلافة عظيمٌ عظيم، والأمور الثلاثة هي التالية:

أولها: قوله صلوات الله وسلامه عليه في ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً**»، وهذا دليل على عظم الإثم الذي يقع على المسلم القادر الذي لا يعمل لإيجاد خليفة تكون له في رقبته بيعة، أي هو دليل وجود خليفة يستحق في عنق كل مسلم بيعة بوجوده.

وثانيها: هو انشغال أصحاب رسول الله ﷺ في إقامة الخلافة وبيعة الخليفة قبل انشغالهم بدفن رسول الله ﷺ، مع أن التعجيل بدفن الميت أمر منصوص عليه في الشرع، جاء في معرفة السنن والآثار للبيهقي: (وقال الشافعي في رواية أبي سعيد: وأحب تعجيل دفن الميت إذا بان موته)، هذا بالنسبة لأي ميت، فكيف إذا كان هذا الميت هو رسول الله ﷺ؟ ومع ذلك قدّم

الصحابة بيعة الخليفة على دفن رسول الله ﷺ، وهكذا فقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله ﷺ عقب وفاته وانشغالهم بنصب الخليفة.

وثالثها: أن عمر رضي الله عنه يوم وفاته قد جعل أمدًا لانتخاب الخليفة من الستة المبشرين بالجنة لا يزيد عن ثلاثة أيام... ثم أوصى أنه إذا لم يُتفق على الخليفة في ثلاثة أيام، فليُقتل المخالِف بعد الأيام الثلاثة، ووكّل خمسين رجلًا من المسلمين بتنفيذ ذلك، أي بقتل المخالِف، مع أنهم مبشَّرون بالجنة، ومِنْ أهل الشورى، ومِنْ كبار الصحابة، وكان ذلك على مرأى ومسمع من الصحابة، ولم يُنقَل عنهم مُخالِف، أو مُنكِر لذلك، فكان إجماعًا من الصحابة على أنه لا يجوز أن يخلوَ المسلمون من خليفة أكثر من ثلاثة أيام بلياليها، ونحن قد مضى علينا «جمع من الثلاثات»، ولا حول ولا قوة إلا بالله... وهكذا فإن الخلافة أيها المسلمون أمر عظيمٌ عظيم، وقضيةٌ مصيريةٌ للمسلمين وأيةُ قضية.

أيها المسلمون، ومع ذلك فإننا لا نيأس من رحمة الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾، خاصة وأن الله سبحانه قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وكذلك فإن رسول الله ﷺ قد بشَّر بعودة الخلافة على منهاج النبوة بعد الملك الجبري الذي نحن فيه «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**» أخرجه أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ ولكننا نؤكّد ونكرِّر ما سبق أن قلناه من قبل، وهو أن الله القوي العزيز ينصرنا إن نصرناه بأن نكون من العاملين الصادقين المخلصين، فإنَّ سنَّة الله اقتضت أن لا يُنزلَ ملائكة تعملُ نيابة عنا وتقيمُ لنا خلافةً، ونحن قعودٌ نتَّكئ على الأرائك! بل ينزل الله إن شاء ملائكة تساعدنا ونحن نعمل، وهكذا وعد الله في كل نصر، سواءٌ أكان في إقامة الخلافة بإحسان العمل وإتقانه، أم كان في الفتح والنصر من الله بالقتال في سبيلِهِ سبحانه.

وإننا نحمد الله أن أكرم هذه الأمة بقيام حزب التحرير ناذرًا نفسه للعمل الجاد المخلص بإذن الله لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة، وهو بحق الرائدُ الذي لا يكذبُ أهلَه، وهو حزبٌ ينصع طيبُه، ويسقط منه كل من لا يطيقُ طيبَه... هكذا نحسبه ونحسب كل شبابه العاملين معه بأنهم جادُّون مُجِدُّون، عاملون مخلِصون، يتطلعون بإذن الله إلى الآخرة فوق فوق ما يتطلعون إلى الدنيا، وهم يصِلون ليلهم بنهارهم يرجون رحمة الله بأن يتحقق وعدُه سبحانه وبشرى رسوله ﷺ على أيديهم، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي الختام، فإن فرض إقامة الخلافة أيها المسلمون ليس هو على شباب الحزب فحسب، بل هو على كل قادر من المسلمين، فآزرونا أيها المسلمون، وانصرونا يا جيوش المسلمين، وأعيدوا سيرة

الأنصار عندما نصروا دين الله، فجعلهم الله سبحانه صنوَ المهاجرين، وأثنى عليهم ورضي عنهم في محكم كتابه دون قيد؛ ولكن قيّدَ ذلك للتابعين بإحسان ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾، وذلك لما لنصرة دين الله وإقامة الخلافة من أجر عظيم وفضل كريم، حتى إن الملائكة حملت جنازة سعد بن معاذ سيد الأنصار رضي الله عنه كما جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم لعظم فضل نصرة دين الله.

وخاتمة الختام فإن من ينصر العمل لإقامة الخلافة قبل أن تُقام أجره أكبر وأعظم من نصرة الخلافة بعد قيامها ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾، وإننا لنضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الذكرى التاسعة والتسعون مقدمةً لنصر الله العظيم قبل الذكرى المئوية لإلغاء الخلافة، ومن ثَمَّ تشرق الخلافة الراشدة على الدنيا من جديد ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في يوم الاثنين، الثامن والعشرين من شهر رجب ١٤٤١هـ - الموافق ٢٠٢٠/٣/٢٣م

أخوكم عطاء بن خليل أبو الرشتة

أمير حزب التحرير

٢- أما المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير فقد قام بجملة من الأعمال نلخصها بما يلي:

أ- إصدار بيان صحفي بعنوان: «في الذكرى التاسعة والتسعين لإلغاء الخلافة، أقيموها قبل المئة» وقد جاء فيه:

«تسعة وتسعون عامًا... وها قد حال الحول على عمرنا مرة أخرى، فعادت ذكرى هدم الخلافة لتزورنا من جديد، فتذكرنا بأن الأمة الإسلامية قد تأخرت عن بيعة إمام لها كل تلك السنين! فهل ستقيمها اليوم قبل ذكرى المئة؟!

تسعة وتسعون عامًا... ومسألة فقدان «العز والمكانة» بين الأمم قضية تغلي لأجلها الدماء في عروق الأمة الإسلامية... فتخرج شعوبها في ثورات لم يشهد التاريخ مثلها من قبل، وتسقط أنظمة ظنَّ الناسُ أن جبروتها لا يزول. فهل ستقيمها اليوم قبل ذكرى المئة؟!

تسعة وتسعون عامًا... والغرب الكافر المستعمر يقلب في الخطط ويدبر المؤامرات ويبحث كيف يجدِّد في الوسائل والأساليب كي تبقى الأمة الإسلامية مشتَّتة بلا دولة وضعيفة بلا شوكة، فهل ستقيمها اليوم قبل ذكرى المئة؟!

ما زلنا نرى الخلافة يعاد ذكرها في كل حين: في الأوساط، وبين الناس، وعلى لسان الحاقدين، وبين العوائل، وعلى البرامج، وفي المقالات. فالخلافة أمست رأيًا عامًّا بين المسلمين، وجميعهم متحيِّرون كيف تعود! فالكلُّ مدركٌ لعظمتها إن عادت، والجميعُ مدركٌ أنها إن عادت ستفجِّر طاقات الأمة وتعيدها لتمارس دورها في الدنيا لتكون منقذة هذا العالم مما هو فيه. وكيف لا ندرك عظمة الخلافة وهي دولة جمهورها جاوز مليارًا ونصف المليار إنسان يتمنَّون عودتها في أسرع وقت. مليار ونصف المليار مسلم ومسلمة يعتبرون بعضهم بعضًا إخوانًا في عائلة واحدة تلف الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

لا تنفكُّ عظمة الأمة الإسلامية عن اكتمال ثلاثي مستلزمات العظمة عند الأمم ألا وهو: «الأمة، والمبدأ، والدولة». **أما الأمة** فهي موجودة، وهي مليئة بالحيوية والنشاط وقد عبَّأت الساحات بشبابها وشاباتها. **وأما المبدأ** فموجود أيضًا، وقد تبصّر تفصيلاته ودرس تطبيقاته ثلة من الحريصين على الإسلام وعلى رأسهم **حزب التحرير** الذي تهيأ لعودة «دولة خلافة متقدمة» فجهز لها منظومة سياسية شرعية استخلصها من مصادر التشريع الإسلامي.

أما الدولة فهي تعني القوة؛ وذلك أن الدولة تجمع طاقات الشعوب المشتَّتة فتجعلها قبضة واحدة، وتنظِّم قدراتها المبعثرة فتجعلها قوة منتِجة، والدولة بالنسبة للأمة الإسلامية هي الشراب الغريب، والدواء العجيب. فبوجود الدولة الإسلامية تنتظِم قوى الأمة وتتفجَّر طاقاتها، وبغيابها تسقط الأمة وتُسرق خيراتُها؛ فلذلك علينا أن ندرك أن عودة التحام الأمة الإسلامية بدولتها سيكون حدثًا بمثابة قوة عصف نووية في تاريخ البشرية، تعلِّم الأمم كيف يكون حسن التأتِّي مع الأوبئة والأمراض، وتُنسي عبدةَ البقر في الهند وساوس الشيطان وتُذيقهم وَبال أمرهم.

ولأجل ذلك، بسم الله، وعلى بركة الله، نطلق في الذكرى الـ٩٩ لهدم الخلافة حملة عالمية واسعة ندعو بها الأمة الإسلامية بشعوبها وعلمائها وجيوشها وأهل القوة فيها إلى الإسراع في إقامة الخلافة قبل انقضاء المئة عام! حتى ننال رضوان الله تعالى، ويسجل التاريخ لنا أننا أمة ذات شأن استطاعت أن تعود إلى الدنيا في أقل من مئة عام».

ب- أمسية خاصة على قناة الواقية حول كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بمناسبة الذكرى الـ ٩٩ لهدم دولة الخلافة، وكان ضيوف الأمسية:

- المهندس صلاح الدين عضاضة

(مدير المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير)

- فضيلة الشيخ عصام عميرة

(عضو حزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين)

- المهندس إسماعيل الوحواح

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في أستراليا

- الأستاذ عبد الرؤوف العامري
رئيس المكتب السياسي لحزب التحرير في ولاية تونس
- الدكتور محمد الملكاوي
عضو حزب التحرير في ولاية الأردن
- الدكتور محمود عبد الهادي
عضو حزب التحرير في ولاية لبنان
- الأستاذ سعيد فضل
عضو حزب التحرير في ولاية مصر

ج- القسم النسائي:
حملة ومؤتمر عالمي بعنوان:
«بيجين +٢٥: هل سقط قناع المساواة بين الجنسين؟»

بتوجيه من أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة حفظه الله، أطلق حزب التحرير حملة عالمية واسعة بمناسبة الذكرى الهجرية الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة. وبهذه المناسبة، أطلق القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير حملة عالمية بعنوان: «بيجين +٢٥: هل سقط قناع المساواة بين الجنسين؟»، والتي اختتمت بمؤتمر نسائي عالمي في الرابع من شهر نيسان/أبريل ٢٠٢٠م.

٣- وأما الولايات فقد قاموا بمجموعة من الأعمال والأنشطة المتعلقة بالمناسبة، نذكر أبرزها:

أ- ولاية تركيا:

• بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة عقد حزب التحرير/ ولاية تركيا يوم الثلاثاء، ٠٨ رجب المحرم ١٤٤١هـ الموافق ٠٣ آذار/مارس ٢٠٢٠م، مؤتمر الخلافة لهذا العام ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م في إسطنبول بعنوان: «**بناء المجتمع الإسلامي من العائلة إلى الدولة**».

• **أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير/ ولاية تركيا بيانًا صحفيًا بعنوان «انبعثوا من رمادكم من جديد، كونوا شمسًا تنير الظلمات، وضعوا حدًا للأسْر الذي ترزحون تحته منذ هدم الخلافة قبل تسعة وتسعين عامًا» قال فيه:**

لكل أمة نقطة فارقة في تاريخها، والنقطة الفارقة كما ترفع الأمة أحيانًا، تكون سببًا في انحطاطها أحيانًا. ولا شك بأن نقطة انكسار الأمة كانت في إلغاء الخلافة. فقبل ٩٩ عامًا هجرية (٩٦ عامًا ميلادية) من الآن، وفي تاريخ ٢٨ رجب المحرم ١٣٤٢هـ الموافق ٣ آذار/مارس ١٩٢٤م، تمَّ إلغاء الخلافة بصورة مشوبة على أيدي الخونة الذين نفَّذوا تعليمات الإنجليز طواعية، فتمزَّق درعُ المسلمين، وأضحت أمة الخير هذه يتيمة بعد قرون طوال قدمت فيها للإنسانية أجمل الأمثلة في العدالة والعلم والحياة الإنسانية. وانطلقت الهجمات الشرسة بكل أنواعها من عقالها، واستهدفت شتات المسلمين الذين فقدوا قيادتهم من كل حدب وصوب.

وهكذا تحولنا من قوةٍ إلى ضعفٍ، ومن حالة الغنى إلى حالة الفقر، ومن العزة إلى الذلة. وتمزقنا! وربنا يدعونا إلى أن نكون أمة

واحدة ودولة واحدة. تمزقنا إلى دول كبيرة وصغيرة، ينوب عليها أعوان كأنهم ولاة الاحتلال، وانحسرت قلوبنا إلى حدودنا الوطنية المزعومة، واتخذنا الكفار أصدقاء، وخاصمنا إخواننا المسلمين، اعتمدنا على الغرب الكافر الذي لا يساوي عند الله مثقال ذرة، واحتقرنا إخواننا المسلمين الذين هم أحفاد رجال كانوا صفًا واحدًا متآخين في الله سلمهم واحدة وحربهم واحدة.

خلال ٩٩ عامًا مضت بلا خلافة، شهدنا أشد حالات الألم والظلم والاحتلال والإهانة والاعتداءات والإبادات الجماعية والخيانات.

فها هي بلاد الشام، هل بقي فيها بيت لم يدمَّر وأرض لم تسفك فيها الدماء وأم لم تسكب العبرات؟ وها هي تركستان الشرقية، عانت ولا تزال من ممارسات الصين الكافرة الظالمة ما يهتز لها الأرض والعرش. وها هي الهند، يُقتل فيها المسلمون بكل وحشية علنًا وسط الشوارع. وها هي القدس، يتم تسليمها إلى كيان يهود أمام سمع وبصر العالم كله. نعم، إن السبب الرئيسي وراء ذلة الأمة الإسلامية اليوم هو إلغاء الخلافة. فالشرط الأساسي إذًا من أجل النهوض بالأمة من جديد لتكون خير أمة أخرجت للناس هو إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وستقوم بإذن الله، فهذه بشرى رسول الله ﷺ: **«ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ»** (مسند أحمد).

ب- **ولاية السودان:**

• مؤتمر الخلافة الراشدة ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

وسط حشد مبدئي لم تألفه مدينة الأبيض من قبل، سارع الشيب والشباب من أعضاء حزب التحرير وسكان الأبيض، وما حولها من مدن، تلبيةً لدعوة مؤتمر الخلافة الراشدة الثانية الذي أقامه حزب التحرير/ ولاية السودان، يوم السبت ٥ رجب المحرم ١٤٤١هـ الموافق ٢٩ شباط/فبراير ٢٠٢٠م بميدان الحرية، والذي تحوَّل ليوم زينة مَهيبة بعثت في الحضور الأمل وذبحت الإحباط، حيث احتشد جمع غفير من أبناء الأمة الإسلامية لمتابعة الفعالية التي يقيمها الحزب إحياء للذكرى الـ٩٩ لهدم الخلافة تحت شعار: **(ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة).**

وقبل إعطاء القارئ لمحة عن الرؤية التي قدمت في المؤتمر، لا بد من الإشارة إلى السابقة السياسية الحيوية التي دشنها الحزب قبل المؤتمر بأيام؛ حيث أقام أعضاء حزب التحرير في الأبيض مخاطبات في الهواء الطلق مع جماهير الأمة، غطَّت معظم مساجد وساحات وأسواق المدينة، فتفاعل أهل الأبيض مع خطاب حزب التحرير الذي أصبح مكوِّنًا أساسيًا في نوادي ومجالس وأزواق الناس، مما أوجد أجواء من التكبير والتهليل والتلاحم مع أبناء المسلمين حتى صاروا كلهم حزبًا للتحرير ورغبة في إقامة الخلافة.

ثم جاء عصر السبت موعد المؤتمر الذي قُدمت فيه خمس أوراق استعرضت حال الأمة

الإسلامية بعد سقوط الخلافة بتشخيص مستنير ووعي لما يحوكه الغرب من مؤامرات ودسائس ضد الأمة؛ حيث قدَّم الورقة الأولى الأستاذ/ النذير محمد حسين - عضو مجلس الولاية تحت عنوان: (**الخلافة علاج لأزمة الحكم بفكرة من لدن حكيم عليم**)، بيّن فيها أن السبب في مشاكل وأزمات الحكم في بلاد المسلمين بما فيها السودان هو تطبيق الأنظمة الوضعية التي تجعل من الحكم غنيمة ومن السياسة تجارة، فأصبح الانتهازيون والرويبضات هم الذين يتولون أمور الحكم متَّخذين من الشعوب عبيدًا للرأسمالية الجشعة، ثم بيَّن المتحدث أن نظام الإسلام (الخلافة) هو الوحيد القادر على علاج جميع مشاكل الحكم؛ لأنه من عند الله عز وجل.

أما الورقة الثانية فقد قدمها الأستاذ ناصر رضا رئيس لجنة الاتصالات المركزية لحزب التحرير في ولاية السودان والتي جاءت بعنوان: (**الخلافة وحدها المخرج من أنظمة الجباية والفقر والعبودية للغرب**)، بين من خلالها الناحية العملية لكيفية معالجة الأزمة الاقتصادية.

ثم قدم الأستاذ النذير مختار عضو الحزب الورقة الثالثة وهي بعنوان: (**كيف يحقق النظام الاجتماعي في ظل الخلافة الطمأنينة والسعادة في حياة الطهر والنقاء**).

وجاءت الورقة الرابعة تحت عنوان: (**نظام التعليم في ظل الخلافة إشعاع ينير جنبات الكون**) قدمها الأستاذ أحمد وداعة رئيس الاتصال بالفعاليات بمدينة الأبيض.

أما الورقة الختامية فقد كانت من نصيب الناطق الرسمي لحزب التحرير في ولاية السودان الشيخ إبراهيم عثمان (أبو خليل) وجاءت بعنوان: (**الخلافة دولة الإسلام الغائبة، العمل لإيجادها واجب**)، بيَّن من خلالها ناطق الخير وجوب العمل لإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة على كل مسلم ومسلمة.

هذا وقد كانت عدسة تلفزيون ولاية شمال كردفان حاضرة، وتمَّت تغطية أغلب فعاليات المؤتمر، كما كان للصحف السيارة نصيب مقدر في الحضور، حيث حضر كل من جريدة أخبار اليوم، وجريدة الجريدة، وجريدة الأهرام اليوم، وجريدة المجهر السياسي، وجريدة حكايات، ووكالة سونا للأنباء، وتفاعل الحضور الإعلامي بتعليقات طيبة. الجدير بالذكر أن إذاعة شمال كردفان من الأبيض كانت تبثُّ خبر المؤتمر قبل انعقاده بأربعة أيام.

أيضًا شارك عدد كبير من السياسيين والعلماء ووجهاء مدينة عروس الرمال بالحضور والمشاركة المعنوية الإيجابية والمادية، كما أظهر أهل الأبيض درجة عالية من الجود والكرم تجاه كوادر الحزب الزائرة للمدينة من مكتب الخرطوم ومكتب القضارف، حتى قبَّل بعض الشباب رؤوس الأتقياء والأوفياء من سكان عروس الرمال، فهم السادة وهم القادة بما يحملونه من حب للإسلام وحملة دعوته،

فجزاهم الله عنا وعن الأمة خيرًا كثيرًا.

• توزيع كلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم الخلافة

قام حزب التحرير/ ولاية السودان يوم الاثنين ٢٨ رجب ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠/٠٣/٢٣م، بتوزيع نسخ من الكلمة التي وجَّهها أمير حزب التحرير، العالم الجليل عطاء ابن خليل أبو الرشتة حفظه الله وفتح على يديه، قام الحزب بتوزيعها على نطاق واسع في مدن العاصمة وأقاليم السودان المختلفة، تذكيرًا للأمة بالحدث الأليم الذي وقع في هذا التاريخ قبل ٩٩ سنة، وبالتحديد في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ.

• مخاطبة جماهيرية في الخرطوم بحري

نظم حزب التحرير في ولاية السودان بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة مخاطبة جماهيرية في مدينة الخرطوم بحري؛ وذلك يوم الخميس، ١٠ رجب المحرم ١٤٤١هـ الموافق ٠٥ آذار/مارس ٢٠٢٠م.

ج- ولاية تونس:

• وبهذه المناسبة الأليمة أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير/ ولاية تونس بيانًا صحفيًا، بعنوان «**٩٩ عامًا على إسقاط الخلافة... فإلى متى نبقى أيتامًا على موائد اللئام؟!**» جاء فيه:

«**أيّها المسلمون:**

في مثل هذا اليوم ١٩٢٤/٠٣/٠٣م الموافق لـ٢٨ من رجب سنة ١٣٤٢هـ تآمر خونة العرب والأتراك مع الكفار المستعمرين بزعامة بريطانيا آنذاك، وأسقطوا دولة الخلافة، الدّولة التي كانت تجمع المسلمين وتحميهم، وبزوالها تزلزلت الأرض من تحت أقدامهم وصارت بلادهم تحت نفوذ الكفار المستعمرين الذين مزَّقوها إلى دويلات هزيلة، نَصَّبوا على كل منها عميلًا لهم زعموه حاكمًا (يأمرونه فيأتمر وينهونه فينتهي)، وجنّدوهم ليبذلوا الوسع بكل وسيلة مهما بلغت من السوء ليمنعوا عودة الإسلام والخلافة من جديد، فكان الحُكّام العملاء خطًا متقدمًا لتنفيذ هذه السياسة الخبيثة ضدّ الإسلام والمسلمين.

ومنذ ذلك اليوم الأسود ونحن المسلمين تحيط بنا المصائبُ والفتن، ويلفُّنا القتل من قُدّامنا ومن خلفنا؛ فيهود الذين ضُربت عليهم الذِلةُ والمسكنة مكّنتهم بريطانيا من فلسطين أرض الإسراء والمعراج، ورسّخت أقدامهم أميركا التي جمعت أمم الأرض لتحارب الإسلام وعودة الخلافة، فحطَّموا العراق وأفغانستان تحطيمًا، ويذهب رئيسها ترامب إلى الهند، فينقضُّ الهندوس على المسلمين هناك قتلًا وفتكًا... وفي الصين يُسجن شعب بأكمله لأنّهم مسلمون، أمّا في البلاد التي ثار المسلمون فيها على النّظام الغربيّ وعملائه، فتكالبت عليهم أمم الأرض يساندون جزّار الشّام في ذبح المسلمين هناك كلّ يوم، ويتدخّلون في اليمن وليبيا أغرقوهما في حروب عبثيّة تُمزّقهما تمزيقًا.

أمّا تونس التي كانت منطلق ثورة،

فتقاطرت عليها وفود الدّول الاستعماريّة والمنظّمات الدّوليّة وغير الدّوليّة؛ ليمنعوا سقوط النّظام العلماني الرأسمالي، ولتبقى تونس دويلة هزيلة معزولة تابعة للغرب، ففرضوا دستورًا علمانيًّا، وتحكّموا بواسطة عملائهم في مفاصل الدّولة والإدارة، وبلغ بنا الهوان أن تحدِّد سفيرةُ بريطانيا رئيس الحكومة بل كلّ الحكومة وترسم سياساتها، ويقرّر صندوق النّقد الدولي برامجها الاقتصاديّة.

أيّها المسلمون في بلد الزيتونة:

هذا هو حال المسلمين اليوم وحالنا؛ تمزّق وفرقة واستعمار وهوان، فمنذ ما يقرب من مائة عام، والأمة تعيش بلا دولة، بلا خلافة، ولا خليفة، نعيش ونحن مسلمون، والإسلام مُبعَدٌ عن الحكم والسياسة والاقتصاد وغيرها من أنظمة الحياة، فعمَّ بلادَنا الخرابُ والفساد، وسيطرَ علينا الكفّارُ المستعمِرون، وساد فينا العملاء حتّى فقدنا العزة والكرامة، وحتّى صار المسلم يُهان أينما حلّ أو ارتحل. والسبب واضح بيّنه الفاروق رضي الله عنه حيث قال: (كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله)...

وإنّنا اليوم لقادرون على استعادته؛ لأنّ الإسلام الذي رفع أجدادنا إلى أعلى عليين ما زال قائمًا بيننا كما نزل على نبيّنا الأكرم ﷺ، وبينكم قيادة سياسية واعية مخلصة حزب التحرير، الرائد الذي لا يكذب أهله، وقد خبرتموه يصدقكم القول والفعل، لا يريد من أحد جزاءً ولا شكورًا، إنما يسعى لرضوان الله بتحكيم شرعه في الأرض، استجابة لقوله سبحانه:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥﴾.

فأرُوا الله من أنفسكم خيرًا، وارفعوا عن أعناقكم إثم القعود عن نداء ربّكم. فإنه لا تبرأ ذمة مسلم إلا بالعمل الجاد لإقامة تاج الفروض المفقود، الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

د- ماليزيا:

• تنظيم احتجاج أمام المفوضية الهندية العليا، ودعوة جيوش المسلمين والأمة للعمل معه لإقامة الخلافة

نظم حزب التحرير/ ماليزيا وقفةً سلميةً أمام المفوضية العليا للهند، في كوالالمبور بتاريخ ٢٠٢٠/٠٣/٠٦م، احتجاجًا على مذبحة المسلمين في الهند، وخاصةً في نيودلهي. حيث بدأ المتطرفون الهندوس، بإذن وبتعاون من رئيس الوزراء ناريندرا مودي، بقتل المسلمين، وحرق المساجد، وتدمير المنازل وغيرها من الممتلكات بعد أن احتجَّ المسلمون على قانون تعديل الجنسية لعام ٢٠١٩م. وعلى الرغم من ادّعاء الهند واعتزازها بكونها أكبر ديمقراطية في العالم، فقد أصدرت دون خجل، أكثر القوانين عنصريةً وكشفت عن نيتها في جعل الهند دولة هندوسية لا مسلمين فيها. وتجرَّأ مودي على ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة عندما منحه سيده ترامب الضوء الأخضر لقتل المسلمين

بحجة محاربة «التطرف الإسلامي».

وقد بدأ التجمع مباشرةً بعد صلاة الجمعة في مسجد جميل إحسان على بعد ٢٥٠ مترًا من المفوضية العليا. وسار المتظاهرون من المسجد وهم يكبرون بقوةً على طول الطريق. هذا وقد دعا الأستاذ عبد الحكيم عثمان، الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ماليزيا الذي قاد المسيرة، الجيوش في ماليزيا وباكستان وبنغلادش خاصةً وفي البلاد الإسلامية عامة، إلى إعلان الجهاد في سبيل الله من أجل إنقاذ المسلمين في الهند، وتحريرهم من النظام الهندوسي المجرم. كما دعا عبد الحكيم جميع المسلمين إلى العمل يدًا بيد مع حزب التحرير لإقامة الخلافة، باعتبارها الحل الوحيد والأوحد لإنقاذ المسلمين في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى توحيدهم تحت قيادة واحدة وفقًا للإسلام. واختتم عبد الحكيم كلمته الحماسية بالقول: «إن حزب التحرير يصل ليله بنهاره في جميع البلاد الإسلامية من أجل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة التي بشر بها رسول الله ﷺ».

• اختتام حملة الذكرى الـ٩٩ لهدم الخلافة بمؤتمر عبر الإنترنت

كوالالمبور ٢٢ آذار/مارس ٢٠٢٠م - المسلمون، ولا سيما في ماليزيا، مدعوون إلى الانضمام للعمل مع حزب التحرير لإقامة الخلافة الراشدة، لأنها فريضة قد تأخر تطبيقها طويلًا منذ زوال الصرح العظيم في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ قبل ٩٩ سنة بالضبط.

كانت هذه هي الرسالة الرئيسية لحزب التحرير/ ماليزيا في مؤتمر عبر الإنترنت الذي عقد صباح الأحد ٢٧ رجب ١٤٤١هـ ٢٠٢٠/٠٣/٢٢م لإحياء ذكرى هدم الخلافة. وكانت ذروة الأنشطة التي عقدها حزب التحرير/ ماليزيا بالتزامن مع حملة رجب التي نظمها الحزب في جميع أنحاء العالم. وقبل المؤتمر على الإنترنت، كان حزب التحرير/ ماليزيا قد أجرى مناقشة مستفيضة في بث مباشر على الفيسبوك لمدة ثلاث ليال متتالية ناقش فيها الحاجة إلى الخلافة.

جمع هذا المؤتمر عبر الإنترنت أربعة متحدثين من بينهم الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ماليزيا، وقد ألقَوا كلماتهم تحت عنوان المؤتمر «**٢٠٢٠: عودة الخلافة لقيادة العالم**».

بدأ البرنامج بعرض قدمه الأستاذ معاذ أبو طلحة بعنوان: «**توقعات مجلس الأمن القومي بشأن عودة الخلافة**». وأشار المتحدث إلى تقرير عام ٢٠٠٤م الصادر عن مجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة. وبعد تقديم التقرير الموجز، أكد المتحدث أن حزب التحرير لا يعتمد على الإطلاق على هذا التقرير في أعماله، ولكن يظهر التقرير خطورة أعداء الإسلام ومخاوفهم من إحياء الكيان السياسي للأمة.

وقدم المتحدث الثاني، الأستاذ محمد أمين كلمته بعنوان «**خوف قادة الكفار من عودة الخلافة**»، والتي شارك فيها بمقتطفات من الكلمات التي ألقاها هؤلاء الكفار منذ ذلك

الحين، والتي عكست خوفهم من عودة الخلافة. بالإضافة إلى ذلك، كشف عن استراتيجيات أعداء الإسلام في جهودهم لمنع إقامة الخلافة.

وكانت كلمة المتحدث الثالث، الأستاذ عمر حسين، عن قضية «**الديمقراطية كإحدى مشاريع الكفار لمنع عودة الخلافة**». وأوضح المتحدث واقع الديمقراطية وتناقضها مع الإسلام وكيف زرعها الغرب في البلاد الإسلامية واستخدمها لعرقلة عودة الخلافة.

ثم كانت الكلمة الختامية للناطق الرسمي لحزب التحرير/ ماليزيا، الأستاذ عبد الحكيم عثمان الذي سلَّط الضوء على وعد الله سبحانه وتعالى وبشرى رسوله ﷺ فيما يتعلق بعودة الخلافة. وشرح حديث الرسول عن البشرى. وأخيرًا شدد على التزام الأمة بالعمل الجاد من أجل تحقيقها، وأن التزام الصمت سيجعل كل مسلم آثمًا. مع هذه البشائر العديدة من رسول الله ﷺ، خلص الناطق الرسمي لحزب التحرير/ ماليزيا إلى أن الخلافة ستقوم قريبًا بإذن الله، وأنه ليس من المستحيل أن تعود الخلافة هذا العام بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وأعقب المؤتمر عبر الإنترنت جلسة أسئلة وأجوبة مع المشاهدين قبل اختتامها حوالى الساعة ١٢:٣٠ ظهرًا.

هـ- ولاية مصر:

• أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير/ ولاية مصر في هذه المناسبة بيانًا صحفيًا، بعنوان: «**في الذكرى الـ٩٩ لهدم الخلافة؛ أيها المسلمون أقيموها ففيها العزة وبها تعود لنا مكانتنا بين الشعوب والأمم**»، ومما جاء فيه: «تمرُّ بنا هذه الأيام ذكرى أليمة، هي ذكرى هدم الخلافة على يد مجرم العصر مصطفى كمال، في الثامن والعشرين من شهر رجب ١٣٤٢هـ، الموافق ١٩٢٤/٣/٣م. لقد كان هدم الخلافة فاجعة ما بعدها فاجعة، اهتزت لها جنبات البلاد الإسلامية، وإننا إذ نذكِّر الأمة بهذا المُصاب الجلل والحدث الأليم الذي أصابها في مقتل وجعلها نهبًا لأعدائها بلا راعٍ حقيقيٍّ يدفع عنها شرورهم، بلا خليفة تقي نقي تقاتل من ورائه وتتَّقي به، حتى صرنا أيتامًا على مأدبة اللئام، وتداعت علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فضاعت فلسطين وضاعت أخواتها، ووكل أمرنا لحفنة من الرويبضات لا يرقبون فينا إلًّا ولا ذمة، أعزة علينا أذلة على الكافرين... وإننا إذ نذكِّر الأمة بهدم خلافتها، نذكرها أيضًا بأن إعادتها مرة ثانية إلى الوجود فرض عظيم من أعظم الفروض، والقعود عنه هو معصية من أكبر المعاصي، فإنه لا تبرأ ذمة مسلم إلا بالعمل الجاد لإقامة تاج الفروض المفقود، الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

وإن النموذج الذي سوف تحتذيه الأمة في طريق نهضتها هو نموذج الخلافة الراشدة، ليس فقط لأنها حقَّقت نجاحات منقطعة النظير في كل المجالات الاقتصادية والعلمية والوحدوية، بل لأنها تقوم على عقيدة

سياسية عقلية ينبثق عنها نظام، وقبل ذلك لأنها النظام الذي ارتضاه رب العالمين لهذه الأمة، فأسَّس بنيانه رسول الله ﷺ، وأكَّد على فرضيته من خلال أحاديث صحيحة، وأجمع عليه صحابته رضوان الله عليهم، ومن ثم ساروا عليه، فجعلوا من هذه الدولة الدولة الأولى في العالم في فترة قياسية في عمر بناء الدول».

و - الأرض المباركة فلسطين:

• قطاع غزة:

قام شباب الحزب بنشاطات وفعاليات عدة لإيصال أفكارهم للناس والتواصل معهم، ومن هذه النشاطات تعليق اليافطات في الشوارع العامة والرئيسة في كثير من المناطق في قطاع غزة، يافطات تحمل شعارات ذات رسائل فكرية وسياسية واقتصادية، وفي اتجاهات متعددة محليًا ودوليًا، ومن أبرز هذه الشعارات التي حملتها اليافطات:

- الخلافة آن أوانها، ومشاريع الكفار بان عوارها.
- حل الدولتين وصفقة ترامب: وجهان لعملة واحدة.
- اللهاث وراء الشرعية الدولية ضلال وسراب وتبعية.
- الأقصى يستصرخ الأمة وجيوشها.
- استنصار جيوش الأمة بدلًا من استنصار الكفار.
- تحرير فلسطين بإزالة العروش وتحريك الجيوش.
- فلسطين تنتظر الفاتحين لا المطبِّعين.
- المفاوضات مع يهود إجرام بحق فلسطين.
- الخلافة محرِّرة البلاد والعباد.
- صفقة ترامب ستدوسها الخلافة وجيوش المسلمين.
- الخلافة سبيل الأمة الوحيد لعز الدنيا والآخرة.
- العمل لإقامة الخلافة صفقة رابحة مع الله.
- فلسطين تنادي المسلمين: أليس فيكم صلاح الدين؟!

• أصدر حزب التحرير في الأرض المباركة (فلسطين) مطوية مميزة بعنوان «**ألم يأنِ للأمة الإسلامية وجيوشها أن تقيم الخلافة وتحرِّرَ المسجد الأقصى المبارك**»، سائلين الله سبحانه أن تجد طريقها إلى الأمة الإسلامية وجيوشها فتعيها أذن واعية.

• قام القسم النسائي في حزب التحرير/ الأرض المباركة (فلسطين) استجابة لتوجيهات أمير الحزب العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بالمشاركة في الحملة العالمية التي أطلقها الحزب بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الإسلام (الخلافة)، بتنظيم حوار حي مع ثلة واعية من حاملات الدعوة في الأرض المباركة سلَّطنَ فيه الضوء على الذكرى من جوانب مختلفة.

ز- ولاية باكستان:

• حملة ترويج «كلمة أمير حزب التحرير»

نظَّم حزب التحرير/ ولاية باكستان حملة إعلامية واسعة على مواقع التواصل الإلكتروني للترويج لكلمة أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة بمناسبة الذكرى الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة. وفي ٢٣ آذار/مارس ٢٠٢٠م، أصبحت الحملة التي نظمت على تويتر ثالث أكبر شائع على مستوى البلد.

ح- هولندا:

• نظم حزب التحرير/ هولندا بثًّا حيًّا عبر الإنترنت يوم الأحد، ٢٧ رجب المحرم ١٤٤١هـ الموافق ٢٢ آذار/مارس ٢٠٢٠م بعنوان «**لا أمان بدون دولة الخلافة على منهاج النبوة**» تناول ما تعانيه البشرية اليوم من انتشار المرض الفيروسي كورونا، وعدم الشعور بالأمان، وهكذا حال المسلمين منذ هدمت دولتهم، تكالبت عليهم الأمم: فها هم في الصين يسجنون ويعذَّبون، وكذا في ميانمار والهند وغيرها من البلاد، بلادهم محتلة وثرواتهم منهوبة، وسبب كل ذلك، هو غياب الإمام الذي يقاتل من ورائه ويتَّقى به لأكثر من ٩٩ عامًا، ولن تقوم لنا قائمة ولن نشعر بالأمان إلا بعودة الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ، كما وتناول البث الحي الطريقة الشرعية لإقامة دولة الإسلام.

ط- أميركا:

• بتوجيه من أمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة حفظه الله، أطلق حزب التحرير حملة عالمية واسعة بمناسبة الذكرى الهجرية الـ٩٩ لهدم دولة الخلافة، ٢٨ رجب المحرم ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م، وبهذه المناسبة عقد حزب التحرير/ أميركا يوم الأحد، ١٢ شعبان ١٤٤١هـ الموافق ٠٥ نيسان/أبريل ٢٠٢٠م مؤتمره السنوي «مؤتمر الخلافة ٢٠٢٠» تحت عنوان: «**الاضطراب العالمي إلى الهدوء العالمي**»، وذلك عبر بثٍّ حيٍّ مباشر على الإنترنت بسبب أزمة فيروس كورونا التي يعاني منها العالم الآن. وإنه في خضم جائحة، ألحقت أزمة اقتصادية أخرى بالمليارات في جميع أنحاء العالم.

دار المؤتمر حول الأمور التالية:

أثرت عمليات التسريح الجماعية للعمال ومئات الملايين من الأشخاص الذين يعيشون تحت قيود البقاء في المنزل على حياة لم يشهدها العالم من قبل. يحدث هذا على خلفية قائمة من عدم المساواة المتزايدة في الثروة وزيادة الاضطرابات السياسية والأزمات الإنسانية التي عصفت بالعالم لعقود.

تتعرض الأمة الإسلامية لقمع هائل بغض النظر عن كونها أقلية أو أغلبية.

من الشرق إلى الغرب، لم تتمكن الحكومات الرأسمالية العلمانية من بناء مجتمعات متناغمة وفشلت في تأمين الاحتياجات الأساسية للمليارات.

يتوق العالم إلى حل بديل.

الحل العالمي هو تطبيق النظام الإسلامي في ظل دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة. ■

أميرَ الركبِ بايعناكَ طوْعاً

نافذ الجعبري – الأرض المباركة

مضى عهدُ المذلّةِ والخضوعِ ... وفجرُ الحقِّ آذنَ بالطلوعِ

وأشرعةُ الخلافةِ قد تبدَّت ... وصوتُ الحقِّ باشرَ بالصدوعِ

وها هيَ دعوةُ الأحرارِ تعلو ... وتنشرُ خيرَها بينَ الربوعِ

ويقدُمُنا إلى العلياءِ حرٌّ ... كساهُ اللهُ من سَمتِ الخشوعِ

عطاءُ الخيرِ يحدونا لخيرٍ ... حماهُ اللهُ من أهلِ الخنوعِ

أميرَ الركبِ بايعناكَ طوْعاً ... وأسكَنّاكَ ما بينَ الضلوعَ

فلا نرضى بعهدِ اللهِ نكثاً ... ولا نصغي لمُرتابٍ خدوعِ

ولا نرضى الدنيةَ ما حيينا ... ولم نحفل بخوفٍ أو بجوعِ

نغذُّ السيرَ نعلنها جهاراً ... ولا نرجو السلامةَ بالرجوعِ

ونحملُ همَّ أمتِنا ونأبى ... مداراةَ العواصفِ بالركوعِ

ونزرعُ في الأنامِ بذورَ خيرٍ ... لنقطفَ من جنى تلكَ الزروعِ

رجالٌ لا تُزَعزِعُنا خُطوبٌ ... ولا نرضى النقيصةَ بالبيوعِ

شبابُ الدعوةِ الغرّاء أسدٌ ... تُجافي كلَّ رِعديدٍ جزوعِ

وتسمو فوقَ نازلةِ الليالي ... تبدِّدُ عَتمَها مثلَ الشموعِ

وعينُ اللهِ تكلؤُها بخيرٍ ... حماها اللهُ هاتيكَ الجموعِ■

المحور الثاني:

الإسلام

وحده القادر على قيادة البشرية

- **الإسلام وقدرته على قيادة البشرية، وحل أزماتها التي ولدتها الرأسمالية الفاشلة.**
- **طاقات الأمة الكامنة وافرة للتغيير المنشود.**
- **الأمة قريبة من حسم الصراع مع الغرب.**
- **عودة الخلافة (قصيدة).**

الإسلام وقدرته على قيادة البشرية، وحل أزماتها التي ولدتها الرأسمالية الفاشلة

عبد الله أبو مصعب - الأرض المباركة

يعيش العالم اليوم في أسوأ حالاته على كافة المستويات، وهو ينحدر من سيئ إلى أسوأ في كافة المجالات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ وذلك بسبب هيمنة الغرب الكالملة على دول العالم، وتحكم عقيدته الرأسمالية وما تولد عنها من أنظمة ظالمة وجائرة وفاسدة... جعلت دول العالم كلها تعيش لزومًا في أزمات وكوارث على كل صعيد لا تنتهي، وهذا ما يجعل الجميع يفتش عن الحل ويسعى إليه... وهذا الحل موجود في الإسالم حصرًا لأنه رباني، ولأنه لا يوجد في الواقع سواه... هذا الحل يدركه الغرب ويسعى إلى محاربته ونشويهه لإبعاده عن تسلم قيادة البشرية وحل أزماتها المتولدة عن الرأسمالية الفاشلة.

ولنستعرض معًا انحدار العالم على كافة المستويات بسبب تحكم هذه الرأسمالية الباطلة.

فعلى المستوى السياسي: ينام العالم ويفيق على أطنان من الكذب والنفاق السياسي، وتعيش مناطق التنافس السياسي على النفوذ في العالم اضطرابات سياسية وأحداث عاصفة لا تهدأ، فأميركا الجنوبية وبعض دول أوروبا وشبه القارة الكورية والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية وأفريقيا، لا تهدأ فيها الأزمات الداخلية والخارجية بفعل التنافس السياسي المحموم للسيطرة على مناطق العالم الاستراتيجية ومصادر الطاقة والثروات الطبيعية فيه، وبفعل الإجماع الدولي على ضرورة محاربة الإسلام ومنع عودة الكيان السياسي الذي يوحِّد المسلمين ويجمع شتاتهم، فاحتلال العراق وفضائح سجن أبو غريب، واحتلال أفغانستان وسجن باغرام، وقضية فلسطين وكشمير واحتلالهما وارتكاب أبشع المجازر في حق أهلهما، وتقسيم السودان وإندونيسيا والإبادة الجماعية في الشيشان والبوسنة، والحروب الأهلية المدمرة في أفريقيا، والحروب الطائفية والنزاعات القبلية في مناطق كثيرة من العالم، شواهد حية وباقية على أوضاع العالم تحت الحكم الرأسمالي البغيض، فمنذ أن تربعت الرأسمالية على عرش السياسة العالمية والعالم يعيش اضطرابات سياسية لا تتوقف، وحروبًا سياسية واقتصادية وعسكرية طاحنة بين الدول الرأسمالية الكبرى دون أي ضوابط أو قيم، فكل الوسائل والأساليب القذرة مباحة في هذا الصراع؛ ولذلك نتج عنه طبيعيًا ملايين القتلى وعشرات ملايين الجوعى والمهجرين حول العالم؛ فهؤلاء لا قيمة لهم، بل أضحى وجودهم من لوازم الضغط في هذا الصراع السياسي لضمان التفوق وتحقيق الأهداف، لقد أصبح الاستثمار في الحروب ومعاناة البشرية جزءًا من سياسة رأسمالية طويلة الأمد

لا تنتهي.

إذًا، تتحكم أميركا بشكل أساسي وبعض دول أوروبا وروسيا والصين في السياسة الدولية وفي مصير الدول والشعوب، وتقوم بتقسيم العالم واستباحة دوله وإغراقها في الأزمات السياسية وشن الحروب إن لزم، بما يحقق مصالحها، بينما مصالح شعوب العالم الأخرى ليس لها أي قيمة أو وزن، فهي تشعل الحروب حول العالم بحجج واهية كاذبة كـ«**الحرب على الإرهاب والتطرف**» و«**نشر الديمقراطية**» و«**الدفاع عن الأقليات**» و«**الحفاظ على القيم الغربية المتفوقة**» وتحتل البلاد وتقيم فيها قواعد عسكرية تستخدم للقتل والترويع وإخضاع الخصوم المحتملين، وهي تفرض رؤيتها على أي حل سياسي للمشكلات التي تصطنعها في الغالب أو يكون لها يد في تأجيجها من أجل ضمان إشغال هذه البلاد في أزمات مستمرة ترهقها وتبقيها دائمة الارتباط والتعلق بالجهات الدولية الاستعمارية وأدوات نفوذها السياسي كالأمم المتحدة ومجلس الأمن فلا تنفك عنها أبدًا.

والعالم الإسلامي على ما يزيد عن قرن من الزمان يعيش في قلب هذه المشكلات السياسية المصطنعة والتي تعصف به نتيجة استهداف الدول الغربية الرأسمالية له بوصفه العدو الأول للرأسمالية، وهو المرشح الوحيد المؤهل للقضاء عليها وإعادة بناء العالم والعلاقات فيه على أسس جديدة، ووجهة نظر فريدة، وطريقة عيش متميِّزة، عالم تعلو فيه القيم الروحية والإنسانية والأخلاقية على القيم المادية البحتة. وما العقوبات الاقتصادية والسياسية والعسكرية الواسعة ضد البلدان المسلمة، والاعتداءات العسكرية وارتكاب المذابح بحق المسلمين في مختلف بلدانهم، ونهب الأموال والموارد الطبيعية، والغزو الثقافي، وقبل ذلك كله الأنظمة البوليسية العميلة التي نصبها المستعمرون في بلادنا لضمان مصالحه بعد هدم دولة الخلافة العثمانية الكيان السياسي للمسلمين... ما كل ذلك سوى جانب من المصائب التى ابتلي بها مسلمو العالم بفعل السياسات الغربية الاستعمارية التي تستهدفهم أكثر من غيرهم في هذا العالم؛ فهم يجمعون بين عقيدة منافسة وثروات هائلة وشعوب حية تتحفز إلى التغيير وحكم العالم كما كانت على مدى قرون سابقة.

وفي مجال الاقتصاد: تنهب ثروات العالم الضعيف لصالح الدول الرأسمالية القوية وثلة الرأسماليين الجشعين الذين يحكمون قبضتهم على القرارات الجوهرية في الاقتصاد العالمي، وهم ليسوا محتكرين ماليين مؤلفين من مصارف وشركات تأمين فحسب، بل جماعات تسهم في الإنتاج الصناعي وقطاع النقل والخدمات وغيرها، في الوقت الذي يعيش أهل تلك البلاد في فقر وعوز، ينظرون إلى ثرواتهم التي تزخر بها بلادهم بينما يتمتع بها غيرهم.

فأدوات الرأسمالية الاقتصادية كتحرير الاقتصاد واعتماد نظام السوق وتخفيض النفقات الاجتماعية (دعم التعليم والانفاق

على الصحة والبنية التحتية والمرافق وغيرها)، وكالاتفاقيات الاقتصادية والعقوبات الدولية وصندوق النقد والبنك الدوليين تتمدد في العالم لضمان استمرار الهيمنة والسيطرة على موارد العالم وثرواته النفطية والمعدنية، وضمان بقاء الدول الأخرى ضعيفة وعاجزة عن النهوض.

فصندوق النقد الدولي الذي يجوب كل بقاع العالم بمؤازرة الدول العظمى والنخب الغربية سعيًا وراء خصخصة مواردها، وحثها على فتح أسواقها أمام الشركات متعددة الجنسيات، والخصخصة الجماعية الناشئة عن ذلك هو ما يعد حجر زاوية في السياسة الخارجية الأميركية التي تجعل الفساد متفشيًا في أنظمة الحكم الأوتوقراطية. وفى كل البلاد التى نفذت وصايا البنك الدولي برعاية الدول الرأسمالية الكبرى كانت النتيجة مروعة حيث تراجعت معدلات النمو والتنمية وازدادت معدلات الفقر والبطالة والوفيات والجرائم أيضًا.

لقد صدر العدد الجديد من سلسلة عالم المعرفة لشهر نوفمبر من العام ٢٠١٩م، برقم ٤٧٨، وعنوانه: **(رأسمالية الكوارث: كيف تجني الحكومات والشركات العالمية أرباحًا طائلة من ويلات الحروب ومصائب البشرية)** للمؤلف أنتوني لوينشتاين، والكتاب الذي يعد نتاجًا لبيئة ما بعد هجمات ١١ سبتمبر في نيويورك يكشف الوجه القبيح للنظام الرأسمالي الغربى، ويُسقط القناع الذي يتخفى وراءه هذا النظام لكي يستمر في ممارسته لاستغلال الشعوب الضعيفة في العالم، والاستفادة من المآسى الإنسانية للاجئين والكوارث الطبيعية، والحروب والصراعات من أجل التربُّح، ومواصلة النهب الممنهج لخيرات هذه الشعوب ومواردها، واستنزاف ثرواتها الطبيعية لمصلحة الحكومات الغربية والشركات متعددة الجنسيات. يقول الكتاب: «لقد خلقت السياسات الرأسمالية للدول الكبرى مآسى وكوارث لشعوب كثير من الدول تحت اسم «تحقيق التنمية وتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان والأعمال الإغاثية»، إذ إن النتائج دائمًا ما كانت سلبية وبعيدة عن المخطط له، فضلًا عن أنها حاولت إطالة أمد هذه الكوارث ليصبح الأمر أشبه ما يكون بتجارة كبرى تدرُّ المليارات على الشركات والمقاولين».

لقد كان قرار الرئيس الأميركي السابق «باراك أوباما « أثناء الأزمة المالية العالمية الأخيرة بمنح بنك أميركا ٤٥ مليار جنيه إسترليني تقريبًا للحيلولة دون انهياره دليلًا على الردة الحضارية؛ حيث تسمح الدولة لنفسها التدخل في الاقتصاد لصالح الأغنياء بعد أن كانت ممنوعة من ذلك، ثم ما يلبث الاقتصاد أن يعود سيرته الأولى بعيدًا عن هيمنة الدولة، كما يعتبر دليلًا على مدى إجرام الرأسمالية حتى في حق الضعفاء من أبنائها، فقد تغاضت إدارة أوباما عن مسألة ارتكاب بنك أميركا مجموعة من الجرائم العجيبة منها التحايل والتلاعب بمنتهى السرية، وخداع المستثمرين وشركات التأمين وأصحاب الودائع

وملَّاك المنازل وأصحاب الأسهم والمتقاعدين ودافعي الضرائب. وكان البنك الأميركي وراء وقوف عشرات الآلاف من الأميركيين أمام المحاكم المختصة بالحجز على الرهونات العقارية باستخدام أدلة مزوَّرة لسندات موقعة دون قراءة أو فهم أو مراجعة ما تتضمنه من معلومات. وقد باع البنك رهونات عقارية لا قيمة لها للعشرات من صناديق معاشات التقاعد، والنقابات العمالية بمئات الملايين من الدولارات، وكان ذلك هو سبب استنزاف قيمتها، مما يؤكد أن الرأسمالية والقائمين عليها لا يراعون في الفقراء والمحتاجين إلَّا ولا ذمَّة، ولا مكان عندهم إلا للقيم المادية التي تجعلهم يحافظون على مصالحهم فقط، ولو كان الثمن أن يفقد عشرات الآلاف مدَّخراتهم ومساكنهم التي تأويهم.

وسبب تمركز الانفجارات في أميركا هو أنها باتت المركز المالي، أي أن بنوكها باتت مركز تراكم كل المال الفائض الذي كانت بحاجة إلى استقدامه من أجل تعديل «الميزان التجاري» بعدما باتت تستورد أكثر بكثير مما تصدر.

وهذا ما جعل القطاع المالي الذي ينشط في المديونية والمضاربة وأسواق الأسهم والمشتقات المالية هو القطاع الأساسي في الاقتصاد الأميركي، ومن ثم أصبحت أميركا مرتع الطغم المالية، وباتت مصدر كل الأزمات التي تظهر من حين لآخر، لهذا دخلت في دائرة الأزمات المستمرة، وفي وضعية إدارة الأزمة دون التفكير في إمكانية حلها بالضبط؛ لأن حلها يفترض شطب الطغم المالية ذاتها، والتخلي عن النظريات الرأسمالية في السياسة والاقتصاد، وحرق تراكم مالي هائل بات عبئًا على الاقتصاد الحقيقي؛ ولهذا سنشهد أزمة مستمرة متصاعدة، مع انهيارات متتابعة بين الحين والآخر ينال شررها معظم دول العالم. فالمعالجات الرأسمالية المطروحة لا تمسُّ جوهر الأزمات الاقتصادية المتعاقبة، وإنما تركز على آثار الأزمة وظواهرها. فالذي يرى منهم أن فقدَ المؤسسات المالية للسيولة يسبب الأزمات يقول بضخ المليارات والمليارات لإيجاد السيولة للمؤسسات. والذي يرى أن الركود والتجمُّد الذي يصيب الأسواق المالية والاستثمار هو المتسبب بالمشكلات والتعثر في الاقتصاد يطالب بتخفيض الفائدة (الربوية) على القروض لتشجيع الاقتراض، وبالتالي يتحرك السوق، والذي يرى أن الأسهم والسندات والأوراق المالية قد فقدت معظم قيمتها وتجاوزت الخطوط الحمراء، يقول إنه لا بد أن تتدخل الدولة وتشتري الأصول المتعثرة وكثيرًا من الأسهم والسندات والأوراق المالية... لقد كانت كل هذه المعالجات دون فائدة، كمن يحرث في البحر، أو كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه؛ لأنها كلها معالجات قاصرة تقوم على تصور خاطئ لأصل المشكلة وتنطلق من تصور خاطئ بحثًا عن الحل.

كل ما سبق يبرهن أن هذا النظام الرأسمالي العلماني جبل على خلق الأزمات، وأن هذه الأزمات ظاهرة ملازمة للاقتصاد الرأسمالي،

وهو يحمل الأزمات كما تحمل السحب المطر، فهو يقوم على تشخيص المشكلة الاقتصادية بأنها في ندرة الموارد بالنسبة إلى الحاجات المتجددة والمتزايدة عند البشر فينشغل بتنمية الثروة وزيادة الإنتاج وقرصنة ما بأيدي الآخرين لسد العجز من وجهة نظره، ثم يغفل عن توزيع هذه الثروة توزيعًا عادلًا بحيث ينال كل فرد في المجتمع حصته من الثروة فيعيش حياة كريمة مطمئنة، إلى أن وصل الحال إلى فائض كبير في الإنتاج في مقابل الاستهلاك، ومع ذلك بقيت المشكلات الاقتصادية وعلى رأسها الفقر والبطالة قائمة وفي تزايد. وهو أيضًا اقتصاد قائم في معظمه على الاقتصاد الوهمي (سوق الأوراق المالية) وعلى الربا، والاحتكار، وإلغاء الملكية العامة، وإعطاء الامتيازات لحفنة من الرأسماليين ليبقى المال دولة بيد الأغنياء، وأوراقه المالية متذبذبة القيمة بشكل كبير وخاضعة للمضاربات مما يفقد الناس كثيرًا من قيمة مدَّخراتهم بين فترة وأخرى، وذلك لعدم احتفاظها بغطاء كامل من الذهب والفضة.

ولذلك كله، ولأن الخلل بنيوي في النظام؛ لم تكن أزمة الرهن العقاري عام ٢٠٠٨م وآثارها الممتدة إلى الآن هي أول أزمات الرأسمالية ولن تكون الآخيرة، فانهيار سوق نيويورك في ما يعرف بالكساد الكبير الممتد من ١٩٢٩م إلى ١٩٣٣م، وأزمة الدولار عام ١٩٧١م التي نتج عنها إعلان نيكسون فك ارتباط الدولار بالذهب، وأزمة الاقتصاد السويسري عام ١٩٧٣م والتي تراجع فيها عدد الوظائف في قطاع الساعات من ١٠٠٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ وظيفة وانهيار قطاع البناء، وأزمة سوق الأسهم الأميركية عام ١٩٨٧م عندما انخفض مؤشر داو جونز بنسبة ٢٣ بالمئة، وأزمة مؤسسات التوفير والإقراض في أميركا من ١٩٨٩م إلى ١٩٩١م والتي بدأت بإفلاس عدة مئات من المؤسسات الصغيرة نسبيًا والمتخصصة بالقروض الشخصية العقارية، وانفجار فقاعة الأسهم للأصول في اليابان من سنة ١٩٨٩م إلى ١٩٩٨م والمسماة بالعقد الضائع، وأزمة المكسيك نتيجة عمليات بيع كثيفة لسندات حكومية خاصة بالبيزو المكسيكي عام ١٩٩٤م، والأزمة المالية الآسيوية عام ١٩٩٧م، وانهيار سوق النازداك في نيويورك عام ٢٠٠١م، وأزمة الأرجنتين عام ٢٠٠١م حتى ٢٠٠٢م... وغيرها العشرات من الأزمات الاقتصادية المدمرة والتي عصفت بالمجتمعات الرأسمالية وما حولها خلال قرن من الزمان.

وفوق ذلك، وفي ظل أعتى الأزمات، يبقى الرأسماليون وأساطنة المال يحتملون الخسارة حتى تمر الأزمة، بل ويربحون من استغلال الناس كانتعاش سوق الرهن، وتأسيس شركات التصفية، وتقديم خدمات الأمن الخاصة للأغنياء لحمايتهم من الفقراء، وكذلك إمكانية استيلاء الرأسماليين الكبار على أكبر قدر من المصانع والشركات دفعة واحدة بأبخس الأسعار. وكما نرى فإن النظام قادر على الاستمرار فى ظل أسوأ الأزمات، مكرسًا البؤس

والشقاء والفقر للجماهير؛ وذلك بحكم قدرته على التكيُّف وامتلاكه لوسائل إدارة الأزمات والقفز فوقها، وعبر توظيف عوامل عديدة لإطالة أمد عمره مثل تصدير رأس المال ونهب دول العالم الغنية بالثروات والتهديد باستخدام القوة الضاربة ضد كل من يخالفه أو يقف في طريقه فهو نظام «حربائي» يتلوَّن مع الظروف ويتشكَّل وفق الحوادث والأزمات، وطالما لم يوحد الناس صفوفهم على نظام جديد يُنهي النظام الرأسمالي ويوجه له ضربات قاصمة في لحظة الأزمات سيبقى هذا النظام قائمًا على قدميه بأزمات متجددة ومتلاحقة تزيد من عمق الكارثة وترفع من حرارة آثارها، وسيشعر العالم بها أكثر من ذي قبل، لأن الرأسماليين استنفذوا الحلول الداخلية أو كادوا، ولم يبقَ إلا أن يدفع العالم القيمة الأكبر من فاتورة الجشع الرأسمالي، كما حدث مع السعودية التي دفعت لأميركا «ترامب» ما يزيد عن ٥٠٠ مليار دولار خلال الشهور الماضية مقابل الحماية، وكما يحدث في أفريقيا من نهب ممنهج للثروات المعدنية والنفطية فيها من قبل الدول والشركات الغربية الرأسمالية بعد أن أشغلتها بحروب أهلية لا تنتهي، وما ذلك إلا لتخفيف الضغط عن الاقتصاد الرأسمالي ومحاولة الصمود لأطول زمن ممكن قبل السقوط النهائي.

ويذهب « أنتوني لوينشتاين» في كتابه **(رأسمالية الكوارث)** إلى أن: «الرأسمالية المفترسة تتجاوز نطاق استغلال الكارثة، ذلك أن العديد من الأزمات المستمرة حاليًا يبدو أن الشركات هي التي أبقتها وأطالت أمدها بهدف دعم وتشغيل صناعات لديها حصة مالية فيها» وشبَّه هذه الشركات بـ»الطيور الجارحة التي تتغذى على جثة حكومة ضعيفة، والتي تعتمد هي الأخرى على القطاع الخاص لتوفير الخدمات العامة» ويذهب المؤلف إلى أن «الشركات باتت الآن أكثر قوة من « الدولة والأمة» وصارت تملي إرادتها وتفرض شروطها عليها، وهذا يعني حصول تحوُّل عميق في السلطة خلال النصف الثاني من القرن الماضي».

واللافت للنظر ذكر المؤلف أن الحرب على الإرهاب جلبت ثروات طائلة لا يمكن حصرها لشركات سعت إلى الاستفادة من فكرة الخوف من الإرهاب، ويضرب أمثلة على ذلك، فشركة «سي أي سي آي» الأميركية تخصصت في توفير المحققين في سجن أبي غريب في العراق، وشركة بوينغ لصناعة الطيران تورطت في تسيير رحلات نقل أشخاص مشتبه فيهم من أجل تعذيبهم، ويذكر المؤلف أنه في عام ٢٠١١م أخبر وزير الدفاع البريطاني «فيليب هاموند» الشركات أن تحزم حقائبها استعدادًا لحيازة عقود إثر الحملة على القذافي في ليبيا». وينهي المؤلف مقدمة كتابه بالقول إنه مع احتمال استمرار الحرب على الإرهاب عقودًا، فلن يكون هناك نقص في الأعمال التي يمكن تأمينها، ويذكر أن الأمم المتحدة نفسها تعتمد بشكل متزايد على شركات مرتزقة غير

خاضعة للمساءلة مثل شركة «دين كوب» وشركة «جي فور إس " وهما شركتان لهما سجلات مريبة، ويذكر أن وزارة الدفاع الأميركية توظف ما يقرب من أربعين ألف مقاول في أفغانستان التي يبدو أن الحرب فيها لا يلوح لها أفق نهاية .

وعلى المستوى الاجتماعي فتفكك الأسر، وتسويق تجارة الجنس باسم السياحة، وعصابات القتل والجريمة، والنظرة الحاقدة للأقليات تطفو على السطح بشكل واضح ومفضوح، والفساد ينخر جسد الأسرة الغربية إن وجدت، وقد تغير مفهوم الأسرة في انحراف فطري مدوٍّ، وفي سلوك حيوانيٍّ ظاهر يهدد بنية الأسرة ودورها، فأصبح بالإمكان تكوين الأسرة من رجل ورجل معًا، أو امرأة وامرأة معًا، أو إنسان وحيوان معًا، وحتى إنسان وجماد... تحت حماية القانون وبمباركة منه. فالعلاقات خارج إطار الزوجية والشذوذ الجنسي أصبحا أصلًا في تلك المجتمعات الخاوية على عروشها، كل ذلك بسبب النظرة الرأسمالية الخاطئة للمرأة ولعلاقتها مع الرجل، حيث نظرت إلى المرأة على أنها سلعة تُعرض في المنتديات والملاهي، ومحلًا للمتعة وإشباع الشهوات، وكان من جرَّاء ذلك أن جُعلت نظرة الرجل إلى المرأة ونظرة المرأة إلى الرجل نظرة جنسية بحتة، مما جعل الرجل لا يرى في المرأة إلا مكانًا لقضاء شهواته، وجعل المرأة تحرص دائمًا على أن تظهر بذلك المظهر الذي يلبي تلك الشهوات؛ وهو ما أفسد الحياة العامة، وأدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية خطيرة كأبناء الزنا الذين يفوق عددهم نصف عدد المواليد السنوي في بعض البلاد الغربية.

وبحسب نمط الحياة الغربية المبنية على المفهوم الرأسمالي للأسرة والمجتمع، فإن الرجل ليس له قوامة على بيته وعياله، وليس مكلفًا بالنفقة على زوجته، فهي تعمل لتنفق على نفسها، فالرأسمالية تجعل العلاقة بين الزوجين تقوم على النّدية وتقاسم الواجبات، وكأنهما في حالة صراع، وأما الأبناء فكثير منهم يترك ذويه عندما يبلغ سن الثامنة عشرة، ويستقلُّ بنفسه ولا تصبح له أي علاقة بوالديه، وفي أحسن الحالات يودِعهم في مأوى للعجزة ويزورهم في المناسبات... ويريد الغرب لهذا الفساد أن ينخر جسد الأسرة المسلمة لتصبح شبيهة بالأسرة الغربية تعيش مفككة وبلا قيم.

إن هذه الكوارث المروِّعة حول العالم ما هي إلا نتيجة طبيعية للعقيدة الرأسمالية الباطلة وأنظمة الحياة الفاسدة المنبثقة عنها، وليست هي وليدة إساءة في التطبيق هنا أو هناك، أو خطأ غير مقصود يقع فيه الساسة الرأسماليون، فليس للرأسمالية نموذج واحد للتطبيق يمكن أن يذكر بخير خلال قرن من الزمان أو يزيد، فدراسة مستنيرة للعقيدة الرأسمالية العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة وللفكر الرأسمالي الذي يطلق العنان للحريات، ومعالجاتها التي تقوم على الترقيع والتسكين المؤقت في انتظار موجة جديدة من الأزمات، يظهر عمق وعقم الفكرة

الرأسمالية التي تعيشها المجتمعات والدول الرأسمالية، والتي تفرضها على العالم بالقوة وبالخداع والتضليل والتخويف، ويظهر لكل صاحب بصيرة المستقبل المظلم الذي يقود إليه تطبيق نظرياتها في السياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد والاجتماع وغيرها، فهي لا تصلح لأن تكون طريقة عيش؛ إذ تقوم على وجهة نظر خاطئة عن الحياة الدنيا تجعل التشريع للإنسان العاجز، متقلب المزاج ومتغير المصالح والرغبات، فالإنسان (وخصوصًا صاحب رأس المال) هو صاحب اليد الطولى في التشريع وسن القوانين ووضع المعالجات، وإنه لا يخفى على أحد أن هذا الانسان الذي يفشل في إدارة كثير من القضايا ومعالجة كثير من المشكلات على المستوى الشخصي هو أعجز من أن يقوم بدور المنقذ للبشرية ومشكلاتها وللعالم وأزماته، فهو لا يحيط من الحاضر إلا بالقليل، ولا يعلم من المستقبل إلا ما يقوم على الاستقراء والتخمين، وهو لا يمكن بحال من الأحوال أن يتجاوز مصالحه ورغباته حين يضع القانون، فمصلحته أولًا وأخيرًا.

لقد كان القرن الرأسمالي الماضي، قرنًا أسودَ على أهل الكرة الأرضية، تميَّز بالحروب المدمرة كالحربين العالميتين الأولى والثانية، عدا عن الحروب الإقليمية والمحلية التي أشعلتها الدول الرأسمالية حول العالم لتكون مبررًا لتدخلها وربط قضايا العالم بها والإمساك بخيوط الحل فيها. والحروب الاقتصادية والتنافس على الأسواق العالمية ليس بأقل ضررًا ولا أثرًا على شعوب العالم، فما يحصل بين الصين وأميركا، أو بين أميركا ودول أوروبا، من صراعات اقتصادية يلقي بظلاله على شعوب العالم ودوله وخصوصًا الفقيرة والمسحوقة منها.

إن الرأسمالية اليوم هي المتحكمة في جميع مفاصل الحياة الإنسانية في كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإن أنظمتها وتشريعاتها هي التي صاغت منذ أمد ومازالت تصوغ المجتمعات بشكل مباشر أو غير مباشر على نمط معين نراه اليوم في معظم أجزاء الكرة الأرضية، وإنه لا يوجد ناحية واحدة من نواحي الحياة الانسانية تدخلت فيها الرأسمالية إلا وأفسدتها، ولا يوجد مثال واحد حول العالم على أزمة من الأزمات الدولية تبنتها الدول الرأسمالية فعالجتها، بل إن تدخلها زاد الطين بلة، وولد أزمات وأزمات جديدة جعل الأزمة الأصلية تتضاءل حتى لا تكاد ترى.

إن الإسلام قد نُحِّيَ بالكامل عن الدساتير والتشريعات إلا النزر اليسير من أحكام الزواج والطلاق في النظام الاجتماعي، وهذه يجري العمل حاليًا على استهدافها أيضًا بتطبيق اتفاقيات غربية كاتفاقية سيدوا، وكخطة التنمية المستدامة التي تخالف موادُّها ومقرراتها أحكام الإسلام مخالفة تامة.

وعليه فإن من يتحمل مسؤولية كل الأزمات التي تتوالى في هذا العالم حتى لا نكاد نخرج من واحدة إلا وتداهمنا أخرى هي الرأسمالية

بعقيدتها وتشريعاتها والدول التي تتبناها وتفرضها على العالم بالبلطجة والاستعمار.

إن الأمة الإسلامية وحدها مؤهلة لقيادة العالم واخراجه من أزماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمبدأ الإسلام وحده القادر على حل هذه المشاكل والأزمات والقضاء على حالة الفوضى والاضطراب. فنصوص القرآن التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ تدل على عالمية رسالة الإسلام بصراحة منها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الصريحة الواضحة الدالَّة على عالمية رسالة الإسلام.

فمن الناحية السياسية ينظر الإسلام إلى العالم بوصفه محلًا لحمل رسالة الإسلام التي تخرجهم من الظلمات إلى النور، وتوجد الاستقرار السياسي في العالم بما تحمله الأمة الإسلامية من رسالة ربانية تجعلها خير أمة أخرجت للناس، تسعى إلى إنقاذهم من الظلم والجور والضلال إلى العدل والهداية. والإسلام في حمله للعالم لا يتخيَّر بين غثٍّ وسمين، ولا بين بلد غني وآخر فقير، وهو لا يطمع في ثروات البلاد الأخرى فيستعمرها ويسرق ثرواتها ويترك أهلها مشرَّدين يقتلهم الجوع والمرض، ولا يؤجِّج الفتن والحروب والصراعات بين أبنائها لتخلو له الأجواء ليعيث في البلاد الفساد والإفساد، بل إنه بمجرد دخول البلاد تحت حكم الإسلام يصبح لها ما لباقي أجزاء الدولة وعليها ما عليها من الحقوق والواجبات؛ كل ذلك امتثالًا لوصية رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود عن سليمان بن بُريدةَ، عن أبيه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أُغزُوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتِلوا مَن كَفَر بالله، اغزوا ولا تَغدِروا، ولا تَغلُّوا ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا**». وفي رواية عند البيهقي وغيره: «**ولا تقتلوا وليدًا طِفلًا، ولا امرأةً، ولا شيخًا كبيرًا...**».

أمَّا من الناحية العمليَّة التطبيقيَّة، فإنَّنا نجد بتصفُّح السِّيرة النبويَّة ودراستها أنَّه على الرَّغم من كثرة عدد الحروب والغزوات التي خاضها النبي ﷺ ثُمَّ التي خاضها أصحابه - رضوان الله تعالى عنهم - فإنَّه لم يُعرف عنهم أنَّهم قصدوا قتلَ ذراري وأطفال المشركين، أو قتْل نِسائهم، أو شيوخهم رغمَ ما تعرَّض له المسلمون من اعتداءات سافرة.

ورسالة الإسلام هي وحدها التي تقضي على التفرقة بين الناس، وحل النزاعات الإقليمية أو الطائفية أو العنصرية أو القبلية أو الوطنية؛ فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العصبية والعنصرية والطائفية، ويرفض جعلها مقياسًا للتفاضل بين البشر، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ ؛ ولذلك؛ فإن المسلمين لا يقاتلون رغبةً في التدمير أو إذلالًا للناس أو تعذيبًا لهم، كما تفعل جيوشُ المستعمرين الغربيين، الذين يُذلُّون الشُّعوب،

ويُدمِّرون كلَّ شيء لأعدائهم؛ مدنَهم ومزارعَهم وحيواناتِهم، دون أدنى قدر من القيم، بل إن جيوش المسلمين تقاتل لتزيل كل العوائق بين الأمم والشعوب وبين إيصال كلمة التوحيد وشريعة الرحمن ودخولهم تحت حكمها، فإذا ما خُلي بين المسلمين وبين من يدعونهم فلا قتال.

وأما من الناحية الاقتصادية، فإن نظرة الإسلام للمشكلة الاقتصادية نظرة صحيحة باعتبارها في توزيع الثروة وليست في الإنتاج، والضامن الوحيد لهذا التوزيع بل لتوزيع عادل يضمن إشباع حاجات جميع الأفراد هو نظام منبثق من عقيدة روحية سياسية من لدن لطيف خبير يحيط بحاجات عباده ومصالحهم، ويوافق ما في فطرة الإنسان من عجز واحتياج إلى خالق مدبر، هو نظام طالما ارتقى بحياتهم إلى حياة كلها رفعة وسعادة ورفاه وطمأنينة وأمن وأمان، قال تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾. فقد شرع الإسلام أحكامًا شرعية ليضمن توزيع الثروة بين الناس، وليحول دون اختلال التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع الإسلامي وذلك بالأمور التالية:

١- فرض الزكاة: وهي أخذ قسم من مال الأغنياء بشروط وتوزيعه على الفقراء، فإن النبي ﷺ حين أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: **«أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم».**

٢- لكل فرد من أفراد الرعية حق الانتفاع من الملكية العامة ومن وارداتها، كالمعادن والنفط والغاز.

٣- توزيع الدولة من أموالها على أفراد الرعية المحتاجين دون مقابل، كإقطاع الأراضي للقادرين على زراعتها، والإنفاق عليهم من الخراج والجزية.

٤- منع التشريع الإسلامي كنز الذهب والفضة، بوصفهما أداة التداول، وأثمانًا للسلع والخدمات، ليظل النقد مستثمرًا في الزراعة والتجارة والصناعة، وبذلك يقضي على البطالة، فيساعد على توزيع الثروة.

٥- شرع الإسلام تقسيم الإرث بين الوارثين، وفي ذلك توزيع للثروة ومنع تداولها بيد فئة قليلة من الأغنياء.

إذًا، الإسلام نظام متميز، أنزله الله للناس كافة، وضمنه أحكامًا تنظم حياتهم جميعها، ومنه النظام الاقتصادي الذي يتميز بالخصائص التالية:

١- شموليته واتساع أدلته لمعالجة وحل جميع المشكلات الاقتصادية التي تواجه الإنسان في حياته إلى يوم القيامة، فيما يتعلق بالمال من حيث تملكه والتصرف به وتوزيعه.

٢- مراعاة النظام الاقتصادي في الإسلام للفروق الفردية بين الناس، فأباح لهم التنافس المشروع في امتلاك المال، كل حسب قدرته وطموحاته، ثم بيَّن واجبات الأغنياء، وحقوق الفقراء.

٣- مراعاة هذا النظام أيضًا الفروق بين طبيعة الأشياء التي تملَّك؛ فجعل بعضها ملكية

فردية، وبعضها ملكية عامة، وبعضها ملكية للدولة، ووضع حدودًا واضحة لكل ملكية.

٤- محافظة النظام الاقتصادي على التوازن المادي بين أفراد المجتمع، والرفع من مستوى العيش للرعية. فالدولة الإسلامية تتكفَّل برعاية من لا مال له ولا عمل ولا معيل، قال عليه الصلاة والسلام: «**من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك كلًّا فإلينا**». والكلُّ الضعيف والفقير المعدم.

٥- منع النظام الاقتصادي الإسلامي استغلال واستثمار الأموال الأجنبية في الدولة، كذلك ومنع منح الامتيازات لأي أجنبي، وذلك كي لا يكون للأجانب نفوذ في بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿... وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

٦- تأمين الدولة في الإسلام الحاجات الضرورية لكل فرد من رعاياها، كالتطبيب، والتعليم، وكالأمن، وإن عجز الفرد تعمل الدولة على إشباع جميع الحاجات الأساسية كالمسكن والمأكل والملبس لكل فردٍ إشباعًا كليًا، وتمكينه من إشباع الحاجات الكمالية بقدر ما يستطيع.

٧- الذهب والفضة هما النقدان المعتبران، فبهما حدد الإسلام نصاب الزكاة في النقود، وبهما حدد الديَّة النقدية، وبهما حدد المقدار الذي تقطع به يد السارق. ويمكنُ أن تستعمل الدولة الإسلامية عملة ورقية نائبة عن الذهب أو الفضة؛ وذلك لسهولة التداول والنقل.

وأما على مستوى الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً﴾ فالمنزلُ مقرّ للسّكينةِ والعيش الهنيء والاستقرارِ، تجمع بين أفراده المحبّة والرّحمة، ومفاهيم الإسلام مفاهيم راقية تجعل الرّوابط الأسريّة وثيقة وفريدة، تحدّد الأدوار وتجعل لكلٍّ وظيفته بحيث يكمّل الواحد الآخر في تكامل فريد، وهذا لا يليق إلا بشريعة ربانية عظيمة. فالعلاقة بين الرّجل والمرأة علاقة سلم ووئام وتكامل وانسجام لا علاقة حرب يكثر فيها النّزاع والصّراع والخصام، قالت خولة وهي تشكو زوجها للنبي ﷺ: «...يا رسول الله عيالي إن تركتهم ضاعوا، وإن أخذتهم جاعوا...» في وعي وفهم للأدوار التي أناطها الإسلام بالمرأة والرجل على حد سواء.

إن الأمة الإسلامية باستطاعتها أن تَخرج وأن تُخرج العالم من هذا الوضع المتردي الذي آل إليه بفعل المبدأ الرأسمالي، إن هي أخذت العقيدة الإسلامية بوصفها فكرة سياسية إسلامية لتقيم حياة الناس والعلاقات على أساسها، وهذا يلزم أن يستمر عمل العاملين في حزب سياسي لتركيز هذه العقيدة بمفهومها السياسي في الأمة، وستبدأ الأمة قطعًا السير في طريق النهضة والتحرير؛ لتصبح الأمة الإسلامية في مقدمة الأمم كما كانت من قبل حاملة رسالة الهدى والنور إلى العالم أجمع، متقدمة في جميع المجالات؛ لتنقذ العالم من الوادي السحيق الذي أسقطته فيه الرأسمالية، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

طاقات الأمة الكامنة وافرة للتغيير المنشود

حسن عبد المعطي

إن التغيير المنشود الذي نطمح إليه كأمة هو بإمكاننا وضمن طاقاتنا وقدراتنا المحدودة والكامنة في نفوسنا وفي مبدئنا وفي أمتنا. وهذا التغيير بمعنى النهوض والارتقاء نحو المكانة اللائقة بنا وبأمتنا ليس بالمستحيل وليس بخيال ولا أحلام، بل هو واقع مدرك تلمسه العقول المستنيرة، وتحسُّ به النفوس العالية المتحفزة والعازمة على أن ترتقي بأمة حية لها تاريخها المزدهر، وتتلوى من واقعها المؤلم، وترنو إلى مستقبل قريب مشرق. ورغم صعوبة الواقع، ورغم العوائق في الطريق، ورغم التأخير الكبير الذي يكبح جماح حركة الأمة، إلا أنه بمقدورنا تحقيق النهوض المنشود، وإنه لضمن طاقاتنا وإمكاناتنا، ومبتدؤه ومنتهاه قول ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

بداية لن نقول إن طاقاتنا لا محدودة ولا متناهية لننسج في مخيلة المسلم قدرات جبارة ولا لنجعل أفكاره تسبح مع معجزات وخوارق للعادة، بل نقول بكل صدق وموضوعية إن طاقاتنا وقدراتنا فيها من القوة الكثير إذا ما تفجرت، فهي طاقات كامنة وقدرات حبيسة في النفوس لا تظهر بسبب ضغوط الواقع الذي يقف الغرب ومعه الحكام العملاء له وراء منع إظهارها، فهو يدرك وجودها ويدرك أنها إذا تفجرت لن يصمد أمامها؛ لذلك هو يخشاها أشد الخشية، ويعمل جاهدًا على عدم السماح لها بالظهور.

فبالرغم من أن المسلم كإنسان بشكل عام خلق ضعيفًا، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ وبالرغم من تكرر وصف ضعف الإنسان ومحدوديته في غير آية من كتاب ربنا العليم بما خلق، ومنها قوله تعالى: في سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ ولكن هذا المخلوق المحدود في قدراته هو نفسه القادر على أداء مهمات ثلاث أنبأنا عنها الله جل وعلا في كتابه العزيز بأنه خلق فيه ما يجعله مؤهّلًا «للخلافة»، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. و«للعَمارة»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ و«للعبادة»، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

هذه هي المهمات الثلاث التي خُلق لأجلها الإنسان: الخلافة، والعمارة، والعبادة. ولأجلها استحق التكريم والتفضيل على كثير مما خلق الله، فقال تعالى عن هذا الرقي والتكريم بمقتضى خلقنا من نسل آدم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾. وهذا التكريم استحقه الإنسان بوصفه مخلوقًا بغضِّ النظر عن أي وصف آخر من اللون أو اللغة أو الجنس.

ولأداء هذه المهمات، ولاستحقاق هذا التكريم، كانت الرسالات من الخالق العظيم للمخلوق الضعيف لترشده إلى سبل العيش الراقي، وهذا ما نسميه الطاقة الفكرية التي نمتلكها والتي هي أساس التغيير وطريقه ومبتغاه؛ ولبيان ذلك نتلو قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾. فالبينات هي المعجزات الدالة على صدق الرسل، والكتاب والميزان هما التشريع والمنهاج ليقوم الناس بالقسط أي بالعدل، أي بالخلافة والعمارة والعبادة.

إن هذا الذي أرسله ربنا جل وعلا مع الرسل وآخرهم نبينا محمد ﷺ دين الإسلام، هو المبدأ الذي تؤمن العقول بصدقه وتطمئن القلوب لصوابه وتسلم له بالرضى والتطبيق، هو الطاقة الدافعة لتجعل الإنسان خليفة الله في الأرض يعمرها ويحييها ولا يفسد فيها، ويعيش فيها عابدًا لله عاملًا بما أمر؛ فيهنأ عيشه ويزدهر ويطمئن لمستقبله وحسن ثوابه ومعاده. قال تعالى:﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

إن هذه الطاقة الفكرية التي أكرمنا الله بها وأتمَّها وأكملها، وجعل نصوص الشريعة من قرآن وسنة متَّسعة لبيان حكم كل ما يحدث أو يتجدد من أعمال وأشياء، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، وطلب من الناس أن يحكِّموا هذه الشريعة في كل شيء، فعلًا كان أو غير فعل، قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، والرد إلى الله والرسول هو رد إلى القرآن والحديث، وما أرشدا إليه من القياس وإجماع الصحابة. هذه الطاقة الفكرية هي التي نحتاجها في عملية التغير، وهي كاملة غير ناقصة، وهي كافية لكل ما يتجدد من الأحداث، وهي محفوظة وميسرة للفهم، فقد حفظها الله لنا فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ ويسَّر لنا فهمها فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وجعل في سيرة خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ تبيانًا لها فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ .

ومن أهم مميزات هذه الطاقة أنها مبنية على العقل أولًا، وأنها من عند خالق الكون والإنسان والحياة ثانيًا، أي هي طاقة فكرية إيمانية روحية من عند العليم الخبير القدير المدبر لشؤون الخلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

هذه المادة الفكرية عقيدة وشريعة ونظامًا للحياة في كل جوانبها تحتاج منا الإقبال عليها

بكليّتنا، ودون تردد أو تأخر، إقبال المؤمنين بها الواثقين بحلولها ومعالجاتها، فنتلقَّاها تلقيًا فكريًا إيمانيًا عميقًا وثابتًا، ونفهمها فهمًا مستنيرًا ومشرقًا، ونحملها لأمتنا لنقيم نهضتنا ونبني دولتنا على أساسها، ولنحقق قيادتنا وريادتنا للعالم، ونبلغ الدعوة للناس أجمع.

هذه هي الوظيفة، وهذه هي المهمة التي خُلقنا لها، وهذه هي الأمانة التي كُلفنا بها، وحاشى لله أن يمنع عنا الطاقات والقدرات التي تعين على تحمّل هذه الأمانة، إذْ لا نُكلَّف إلا بمقدار ما نُعطى، قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ .

ولعل سائلًا يسأل: أليست هذه الطاقة موجودة ومحفوظة، ونقلتها الأمة لنا جيلًا بعد جيل، فلماذا وصلنا إلى هذا الحال؟ وهذا سؤال مشروع ودقيق.

والجواب عليه يحتاج فهمًا دقيقًا لحال الأمة اليوم، فإن الأمة تتطلّع برمّتها لأي حركة أو تظاهر في بلد من بلاد المسلمين وتسمي ذلك ثورة حتى ولو لم تكن في الحقيقة ثورة، فهي اليوم في حالة حيوية وحركة، وهي بحكم وجود الأفكار والمفاهيم الإسلامية فيها، وبحكم تطبيقها لبعض أحكام الإسلام في العبادات وغيرها، وبحكم تمسكها بالعقيدة الإسلامية، وبحكم إيمانها بوجوب عودتها إلى الله، وعودة سيادتها للأمم الأخرى، كل هذا جعل مشاعرها مشاعر إسلامية عارمة، وجعل أحاسيس النهضة والتغيير موجودة فيها دائمًا. ولما كان هناك العديد من النصوص والأعمال التي ركّزت الروح الجماعية في الأمة؛ فقد وجد في الأمة الميل الطبيعي للتكتل والعمل الجماعي. هذا هو واقع الأمة. أمة فيها بعض الأفكار والمفاهيم الإسلامية، والمشاعر فيها مشاعر إسلامية، والروح الجماعية مركزة فيها، وضرورة التغيير يحركها هذا الواقع الفاسد الذي تعاني منه. فأمة هذا حالها، يدل على أن لديها طاقة كافية للتغيير، فلو تركت وشأنها لتحولت هذه الأحاسيس والمشاعر إلى فكر صحيح. ولكان هذا الفكر قد أنتج عملًا ينهض بالأمة ويغيِّر حالها.

ولكن وجود بعض الأفكار الدخيلة وبعض المشاريع المريضة شتَّت التركيز عند الأمة وأضاع طاقاتها وجهود أبنائها في حركة مضطربة حينًا وناقصة حينًا آخر وفاقدة للوعي الكافي غالبًا، ونضرب بعض الأمثلة عدًّا لا حصرًا. فوجود الجمعيات الخيرية مثلًا حال دون تركُّز الفكر الصحيح للنهضة، ودون الاهتداء إلى الطريق القويم للنهوض. إذ أوجدت عند الأمة متنفّسًا لعاطفتها المتأججة، واستنـزافًا لما فيها من طاقة للعمل الجماعي، وقيامًا بواجب تراه فرضًا عليها، واستجابة لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾.

ووجودُ حالات الجهاد الفردي أو الجماعي الجزئي في بعض أقطار المسلمين المحتلة عسكريًا، وإيمان الأمة المطلق بوجوب الجهاد في سبيل الله جعل تركيز المخلصين من أبنائها على وجوب الجهاد والعمل المادي طريقًا للتحرير والتغيير، فاختلط الأمرُ في البلدان الأخرى المحتلة ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا، وصارت الأعمال المادية طريقًا للتغيير، فاستباح الحكام المجرمون دماءها وزادت معاناة أهلها.

أما من اتجه إلى العمل السياسي من أبناء

الأمة فرديًا أو جماعيًا، فإنهم قد حملوا الأفكار المغلوطة والتجارب السقيمة، وحاولوا ربط تلك الأفكار الواقعية الرجعية بالإسلام لما يرونه ويحسونه من أن الأمة وأبناءها لا يستجيبون ولا يتحركون إلا من منطلق إيمانهم وإسلامهم، فكانت أفكار التدرج، والإصلاح، والمشاركة في حكم الكفر، والاستعانة بالكافر، وخذ وطالب، وجلب المصالح ودفع المفاسد، وما يسمونه فقه الواقع، وفقه التمكين، والاستطاعة، وغيرها... كلها أفكار واقعية فاسدة أو غربية دخيلة ألبسوها لبوس الإسلام، وساقوا لها أحداثًا تاريخية مقطوعة عن سياقها وظروفها وملابساتها، أو أدلة في غير موضعها وليس لها محلٌّ للاستدلال على مسائل الحكم والتغيير التي عالجتها أدلة قطعية في ثبوتها وفي دلالتها؛ فخالفوا تلك الأدلة ومالوا إلى إرضاء الكافر المستعمر، أو للحاكم العميل المستبد، أو للحاكم البديل المستجد الذي يلعب على أوتار العمالة من جهة وعلى عواطف الأمة الإسلامية من جهة أخرى، ما جعلهم عاملًا في تثبيت التخلف والتبعية السياسية والثقافية، فشتَّتوا تركيز الأمة وأضاعوا بوصلة العمل السياسي الذي هو من أرقى أعمال وصفات أمة الخير والشهادة.

كل ذلك وأمثاله كانت خطورته على المجتمع والأمة أكبر وأعظم، فإن المجتمع يعقد أمله دائمًا على كل حركة تلوح في الأفق، ويرى أن أي عمل جهادي أو مادي أو سياسي في الأمة قد يؤدي إلى إنقاذها أو تحسين وضعها على الأقل. وحين يدرك المجتمع واقع هذه الحركات، وأنها تقع في شرك أعدائها، وتلدغ من جحر واحد مرة ومرة ومرتين، وتكرر الخطأ مرارًا وتكرارًا، وحين يدرك المجتمع ويرى أن قيادة تلك الحركات إنما تركض وراء منافعها، وتلهث وراء زيادة مكاسبها ومكانتها؛ فانه يكفر بالتكتلات جميعها دون تمييز، ويرفض العمل الحزبي بشكل عام. وهذا يشكل عقبة كؤودًا أمام تحويل الطاقة الفكرية التي تؤمن بها إلى طاقة سياسية تعالج بها الوقائع والأحداث وتتخذها أساسًا للتغيير والنهوض.

إذًا، فوجود المبدأ في الأمة ليس كافيًا لعملية التغيير، وثورات الأمة وحركاتها ووقوفها في وجه الطغاة ليس كافيًا لتحقيق مطالبها ومصالحها الحقيقية، وإنما هي بحاجة للحزب السياسي الذي يسعى لبعث الحياة والحركة فيها على أساس مبدأ الإسلام، ويتحرك فيها ومعها ويوجِّه حركتها وفق معالجات الإسلام فقط لاغير. وهنا نقول إن الأمة قد جعلت الإسلام أساس التغيير، وأدركت طريقته، وعرفت وجوب ربط فكرته بطريقته. وهذا هو واجبنا وهو عمل **حزب التحرير** في الأمة قبل الثورات ومع الثورات، ويستمر مهما انتهت إليه من نتيجة تلك الثورات.

هذه الطاقات الموجودة في الأمة من ناحية فكرية إيمانية جعلت لها سلوكًا مميزًا ميَّزها عن غيرها من الشعوب والأمم التي تطمح للتغيير، وهي الأساس وهي المعوَّل عليه في عملية التغيير. أما غيرها من الطاقات والثروات الموجودة في بلاد المسلمين والتي سوف يكون لها بالغ الأثر في توفير الإمكانات والوسائل التي سوف تعين الأمة على بناء دولتها وتثبيت أركانها وأداء مهمتها في نشر

الإسلام والدعوة له فهي وافرة وكثيرة وهي مطمع أعدائنا في الوقت الحالي.

فما هو موجود في بلاد المسلمين، فإنه بالرجوع إلى ما هو معلن من قوائم وإحصاءات في مواقع الموسوعات مثل ويكيبيديا وغيرها، فإن النظر في أرقام الإحصاءات لأية مادة استراتيجية على وجه الأرض تجد أن مجموع ما في بلاد المسلمين تزيد مرة أو مرتين عن أعلى دولة تتصدر القائمة حاليًا. وأما النسبة المئوية فتكون غالبًا فوق ٥٥٪ من الإنتاج العالمي أو الاحتياطي العالمي لتلك المادة، ولم تشذَّ عن هذه القاعدة في أغلب القوائم المعلنة سوى قائمة مادة القمح؛ حيث بلغ مجموع ما تنتجه البلاد الإسلامية ١١٠ مليون طن متري، بينما تصدَّر قائمة أكبر منتجي القمح الاتحاد الأوروبي الذي احتلَّ المرتبة الأولى بمجموع دوله ١٥٠ مليون طن متري. أما إذا أخذت كل دولة على حدة، فإن الصين هي من تقفز للمرتبة الأولى بما يقدر بسدس إنتاج العالم بـ ١٣٤ مليون طن متري. فإذا علمنا أن حصة تركستان الشرقية في إنتاج القمح هي الثلث تقريبًا، وهي بلاد مسلمة محتلة لعرفنا أن مجموع بلاد المسلمين يساوي ضعف مرة ونصف ما لدى الصين، أي أكثر من سدس الإنتاج العالمي. وعندها يكون مجموع ما في بلاد المسلمين رغم التأخر الحالي أعلى من أعلى دولة في العالم، وهكذا تأتي معظم الإحصاءات في صالح مجموع البلاد الإسلامية بفارق ضخم يبين مدى شراسة المستعمر في كبح حركة الأمة نحو التغيير وتوجيهها نحو تثبيت مبدئه وهيمنته. هذه الأرقام والإحصاءات يجب أن تقلب أمام الأمة لتعرف حقوقها المسلوبة، ولتبتعد عن خطوط أعدائها وخططهم وأفكارهم، وتصر على عملية التغيير الشامل، ولا تقبل بأي فكر أو حل منقوص.

والخلاصة، إن التغيير المنشود الذي نطمح إليه كأمة هو بإمكاننا وضمن طاقاتنا وقدراتنا المحدودة والكامنة في نفوسنا، وفي مبدئنا، وفي أمتنا، والواجب على حملة الدعوة أن يرفعوا وتيرة العمل مع الأمة بتثبيت وجهة النظر الإسلامية في حركتها، ودوام الرفق بها وهم يُحسُّون آلامها ويدركون أمراضها فيعالجونها برفق ويتواضعون لها، ويقفون بحزم وصلابة أمام كل فكر منحرف أو عميل دخيل، فلا يختلط هذا بذاك بل يسيرون بسفينة الأمة سير الربَّان الماهر الذي يعرف كيف ينجو من الأهوال والمخاطر ويصل إلى مرافئ الخير والأمان.

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾. وقال رسول الله ﷺ: «**بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**» رواه أحمد – حديث حسن- . ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة قريبة من حسم الصراع مع الغرب

حسن عبد المعطي

بعد قضاء المسلمين على دولة فارس، أدركت أوروبا النصرانية أن الإسلام يشكل تهديدًا حقيقيًا لوجودها، وأن الصراع معه سيكون صراعًا حتميًا ومستمرًا، ففي أقل من ثمانين عامًا أنار فجر الإسلام طرفي أوروبا الشرقي والجنوبي. ووجدت النصرانية نفسها محاصرة في أقصى الشمال الأوروبي المظلم معزولة عن العالم، تتوعد ظلمتَها فتوحاتُ المسلمين المشرقة التي أنارت الأندلس ومصر والشام وشمال أفريقيا.

واستمرت صورة الفتح الإسلامي الخاطف تخلع قلوب الغرب وتقض مضاجعهم، حتى جاءت الحروب الصليبية التي شنَّها الغرب على بلاد المسلمين؛ فتنفس الصليبيون الصعداء، وظنوا أن الفرصة مواتية للقضاء على الإسلام والمسلمين، وبرغم نجاحهم في احتلال جزء من بلاد الإسلام لأكثر من قرن ونصف إلا أنهم فشلوا فشلًا ذريعًا في تحطيم إرادة الأمة وعزتها؛ فاستطاع المسلمون أن يُلملموا شعثَ تفرقهم وتشرذمهم على يد صلاح الدين رحمه الله، ويلحقوا بالصليبيين شر هزيمة.

ثم استعادت صورة الفتح الإسلامي بريقها وقوتها، حين كانت الصدمة المدوية التي عصفت بالغرب إثر فتح القسطنطينية عاصمة النصرانية آنذاك. ويعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي، وخصوصًا تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام حتى عده المؤرخون الأوروبيون ومن تابعهم نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. وقد انخلعت قلوب الصليبيين بنبأ هذا الفتح، وانتاب الغرب شعور بالفزع والألم والخزي، وتجسد لهم خطر جيوش الإسلام القادمة من اسطنبول؛ فالقسطنطينية كانت تشكل لديهم قاعدة متقدمة في الانطلاق نحو غزو المسلمين، ومنطلقًا لغزواتهم الصليبية للأمة الإسلامية، فإذا بها تسقط في يد دولة فتية هي الدولة العثمانية التي تعلي من شأن الجهاد والقتال في سبيل نشر الدين الإسلامي، والتي لن تتوقف حتى تقضم دول أوروبا الصليبية دولة وراء دولة. ازدادت قوة الدولة العثمانية ولمـَّت شعث الأقاليم الإسلامية الممتدة على طول بلاد المسلمين شرقًا وغربًا تحت لواء الخلافة الإسلامية، وهي تهدد أوروبا تارة، وتُطفئُ نار الصفوية تارة، وتصد هجمات روسيا القيصرية تارة أخرى.

حينها تيقَّن الأوروبيون أنه لا مجال لحسم الصراع عسكريًا مع المسلمين مهما كان حال قوتهم، كون الإسلام بدافعه الذاتي محركًا ومحرضًا للشعوب المؤمنة كي ترتقي سلم النهضة والقيادة والريادة العالمية. وتركزت في أذهان مفكريهم أن الهزيمة العسكرية للمسلمين إن حصلت فهي ممكنة ومؤقتة، ولكن حسم الصراع لن يكون إلا بالحرب الفكرية المركزة؛ لأن المسلمين لم ينهزموا فكريًا أبدًا أمام الصليبين.

وهذا قد جعل أوروبا تفكر جديًا في حرب صليبية أفظع وأعمق من سابقاتها، فنحَّت الغزو العسكري جانبًا إلى أن يحين وقته، وشنَّت حربًا فكرية وغزوًا ثقافيًا، وكان طلائعها المستشرقون والمبشرون ثم لحق بهم رعايا الدولة من النصارى واليهود والمشركين، ومن ثم انضمَّ إليهم طائفة من المضبوعين من أبناء المسلمين، وكان هدفهم جميعًا منصبًا على إزالة حكم الإسلام من الوجود أولًا ثم ضمان عدم عودة الإسلام إلى معترك الحياة نهائيًا، فكانت حربًا شرسة قاموا خلالها بتشويه أحكام الإسلام وحرف أفكاره في عقول المسلمين، وبدأت الدعوات المنحرفة الهدَّامة التي تحارب الإسلام بكل قوة ومن وراء حجاب، فتم رفع لواء القومية وتستَّروا به كي يستطيعوا حشد أبناء الأمة معهم ممن ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾.

وهكذا تسلل إلى مواقع القرار في الدولة الإسلامية حفنة من القوميين الترك الحاقدين العملاء الذين ورَّطوا الدولة في الحرب العالمية الأولى، وفي الوقت نفسه تحرك القوميون العرب الخونة بقيادة الشريف حسين لطعن الدولة الإسلامية في صميم فؤادها، ثم كان ما تعلمون من زوال حكم الإسلام، وتمزيق بلاد المسلمين، وسيطرة أنظمة الكفر وأفكاره على الدولة والمجتمع، وفرض فصل الدين عن الحياة. وتشتت تركيز الأمة بين حرب الكافر المستعمر عسكريًا والتصدي لأفكاره وأنظمته السياسية، فكان شوطًا أخَّر من معاناة أكثر إيلامًا ونزيفًا، وبعد أن أحتل الكافر المستعمر بلادنا لعقود طويلة لم يخرج منها بجيوشه إلا بعد أن اطمأن إلى تثبيت عملائه في السلطة وأنظمته وأفكاره في الدولة والمجتمع.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة وُجد من أبناء الأمة وعلمائها ثلة واعية حملت الدعوة إلى الإسلام، وعملت في الأمة ومعها لإعادتها لسابق عهدها خير أمة أخرجت للناس بإقامة الخلافة الثانية على منهاج النبوة، ومع ارتفاع الوعي الإسلامي في الأمة شعر المستعمرون أن المعركة لم تحسم بعد بزوال حكم الإسلام، فما زال الإسلام في نفوس المسلمين قويًا وعصيًا على الكسر، وما زالت المحاولات الجادة لإنهاض الأمة الإسلامية قائمة على قدم وساق يقوم عليها ويقودها **حزب التحرير**، فتجد شبابه في كل ميدان يعيدون الأمل بحكم الإسلام والثقة بأحكامه وأفكاره، وبهدم صروح العلمانية، ويكشفون مؤتمرات المستعمرين الأعداء.

فارتفع الوعي في الأمة وازادت حرارة الإيمان وصارت لا تطيق أجواء الظلم والفساد التي تخيم على بلاد المسلمين، فتحركت الأمة ضد العملاء والخونة الذين نصبهم الغرب الكافر على رقاب المسلمين، وجاءت الثورات متتابعة وخاطفة وهددت عروش الأنظمة العاتية، واستطاعت أن تسقط بعضًا من هؤلاء العملاء، ففزع الغرب من جديد لعملائه ولفكره، ودق ناقوس الخطر، ولمعت بين عينيه فاجعته يوم فتح القسطنطينية، فجمع كيده ثم أتى يدَّعي مناصرة الديمقراطية ومحاربة الإرهاب، ويعمل على تثبيت الأنظمة ودعم الثورات المضادة، وهكذا أعلن الغرب الكافر حربًا جديدة على الإسلام والمسلمين يريد القضاء على أي حَراك

جاد يهدف إلى إسقاط تلك الأنظمة العميلة في بلاد المسلمين.

ومع كل ذلك البطش والجبروت والدماء والأشلاء التي أعقبت الثورات، إلا أن الأمة لم تتراجع ولازالت تنشد إسقاط الأنظمة والتغيير. ومن هنا نستطيع القول إن هذه الأمة عصية على الكسر برغم الخطط التي وضعها الكافر المستعمر ليلفتها عن دينها وعقيدتها، وبرغم أن حجم المؤامرة كان كبيرًا وكبيرًا جدًا، وبرغم أن التضليل كان متقنًا لدرجة كبيرة.

إن الصراع مع الغرب صراع وجودي، وهو مستمر ولن يتوقف يومًا واحدًا، ولن تنتهي معاناة أمتنا إلا إذا أدركت بما تملكه من إيمان ووعي من هم قادتها الحقيقيون من أبنائها المخلصين الذين يصلون ليلهم بنهارهم لإعادة السلطان للأمة وجعل السيادة للشريعة، فيسعد الناس بحكم الإسلام وعدل الإسلام، وما هي إلا مسألة وقت ليُمكَّن للأمة، بعون الله، من جديد في دولة مهيبة عظيمة تعيد سيرة الأولين من الصحب الكرام والمجاهدين العظام. ومع إحساسنا بألم المرحلة وصعوبة الواقع إلا أننا نتلمس اقتراب الأمة من حسم الصراع مع الغرب، ونتيقن بأنها قادرة على حسمه لصالحها بإذن الله تعالى من خلال النقاط التالية:

١-الأمة اليوم أكثر وعيًا على إسلامها:

إن الأمة الإسلامية لم ترتدَّ يومًا عن دينها ولم تتنكر يومًا لهويتها الاسلامية، وإنما كانت تتمسك بفهم مغلوط لبعض المسائل المصيرية؛ فتاهت بفترة عصيبة من الانحطاط برز فيها صوت كل ناعق وكل متشدق يقدم لها أفكارًا ونظريات تخالف وبشكل واضح لا لبس فيه ما تحمله الأمة من عقائد وأفكار، وكل ذلك بدعم وإسناد من المستعمر الغاشم مباشرة أو من وراء حجاب. فقُدِم الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وممن هم على شاكلتهم كرواد للإصلاح والتغيير. وهو يريد أن يعيد الكرَّة اليوم من خلال وجوه كالحة جديدة؛ فنرى المسلمين يعودون إلى دينهم يتمسكون به، ويعضُّون عليه بالنواجذ مفتخرين بدينهم الحق، مدركين لواقع هؤلاء المتفيقهين الذين استعملهم الغرب الكافر لضرب الفكر الإسلامي الصحيح، لافظين أصحاب الأفكار العلمانية العفنة لفظ النواة، وقد أصبح أصحاب هذه الأفكار ضيوفًا غير مرحب بهم في الندوات وبرامج الإذاعة والتلفاز، وكثير منهم قد غير جلده مسايرةً للواقع الجديد الذي بدأ يفرض نفسه بقوة، فحاولوا أن يقدموا أنفسهم تحت مسمى «مفكرين إسلاميين»، ذلك أن الإسلام هو الذي تتحرك له القلوب والمشاعر، والعالم اليوم «لم يبق فيه بيت إلا وفيه ذكر الإسلام».

٢- الأمة اليوم تريد الحكم بالإسلام:

إن الأمة الإسلامية لم تؤيد يومًا حاكمًا أو نظامًا يحكم بغير ما أنزل الله، ولم تتنكر يومًا للعاملين لعودة الإسلام لواقع الحياة، وإنما غُلبت على أمرها وحكمت بالحديد والنار، فعانت الأمرَّين واكتوت بنارين، نار بعدها عن شريعة ربها، ونار ظلم وظلام الأنظمة التي حكمت بها؛ فكانت فترة عصيبة من الاستبداد والفساد، ثارت الأمة ضدها وهي تحمل الشوق لعودة الإسلام إلى حياتها، فنادت في ساحات الشام «الشعب يريد إسقاط النظام» «إسلامية

إسلامية ثورتنا اسلامية» «قائدنا للأبد سيدنا محمد» «الشعب يريد خلافة من جديد» ولقد رأينا كيف خرج الناس بالملايين في مصر في الجمعة التي أطلق عليها جمعة الشريعة يوم ٢٠١٢/٧/٢٩م، والتي طالبت بتطبيق الشريعة، كما خرج الناس في تونس يوم ٢٠١٢/٣/١٦م فيما سمي جمعة نصرة الشريعة. وإن الأمة اليوم وفي كل يوم تستعيد عزتها وكرامتها ورفضها للعملاء وأسيادهم المستعمرين، مهما كلفها ذلك من تضحيات، فهي أمة الجهاد والتضحية والشهادة، ويزداد إصرارها على التغيير مع ازدياد تضحياتها في سبيل إسقاط تلك الأنظمة الحاكمة العميلة، وستكون تضحياتها أعظم عندما يتعلق الأمر بالبديل الحقيقي لتلك الأنظمة الظالمة، ألا وهي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

٣- الأمة اليوم تعرف من هو عدوها:

لقد كان المضبوعون بالغرب من أبناء الأمة ينظرون للغرب نظرة إكبار واحترام، ويسوِّقون للناس أنه المثل الذي يجب أن تحذوه الأمة حتى تنهض وتلحق بركب الحضارة، وقد ساعدهم المستعمر على تبوُّء المناصب التعليمية والمنابر الإعلامية والنوادي الثقافية، ليسوِّقوا ثقافته العلمانية ويشوِّهو ثقافة الإسلام، ولم تكن الأمة وقتها مدركة أنها مخدوعة ببعض من هؤلاء المضبوعين، ومسحورة ببريق حضارة زائفة تخفي توحشها وجاهليتها وفساد معالجاتها وتحوي في ثناياها بذور اضمحلالها وفنائها. أما اليوم فقد ازداد وعي المسلمين على حضارتهم ودينهم، وازداد رفضهم لما سواه، وأدركوا أن الغرب هو عدوهم الحقيقي، وأدركوا مدى كذبه ودجله وفساده الخلقي. نعم لقد أدركت الأمة عدوها عندما رأت تكالب دول الكفر قاطبة على نهب خيراتها وثرواتها، وعلى قتل وتشريد أبنائها، وعلى احتلال أراضيها في العراق وأفغانستان، أدركت الأمة عدوها وأدركت كذبه ومخادعته بالحرية والديمقراطية عندما وقف بكل صفاقة مع الحكام العملاء المستبدين الذين أذاقوا الناس لباس الخوف والجوع خدمة لأسيادهم الكفار؛ ولذلك فإن الأمة اليوم تختلف اختلافًا جذريًا عما كانت عليه منذ أكثر من ستين عامًا. كما أن الأمة غير غافلة عما تدبره أميركا في بلادنا، وهي مرفوضة تمامًا عند غالبية الأمة لأنها العدو. فالأمة اليوم تعرف أن أميركا لم تكن ولن تكون في يوم من الأيام إلا عدوة لها، وهي تقود باقي دول العالم وتتشارك معهم في حربهم على الإسلام والمسلمين من تيمور الشرقية إلى بورما إلى تركستان الشرقية إلى غيرها من بلاد المسلمين. وبتحديد الأمة لعدوها الحقيقي وأنه هو من يسند ويساعد الأدوات المحلية من كيان يهود إلى كيانات الأنظمة المجرمة سوف تكون أكثر حذرًا من مكره وفخاخه، وأسرع استجابة لمن يحذرها من مؤامرته.

٤- الأمة اليوم تريد الوحدة، وترفض الفرقة والتشرذم:

لقد حاول شياطين الإنس من حكام هذه الأمة أن يصرفوا الأمة عن التطلع للوحدة على أساس الإسلام، ولم يكن أمامهم سوى رفع شعارات الوطنية والقومية المنحطة. وعلى مدار ما يقارب التسعين عامًا لم تستطع هذه

الشعارات أن تصرف الأمة عن إدراكها أنها أمة واحدة فرَّقت بينها اتفاقية سايكس بيكو اللعينة، وظلت شعارات «مصر للمصريين» و»الأردن أولًا» وأمثالها مجرد شعارات فارغة. ولو لم تكن الأمة مكبلة من قبل حكامها لتحركت منذ زمن بعيد لإزالة هذه الحدود المصطنعة التي تفصل بين شعوبها. وهي تنتظر اليوم الذي يتقدم المخلصون فيه لإعادة وحدتها في دولة الخلافة، وما الحديث عن مشاريع تقسيم المقسَّم من بلاد المسلمين إلا محاولة يائسة من الكفار لضرب مشاعر الوحدة في نفوس المسلمين .

٥- الأمة اليوم أسقطت الخوف من حساباتها فهي لا تخشى أعداءها:

إن تحرك الأمة اليوم ضد أعتى الأنظمة الإجرامية في العالم ليدل على أنها نزعت برقع الخوف، ودخلت المواجهة المفتوحة مع أعدائها، وهي واعية على ما تدبره أميركا وأشياعها من حروب ومؤامرات ومصائب، ومع ذلك فإنها لا تتردد في المواجهة والمنازلة كلما سنحت فرصة لذلك. وعندما تقوم الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة قريبًا إن شاء الله، سوف تقود الأمة عقليات سياسية وعسكرية ورعوية مبدعة تحمل قضية الإسلام، وتأخذ الحلول والمعالجات من أحكام الإسلام فقط لا غير، وتعتمد على قوى وطاقات ومقدرات الأمة الإسلامية فقط لا غير. وعندها تقود المعركة ضد أعدائها متوكلة على الله الذي بيده مفاتيح النصر، وستدرك أميركا وأقرانها وأشياعها أن كل ما ذاقته خلال السنوات السابقة في صراعها مع الأمة لم يكن سوى نزهة لطيفة مقارنة بمعركتها حينئذ. فيومها سيكون الصراع مع دولة بحجم دولة الخلافة، وليس مع أفراد أو جماعات في الأمة؛ ولذا فسوف تفكر أميركا ألف مرة قبل أن تخوض صراعًا مع دولة الخلافة.

٦- الأمة اليوم فيها حزب عريق يغذُّ السير نحو إقامة الخلافة الإسلامية:

لقد منَّ الله على هذه الأمة بنعمة الإسلام ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ وقد بزغ نور الدعوة للإسلام من جنبات المسجد الأقصى المبارك على يد القاضي المجتهد المجدد تقي الدين النبهاني رحمه الله، وثلة من العلماء الأجلاء المفكرين السياسيين العظماء، وقد نما الخير وتكاثر سواده وأنصاره بعزم العاملين، وصدق الحاملين، وتضحيات المخلصين. وإن قوة الفكرة وسداد الطريقة ووضوح الهدف والثبات على المبدأ وغير ذلك مما يحمله **حزب التحرير** للأمة يجعله أقرب إلى تحقيق الهدف الذي يسعى إليه الحزب من خلال الأمة ومعها، والله نسأل أن يجعل ذلك اليوم قريبًا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وفي الختام، فإننا نلمس قرب الأمة من وعد ربها يوم تحسم الصراع مع الغرب لصالحها بعودة الإسلام إلى واقع الحياة، ونلمس بأنها تترقب قيام دولة الخلافة، وتتشوق لأن تترعرع في ظلال دوحتها ورعاية وعدل خليفتها. واللهَ نسأل أن يجعل ذلك اليوم قريبًا، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أمير حزب التحرير، حفظه الله، عن استئناف صدور جريدة الراية أنه كان باعتبار أن (الخلافة قائمة حكمًا)..

وباعتبار أن الخلافة قائمة حكمًا تمَّ نظمُ هذه القصيدة معارضة لقصيدة (رثاء الخلافة) لأحمد شوقي، رحمه الله، بعنوان:

(عودة الخلافة)

الشاعر أبو شاهين - غزة

عادت أغاني العرس والأفراح ... تترى تعانقُنا بنور صباح
والشمس يا شوقي تجدِّد مجدَنا ... بطلوعها صبحًا بُعيد رواح
شوقي بكيتَ وما بكاؤك دائم ... فالسعد يرجع بعد طول نواح
عادت خلافتنا بحكم شريعة ... وبسنة الهادي وعزم كفاح
القدس ضاحكة وقد فتحت لنا ... أبوابها مع بسمة المفتاح
والهند تحملها ومصر تزفها ... والفرْح زاد بعطرها الفواح
كشمير والأفغان والشيشان في ... فرح مقيمٍ من هبوب رياح
فالعطر منهاج الرسول وعدله ... لا يستوي ثقة به وإباحي
عادت وقد بلغت بدعوتها المدى ... مسكت زمامَ المستحيل براح
فغدا الذي كان المحالُ مصيرَه ... سهلًا بسلةِ ممكنٍ ومتاح
جمعت بلاد المسلمين بحكمها ... وبحارُها عادت إلى الملاح
ولقد نفت كل الروابط أنها ... بُنِيَت على أصلٍ نقيض مباح
ولقد تحررتِ المساجد من ذئا ... ب وزارة الأوقاف والأشباح
ولغت دساتير الضلالة والهوى ... وقضت على فكرٍ سليل سفاح
هدمت نظام الظلم فوق سجونه ... فغدا الأسير بها طليق سراح
ومواقف ضجت بها كل الفضا ... ئيَّات عبر أثيرها السواح
(والفيس والتْويتَرْ) تعاظم شأنها ... من شاكر في النت والمداح
عادت تصول وتلك همة من دعا ... ذي كلِ صبرٍ ثابتٍ دواح
هذا تقي الدين أحيا منهجًا ... قد تاه بين الجهل والأنواح
حمل الأمانة فكرةً وطريقةً ... وأتى بفكر من هدى الفتاَّح
جرْح السقيم تفرَّقت أطرافه ... وصَفَ الدواء بخبرة الجراَّح
بالفكر لم يستثن أهل مدينة ... ومخيم وقرى وأهل بطاح
فكرٌ به صار الدعاة منارة ... وبه يثور العقل دون جماح
يتحوَّل الحس البليد لشعلة ... يصل السماء بحرِّه اللفَّاح

يستيقظ الغفلان من سكراته ... ليصول بالإسلام صولة صاح
ومن ارتقاء الفكر نصنع نهضة ... ضحى لها النجباء بالأرواح
هذا تقي الدين خاض بفكره ... حربًا بغير كتيبة ورماح
وأعَدَّ للتحرير حزبًا رائدًا ... وشبابه من خيرة النصَّاح
نَفَسٌ طويلٌ والثبات سجية ... وطباعهم في الناس أهل سماح
فَهُمُ الشباب إذا رأيت بعينهم ... سترى الكتاب بوجهه الوضَّاح
وإذا سعيت بفكرهم صنت الهدى ... ولقد عملت بفرضه الملحاح
ودليلهم كان الكتاب وسنة ... الهادي وإجماعًا بشرط صحاح
من بعدها كان القياس ختامها ... هذي المصادر شرعة الأقحاح
وإذا ظلام الليل زاد سواده، ... في الليل كانوا حامل المصباح
يَصِلُون دعوة ليلهم بنهارهم، ... في الخير ما عرفوا هوى المرتاح
في الحق قدوتهم أبو بكر وفي ... عزم الثبات بلالٌ بن رباح
في العدل قدوتهم أبو حفص وفي ... البذل قدوتهم أبو الدحداح
عادت خلافتنا تضيء بحكمها، ... للعز تحملنا بطرف جناح
وبها ملكنا الأرض دون منافس ... وتفرَّد الإسلام بالإصلاح
في الأرض هيبتنا تهزُّ جبالها ... لا ينطق الكفار دون سماح
سيفٌ لنا لا يستفيق عدونا ... من بطشه إلا على الألواح
فترى بلاد الغرب تنهر إستها ... زحف الجهاد يصيبها بكساح
عضَّت بلا وعي أناملها وقد ... ضاقت بها الدنيا بكل نَوَاح
أين الفرار من الخلافة أرضه ... والعدل يبلغ مبلغ الإصباح
فُتحت فرنسا والسيوف تدكُّها ... صارت تنوء بذلها الفضَّاح
ودهاء لندن لا يمنيها سوى ... عينٍ تجرب دمعة التمساح
شعبٌ بأمْرِيكا غدَوا لا يعرفو ... ن رئيسها من كلبها النبَّاح
وبأرض روسيا يذوب جليدها ... بجهادنا في غدوة ورواح
والصين تفتح سورها لجيوشنا ... لما رأت منا عظيم سلاح
روما وأندلسٌ تنادي جيشنا ... أهل الهدى داووا نزيف جراحي
عادت وعودتها لزوم طريقة ... ما نخلة حملت بغير لقاح
وعلى الطريقة سار من عملوا لها ... حتى أعادوا نورها للساح
الله أكبر كبري يا أمتي ... واستنفري للزحف جند صلاح
الله أكبر كبري لجيوشها ... ولوائها وعُقَابها اللواح
الله أكبر كبري يا أمتي ... هزي الوجود بصوتك الصداح ■

المحور الثالث:

إقامة الدين فرض على المسلمين ولا يعذر مسلم بجهله

- **ما لا يعذر المسلم بجهله من الإسلام.**
- **البيان المبين في إقامة دولة الإسلام والتمكين.**
- **في ذكرى هدم الخلافة... دولة قرار تظلُّك، لا دويلات عار تذِلُّك.**
- **ومن ينصر الإسلام كان هو البطْل (قصيدة).**

ما لا يعذر المسلم بجهله من الإسلام

عبد الرحمن الكسواني

في ظل الواقع السيئ الذي يعيشه المسلمون اليوم، لطالما يتساءل المرء: لماذا لا يعمل بعض المسلمين لتغيير هذا الواقع الذي نحن فيه؟ وإذا ما أردنا الإجابة على هذا التساؤل فيمكن أن نوجز الجواب في أمرين اثنين، هما: أ- عدم فهم الإسلام. ب. عدم فهم الواقع الذي نعيشه اليوم.

- **أما بالنسبة لعدم فهم الإسلام،**

فمن البديهي أن العودة إلى الإسلام والتمسك به هو الحل لواقعنا المرير، وقد كان هذا هو المخرج من كل كبوة مرت بها الأمة الإسلامية عبر تاريخها. إلا أن ذلك بحاجة إلى تفصيل، فلا يكفي أن ندعو إلى الإسلام بشكل عام، كمن يقول للمريض بأنه سيجد علاجه بالصيدلية دون أن يعطيه اسم الدواء وطريقة استخدامه... وهذا يقودنا إلى التركيز على جوانب من الإسلام، جهلها بعض المسلمين، من شأنها دفع المسلمين لتغيير ما نحن فيه. فلقد غاب عن أذهان بعض المسلمين جوهر الإسلام وحقيقته، فأصبح الإسلام والالتزام به مقصورًا على بعض العبادات الفردية كالصلاة والصيام والصدقات وتلاوة القرآن والأذكار وطلب العلم الشرعي وغير ذلك، وأصبح من يقوم بهذه الأعمال يشعر وكأنه قد أقام الإسلام على أكمل وجه وأتمِّ شكل. وأنا هنا لا أقلِّل من شأن العبادات الفردية - حاشا لله - بل أسعى إلى أن أبيِّن أن ما هو مطلوب منا كمسلمين اليوم تجاه واقعنا المعاصر هو أكثر بكثير من العبادات الفردية، تحقيقًا لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ ومن جوانب الإسلام التي لا يسع المسلم جهلها:

١. إدراك حقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وحقيقة العبادة:

من المعلوم بأن المسلم لا يكون مسلمًا إلا إذا شهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ولكن الشهادة هذه قد فرغت اليوم عن مدلولها ومقتضاها الحقيقي، فأصبحت مجرد كلمة يُتلفظ بها. بينما هي في الحقيقة ذات الكلمة الواحدة التي قال عنها رسول الله ﷺ لقريش: «**تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم**». فـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله) تعني أن لا معبود بحق إلا الله، وعبادة الله الحقة تكون بالإقرار بأنه عز وجل هو الآمر والناهي في كل صغيرة وكبيرة من العلاقات الزوجية إلى العلاقات الدولية، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

وفي ضوء هذا الفهم لحقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نفهم حقيقة العبادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾. وفي ضوء هذا الفهم لحقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نفهم قصة عدي ابن حاتم الطائي المعروفة عند سماعه لرسول

الله ﷺ يتلو قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم، فقال صلوات ربي وسلامه عليه «**بل إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**» وفي ضوء هذا الفهم لحقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نفهم أن السيادة والحكم يجب أن يكونا للشرع، قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾. وفي ضوء هذا الفهم ندرك كم نحن بعيدون اليوم عن حقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٢. إدراك قضية الإسلام وطبيعته:

إن القضية الأساسية لبعثة رسول الله ﷺ كانت إظهار الإسلام. فلما كان في مكة قال لعمه أبي طالب «**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركتُه.**» وحين كان في المدينة وأقام الدولة واشتبك في عدة معارك مع العدو الرئيسي حينئذ قريش، ظلت القضية الأساسية له هي إظهار الإسلام؛ ولذلك، فإنه عندما كان في طريقه إلى الحج، وقبل أن يصل إلى الحديبية بلغه أن قريشًا سمعت به وخرجت لحربه، فقال الرسول ﷺ «**فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة**». وبعد أن توصل الرسول ﷺ إلى الصلح مع قريش؛ وكان بذلك الفتح الأكبر لأنه هيَّأ لفتح مكة وجعل العرب يأتون إلى الرسول ﷺ ويدخلون في دين الله أفواجًا، حينئذ صارت القضية الأساسية للرسول ﷺ ليس إظهار الإسلام في جزيرة العرب فحسب بل إظهاره على الدين كله في غزوه دول أصحاب الأديان الأخرى، كالروم وفارس، وفي ذلك نزلت عليه سورة الفتح ونزل فيها قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾.

فقضية الإسلام غير مقصورة على التزام المسلم بالعبادات الفردية أو دعوة الأفراد بالالتزام بالعبادات الفردية، بل قضية الإسلام أن يعيش المسلم حياة إسلامية تحت ظل سلطان الإسلام، وأن يقود بعد ذلك العالم كله بالإسلام، حتى يصل إلى تحقيق قوله تعالى ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وهذا لا يكون إلا بإيجاد دولة للإسلام، ولهذا لم يكتفِ صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بالعبادات الفردية، بل عملوا أيضًا على إقامة دولة للمسلمين، لقوا في سبيلها ما لقوا من عداء وتعذيب.فالحق بحاجة إلى قوة، ومن يهتم بالإسلام ولا يهتم بالدولة كمن يلبس أغلى الساعات دون أن يحترم الوقت.

وهذا يذكرني بقصة المندوب البريطاني عند أول دخول له للعراق حين سمع صوت الأذان، فخاف وسأل إن كان هذا الصوت له علاقة بوجوده كمستعمر، فقيل له: لا. فأمر المندوب البريطاني أن يعطى المؤذن مكبرًا

للصوت. والشاهد من هذه القصة أن مشكلة أعداء الإسلام الحقيقية، قديمًا وحديثًا، هي مع الجانب السياسي في الإسلام. فلو كان الإسلام مجرد عبادات فردية، لما تعرضت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ولما ألحقت بهم الأذى، ولتركتهم كما تركت ورقة بن نوفل أو غيره ممن كانوا على غير دين قريش ولم يعملوا على تغيير الواقع السياسي لمكة. فكما جاء في كتب السير، أن كفار قريش في بداية دعوة رسول الله ﷺ كانوا يكتفون بالاستهزاء به ﷺ بقولهم «هذا غلام ابن عبد المطلب الذي يكلم من السماء»، ولكن لما استتبع إعلان الدعوة عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم (أي عقولهم) ناصبوه العداء.

٣. إدراك أن الإسلام كل لا يتجزأ:

إن دين الإسلام الذي آمنا به لهو الدين الحق الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ . وقد نهانا الله سبحانه عن اتباع الهوى، حيث قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، وأكد على ذلك الحبيب المصطفى ﷺ في قوله «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**». وبين الله سبحانه أن عقاب الإعراض عن الإسلام هو غضب الله وسخطه، كل بحسب إعراضه؛ حيث قال في محكم التنزيل: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾. وقد بين الله سبحانه بأن دين الإسلام دين لا نقص فيه، فلا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، وقال تعالى: ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾. ولقد أمر الله عز وجل المؤمنين بالالتزام بالإسلام ككل، حيث قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقد نهى عز وجل من أخذ الإسلام مجزءًا، كأن نأخذ منه ما نطيق ونترك ما لا نطيق، حيث قال تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾.

ويتضح معنى أن الإسلام كل لا يتجزأ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾، حيث أقرَّ سبحانه وتعالى الجهاد للمخاطبين بالإيمان إلا أن ذلك وحده لم يعصمهم من الإثم أو العذاب

إذا تركوا ما أوجب الله عليهم.

ويتضح أيضًا معنى أن الإسلام كل لا يتجزأ في قصة بشير الذي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه على الإسلام فاشترط علي: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وتصلي الخمس، وتصوم رمضان، وتؤدي الزكاة، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله**». قال: قلت: يا رسول الله، أما اثنتان فلا أطيقهما، أما الزكاة فما لي إلا عشر ذود - أي: عشر رؤوس من الإبل – هنَّ رسلُ أهلي وحمولتهم، وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولّى - أي هرب من المعركة - فقد باء بغضب من الله، فأخاف إذا حضرني قتال كرهت الموت وخشعت نفسي... قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ثم قال «**لا صدقة ولا جهاد، فبمَ تدخل الجنة؟**».

فالمسلم لا يفرق بين أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج وبين أحكام الحكم والاقتصاد وغيرها. فالذي أمر بـ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ أمر بـ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾، والذي أمر بـ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أمر بـ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾، والذي نهانا عن الزنا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ نهانا عن حكم الجاهلية لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾... وهكذا.

٤. المسلم بطبيعته حامل دعوة ومسؤول عن الإسلام:

المسلم بطبيعته حامل دعوة ومسؤول عن الإسلام، فهذه وظيفته، وهي ليست مؤقتة بوقت أو محددة بزمان أو مكان. قال تعالى مخاطبًا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ ومعلوم أن خطاب الله لرسول الله ﷺ خطاب لأمته مالم يرد دليل بالتخصيص. وقد جسَّد صحابة رسول الله ﷺ مفهوم حمل الدعوة وتحمُّل مسؤوليتها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ها هو ربعي بن عامر رضي الله عنه يقول لملك الفرس «لقد أخرجنا الله - ولم يقل أخرج محمدًا ﷺ - لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة». وقد ساق الله سبحانه وتعالى لنا قصصًا في القرآن الكريم مبينًا أن المسلم بطبيعته حامل دعوة ومسؤول عن الإسلام. فمؤمن آل فرعون لم يقل: وماذا سأضيف على بيان موسى وهارون عليهما السلام، بل حمل الدعوة وتحمل المسؤولية وخرج يقول ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾

و﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وحبيب النجار الذي ذكرت قصته في سورة يس، لم يقل: ماذا عساي أن أضيف وقد أرسل في قريتي ثلاثة رسل، بل قام بحمل الدعوة إلى قومه وتحمل المسؤولية وأمرهم باتِّباع المرسلين، قال تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾. وحتى هدهد سليمان وجد قومًا يسجدون للشمس من دون الله، فحرَّك

لذلك سليمان وكان سببًا في إسلام ملكة سبأ، فهل عجزنا أن نكون كهدهد سليمان!

٥. مكانة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (ومنه محاسبة الحكام):

أمرنا الله سبحانه أن نكون آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

وقال تعالى:﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ﴾ وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ .

وقد أمرنا رسولنا محمد ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال «**والذي نفسي بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**» وقوله ﷺ: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَيَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا**» وقول رسول الله ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا، ونجَوا جميعًا**».

وعن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن العربي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين، فالحسبة هي أحد مقاصد الأنبياء عليهم السلام، وبها يصلح للناس دينهم ودنياهم». ويزيد الإمام الغزالي هذا المعنى إيضاحًا فيقول: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأُهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمَّت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، وانتشر الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد..». وفي قول الله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قال الغزالي: «فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم

الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وقد سئل الإمام أحمد: أيها أحب إليك، رجل يصوم ويصلي ويعتكف، أم رجل يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف، إنما هو لنفسه، أما إذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، وهذا أفضل.

وإن لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضريبة وأي ضريبة، منها:

• **لعنة الله**، والعياذ بالله، قال تعالى:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

• **الهلاك والفتنة:**

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾. لم يقل جل شأنه: «وأهلها صالحون»، فما فائدة كثرة الصالحين بدون إصلاح. ويؤكد ذلك جواب رسول الله ﷺ على سؤال زَينَب بنت جَحشٍ له حين قالت: يا رسولَ اللهِ، أفنَهلِك وفينا الصالحونَ؟ قال: «**نعمْ، إذا كثُر الخبَثُ**». ويقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فقد تعمُّ الفتنة على الظالمين لظلمهم وعلى غير الظالمين لسكوتهم على الظلم وعدم أمرهم للظالم بالمعروف ونهيهم له عن المنكر. ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إنَّ النَّاسَ إذا رأَوا الظَّالمَ فلم يأخُذوا علَى يديهِ أوشَكَ أن يعُمَّهُمُ اللَّهُ بعقابِهِ**».

• **الحساب يوم القيامة:**

قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقرن أحدكم نفسه، يرى أن عليه مقالًا ثم لا يقول فيه، فيقول الله جل وعلا يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول فإياي كنتَ أحق أن تخشى**». وعليه، فيجب أمر حكام اليوم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومحاسبتهم والتغيير عليهم، وإلا نالنا ما بيناه أعلاه. إلا أنه قد خرج علينا أناس يقولون بعدم جواز محاسبة حكام اليوم (أولي الأمر) مستدلين بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ويا ليتهم فهموا هذا الجزء من الآية، ويا ليتهم أكملوا الآية حتى نهايتها. فطاعة ولي الأمر، كما بينت هذه الآية، ليست لذاته، بل مقرونة بطاعته لله ولرسوله، فطاعة ولي الأمر واجبة إن كان يطبق الإسلام، وإلا فلا طاعة له، ويجب العمل على تغييره عملًا بقول رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». ولو أكملوا الآية لتبين لهم أن محاسبة ولاة الأمر وارد بنص هذه الآية، قال تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وحل النزاع بنص الآية يكون بالعودة إلى الكتاب والسنة. وعليه، فلا يوجد طاعة عمياء لأي حاكم، وقد بيَّن ذلك سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو من هو، عندما تولى الخلافة قائلًا: «أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم».

- **وأما بالنسبة لعدم إدراك واقع المسلمين اليوم**

فلأول مرة في تاريخ المسلمين يتمكن عدونا الكافر المستعمر من التحكم بالأمة الإسلامية بأكملها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، لا وبل تحكم بجميع مقومات أمتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والإعلامية... وإليك بيان ذلك:

فسياسيًا، كان المسلمون يعيشون في ظل الخلافة منذ أن تولى أبو بكر الصديق الخلافة وحتى ألغى الكافر المستعمر الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وهذا حدث مفصلي في واقع أمتنا اليوم ويجب ألا يغيب عن ذهن المسلم، بل يجب أن يبحث المسلم في أسباب سقوطها وكيفية إقامتها من جديد. فبزوال الخلافة ألغى عدونا الكافر المستعمر سيادة الشرع وأصبحت السيادة لنظام فصل الدين عن الدولة، أي للنظام العلماني الديمقراطي، وأصبحت السيادة للدساتير وللأنظمة وللقوانين الوضعية التي وضعها الكافر المستعمر. وبزوال الخلافة اغتصب عدونا الكافر المستعمر سلطان الأمة فأصبح هو من يعين حكام بلادنا نواطير له، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، تمامًا كما عَيّن حامد كرازي في أفغانستان، بعد أن كان خليفة المسلمين يخاطب ملوك الكفار بـ «من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام». وبزوال الخلافة سام حكام بلادنا الطواغيت شعوبهم سوء العذاب، وانطبق عليهم ما قاله الله سبحانه في عاد قوم هود: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ فاستباحوا البلاد والعباد والمال والعِرض بعد أن كان خليفة المسلمين وولاته يسهرون لخدمة رعاياهم، لا بل ويمهدون الطريق للماشية، وبعد أن كان خليفة المسلمين وولاته يلبُّون نداءات المستضعفين، «وا معتصماه» مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: «**والإمام راع وهو مسؤول عن رعيته**» وقوله ﷺ: «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به**». وبزوال الخلافة قسم عدونا الكافر المستعمر الأمة الإسلامية إلى كيانات عديدة ضعيفة هزيلة، بعد أن كنا أمة واحدة من دون الناس معتصمين بحبل الله جميعًا، حربنا واحدة وسلمنا واحدة.

أما عسكريًا، فقد احتل الكافر المستعمر وما زال يحتل عسكريًا أراضيَ كثيرة من بلاد المسلمين كفلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها. أما باقي بلاد المسلمين فلا تخلو من قاعدة من قواعد عدونا الكافر المستعمر. وأما جيوشنا، فأصبحت تشتري سلاحها من عدوها الكافر المستعمر، وأصبح عدوها هو من يدربها ويرسم لها الخطط العسكرية.

أما اقتصاديًا، فقد استبدل عدونا الكافر المستعمر النظام الاقتصادي الرأسمالي بالنظام الاقتصادي في الإسلام، ففشا الربا والفقر رغم ما حبانا الله به من خيرات، وأصبح اقتصادنا مربوطًا باقتصاد الكافر المستعمر وعملته، وأصبحت بلادنا أسواقًا لمنتجاته، وأصبحت خيراتنا نهبًا له ولمؤسساته - كالبنك الدولي

وصندوق النقد الدولي - ولنواطيره من حكام في بلادنا، بعد أن كان المسلمون في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي حكم لعامين فقط، لا يجدون فقيرًا يأخذ زكاة المال.

أما اجتماعيًا، فقد تأثرنا بوجهة نظر عدونا الكافر المستعمر تجاه المرأة، فأصبح لا ضير في أن تسير المرأة في الشوارع كاسية عارية أو أن تستخدم للدعاية والتسويق، بعد أن كانت المرأة في ظل الخلافة عرضًا يجب أن يصان.

أما تعليميًا، فقد قام عدونا الكافر المستعمر بتغيير مناهج تعليمنا، وحذف ما تبقى من ذكر للجهاد حتى تخرَّج منا جيل لا يعلم شيئًا عن خالد وعمر وصلاح الدين ومحمد الفاتح رضي الله عنهم أجمعين، بعد أن كنا نخرِّج الشافعي والبصري ومسلم والبخاري والخوارزمي والعز ابن عبد السلام وغيرهم كثير.

أما ثقافيًا، فقد غزانا عدونا الكافر المستعمر فكريًا فأوجد فينا الوطنية والقومية والحرية والنفعية... حتى انطبق علينا قول رسول الله ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ**» فأصبح الفكر الإسلامي غريبًا بين أهله، لا وبل ينعت أحيانًا بالإسلام المتطرف أو الإرهابي.

أما إعلاميًا، فقد أصبح إعلامنا يبث سموم الكافر المستعمر بجميع أنواعها داخل منازلنا وغرف نومنا.

نعم، هكذا كنا وهكذا صرنا. ولمثل هذا، وغيره كثير، يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان. فلم يسبق لنا أبدًا أن وصلنا إلى هذا الحضيض الذي يمكن أن نختصره بالقول بأننا أصبحنا «عبيدًا» لعدونا الكافر المستعمر بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وبعد هذا البيان لجوانب من الإسلام وجوانب من واقعنا المعاصر لا يسع المسلم جهلها، يجب أن يُحسَّ كل مسلم بهاتف يهتف بين جنبيه يذكره بما يطالبه به الإسلام تجاه هذا الواقع، وهو العمل للتغيير، فهذا فريضة الساعة ومشروع العمر. ففي زمن صلاح الدين كانت فريضة الساعة ومشروع العمر الجهاد لطرد الصليبيين، وفي زمن ابن تيمية كانت فريضة الساعة ومشروع العمر الجهاد لطرد المغول، وفي زمن أحمد بن حنبل كانت فريضة الساعة ومشروع العمر مواجهة فكرة خلق القرآن، وهكذا. أما اليوم، ففريضة الساعة ومشروع العمر هو استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة الخلافة الإسلامية. وقد تعلمنا من صحابة رسول الله ﷺ الكرام أن ينخرط المسلم في فريضة الساعة فورًا دون تأخير أو تأجيل. وقصة عمرو بن ثابت خير مثال على ذلك، حيث قال رسول الله ﷺ إنه من أهل الجنة، رغم أنه لم يسجد لله سجدة ولم يركع لله ركعة، حيث أسلم قبيل غزوة أحد، فانخرط فورًا في فريضة الساعة، فقاتل حتى استشهد. فعلى كل مسلم أن يلتحق بركب **حزب التحرير** الذي نذر نفسه لفريضة الساعة، وأن يسدِّد كل ضرباته بالاتجاه الصحيح كما يسدد لاعبو فريق كرة القدم الضربات المتتالية تجاه المرمى بتنسيق حتى يحرزوا النصر بإذن الله. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان المبين في إقامة دولة الإسلام والتمكين

عز الدين أبو البشير - الرستن

يطل علينا من حين لآخر من يدَّعي وجود طرق ومحاولات لإقامة الدولة الإسلامية، وبعبارة أدق يسمونها «تجارب» فيقولون التجربة الجزائرية، والتجربة الأفغانية، وتجربة الجماعة الفلانية والتنظيم الفلاني... ويبتعدون كل البعد عن تسمية الأمور بمسمياتها الشرعية، فلا نجد من يقول بالحكم الشرعي في العمل لإقامة الدولة الإسلامية إلا ما ندر، وقد يكون حزب التحرير متفردًا في الساحة بالقول بالطريقة الشرعية لإقامة الخلافة الإسلامية الثانية على منهاج النبوة. ونضع بين يدي القارئ الكريم هذا البحث المهم وفقه طريقة الفقهاء بالأخذ والاستنباط من الأدلة الشرعية المعتبرة.

بدايةً لم يفرض الشارع علينا أمرًا إلَّا وبيَّن لنا كيفية تنفيذه وإقامته على وجهه، وكان البيان منوطًا بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿..وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤] وتركُ هذا البيان واللجوءُ إلى طرق عقلية يُتوهم منها إقامة الفروض هو الهلاك بعينه، قال تعالى: ﴿... فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ وقد رأينا حال تلك الجماعات التي سلكت طرقًا لا تستند إلى دليل شرعي ولا حتى عقلي حقيقي؛ فكان حالها كحال النعامة التي ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين.

ومما هو مقرر أن الأصل في الأفعال التقيد بالحكم الشرعي، فلا يجوز للمسلم أن يقوم بأي فعل قبل أن يعلم حكم الشرع فيه. واليوم وفي ظل هذا الواقع الأليم من استضعاف للمسلمين، وقتل وتشريد لهم، ونهب لثرواتهم، واستباحة لكل محرماتهم... وجب النظر في الأسباب والمسببات التي أدت لهذه النتائج بحثًا عن طريق يوصلنا إلى الخلاص مما نحن فيه. وبما أننا مسلمون قد آمنا بالله ربًّا مدبرًا، وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم رسولًا مبلِّغًا جاء بشريعة حاكمة ناسخة لما سبقها؛ فلا بد لنا بعد دراسة الواقع دراسة دقيقة من إنزال النصوص الشرعية المتعلقة بهذا الواقع لجعله متكيِّفًا مع الشرع موافِقًا له.

والناظر في الأمر يجد أن المسلمين ما وقعوا في الذُّل والتخلُّف الحضاري الذي هم فيه إلا بسبب سقوط دولتهم دولة الإسلام التي كانت تمثلها في آخر عهدها الدولة العثمانية على ما فيها من أخطاء؛ فغاب شرع ربنا عن الحياة، وغاب الخليفة جُنَّة المسلمين الذي يقاتَل من ورائه ويتَّقى به، وأصبحنا غثاء كغثاء

السيل تتقاسمنا الأمم، وكان ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾.

والتوصيف الفقهي لهذه الدار -الدولة أو الدول- التي نعيش فيها أنها دار كفر، وكل بلاد المسلمين اليوم بعد سقوط دولتنا في ١٩٢٤م تعتبر دار كفر، أي إن التشريع فيها لغير الله عز وجل، ونتج عن ذلك أن كان السلطان فيها لغير المسلمين، وإنما لدول الكفر التي هدمت دولتنا. وإدراك هذا الواقع هو ما يسمى «تحقيق المناط». فإذا دُرس الواقع وحُقِّق المناط تستحضر الأدلة المتعلقة بهذا الواقع لتجعله متكيِّفًا مع الإسلام، دائرًا معه حيث دار. والله عز وجل قد فرض علينا تحكيم شرعه، وهذا الفرض مما قد علم من الدين بالضرورة، وقد جاءت الأدلة مستفيضة في تقريره، قال تبارك وتعالى:

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ وقال جلَّ ذكره وثناؤه: ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وغيرها الكثير الكثير من الآيات... وهي أدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة يكفُر منكرُها ويأثم من خالفها. وهذا الفرض من فروض الكفاية أي من الفروض الواجبة على الأمة الإسلامية بمجموعها، ويبقى الإثم واقعًا عليها كلها ما لم يُقم هذا الفرض بتمامه؛ فيأثم القادر لتقصيره، ويأثم الذي لا يملك القدرة لعدم تذكير القادر وحثه على القيام بالفرض الواجب عليه. هذا هو واقع تطبيق الشريعة من حيث كونها فرض على الكفاية أي على الأمة الإسلامية بمجموعها. أما طريقة تطبيقها فيكون بإقامة دولة تكون موكلة من قبل المسلمين بإقامة هذا الفرض حتى يسقط الإثم عنهم، ويبقى واجب المحاسبة فرضًا على كل المسلمين للنائب عنهم في تطبيق الفرض؛ لأن الفرض فرضهم وهم من سيحاسبون عليه يوم الحساب. وهذا الفرض العظيم قد تعلَّقت به فروض أخرى تعلق تمام وتعلق صحة؛ مما زاد في أهميته وزادت الآثام على المقصرين في إقامته.

وقد ذكرنا سابقًا أن الله عز وجل لم يفرض فرضًا إلا وبيَّن لنا كيفية تنفيذه وإقامته على وجهه، فكان البحث عن بيان الفرضِ فرضٌ، والبيان يأخذ حكم المـُبَيَّن: فإن كان المبيَّن فرضًا كان البيان فرضًا، وإن كان مندوبًا كان البيان مندوبًا، وإن كان مباحًا كان البيان مباحًا. والنبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن لنا الكيفية لإقامة هذا الفرض، فهو الذي أقام دولة الإسلام،

وهو الذي أُمرنا باتِّباعه، وهو الذي أنيط به البيان، فيكون بيان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة فرض كفاية واجب الاتِّباع. والناظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه عليه الصلاة والسلام قد قام بأعمال معيَّنة سار فيها سيرًا منتظمًا متَّبعًا لما أمره الله تعالى به. فبدأ أولًا ببناء الكتلة والدعوة للإسلام كنظام للحياة وتثقيف الداخلين في دين الإسلام ثقافة إسلامية مركزة بحيث تنتج شخصيات إسلامية. ثم لما نزل قوله تعالى:

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿٩٤﴾﴾ انتقل إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة الصدع بالدعوة وإظهار الكتلة، فخرج صلى الله عليه وسلم بصفَّين منتظمين سار فيهما كل من أسلم معه، وبدأ الصراع الفكري والكفاح السياسي مع كفار مكة، فنزلت الآيات التي تهدم عقيدتهم وأفكارهم وتقوِّي من إيمان المسلمين وترسخ الأفكار الإسلامية فيهم، وأوجد الرأي العام على الدعوة، حتى إن بعض القبائل وصلتها الدعوة قبل أن يصلها النبي صلى الله عليه وسلم، وأتى بعض أفرادها إليه مسلمين. ثم لما تجمَّد المجتمع المكي أمام الدعوة الإسلامية شرع النبي صلى الله عليه وسلم بطلب النصرة من أهل القوة والمنعة لإزالة الحواجز المادية ونشر الإسلام وتطبيقه على البشر جميعًا حتى هيَّأ الله له الأوس والخزرج فنصروه، فكانت المرحلة الثالثة أن أقاموا دولة الإسلام ونزلت التشريعات المتعلقة بالدولة ورعاية الشؤون.

فهذا البيان من النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الفرض هو فرض مثله. والسبب الشرعي لوجوب هذه الطريقة هو غياب دار الإسلام عن الدنيا ووجود دول الكفر مستقرة، ومتى وجد السبب وجبت الطريقة على كل المسلمين وأثم القاعدون عن أدائها والسير فيها.

وطلب النصرة أبرز ما في الطريقة، ونستطيع أن نقول أن طريقة إقامة دولة الخلافة هي طلب النصرة من باب تسمية الشيء بأبرز ما فيه. فلمَّا توفي أبو طالب وتجمَّد المجتمع المكي أمام النبي صلى الله عليه وسلم، أمر الله عز وجل نبيَّه بطلب النصرة، فتوجَّه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، فجلس إلى سادتهم ودعاهم إلى الله وكلَّمهم بما جاءهم إليه من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فلم يستجيبوا له وأساؤوا معه الحديث وردُّوه شر ردَّة وأغروا به سفهاءهم، فشتموه ورموه بالحجارة حتى أدميت قدماه؛ فانطلق مهمومًا محزونًا لا يدري أين يذهب، وهناك دعا الدعاء المشهور «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ...**» ثم دخل مكة بحماية المطعم بن عديّ، وصار يبحث عن أهل نصرة غير أهل الطائف يطلب منهم نصرته، قال الحافظ في الفتح: أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب قال: «**لما أمر الله نبيه** أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى

دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب...».

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن قصة بيعة الأنصار: «فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلنّ على أهل منى غدًا بأسيافنا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لم أؤمر بذلك**»». فهاتان الروايتان وغيرهما تدلان على أن طلب النصرة كان بأمر من الله عز وجل، وكل خطوة فيها كان يسيِّرها الوحي.

ثم إن فعل النبي ﷺ إن اقترنت به أمور تدل على أنه بيان لفرض يكون هذا الفعل تشريعًا لنا وواجب الاتِّباع. وطلب النصرة قد حفَّت به قرائن تدلُّ دلالة لا لبس فيها على أنه فرض. فالنبي ﷺ قد لاقى من الأذى ما لاقاه، ومع ذلك ظل مستمرًا في طلبه للنصرة لا يكلُّ ولا يملُّ، ولكثرة عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل قال بعضهم كما جاء في دلائل النبوة لأبي نُعيم: «ما آن لك أن تيأس منا؟» فثبات النبي ﷺ على النصرة وتكرار المحاولة مع ما أصابه من الأذى قرينة تدل على أن هذا الفعل للوجوب لا غير، وقد لاقى عليه الصلاة والسلام في هذه المرحلة من الأذى ما لم يلاقِهِ طول حياته. وهذه أمُّنا عائشة رضي الله عنها تسأل النبي ﷺ عن أشد يوم لاقاه في حياته فتقول كما جاء في الحديث المتفق عليه: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومُ العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفِقْ إلا وأنا بقرن الثعالب...**» أي إن أشدَّ ما لاقاه من الأذى كان يوم طلب النصرة من سادة ثقيف من أهل الطائف فآذوه وردُّوه شر ردّة. وهذا الجزء من البيان فرض كفرضية البيان، وكفرضية الفرض نفسه، أي إنه فرض على الكفاية، وهو منوط بأهل القوة، فهذا دورهم ويبقى الإثم عليهم مالم يتلبَّسوا بالفرض أو يقيموه.

وكان النبي ﷺ عندما يطلب النصرة من القبائل يدعوهم أول ما يدعوهم إلى الإسلام، ثم إن هم أجابوه يدعوهم لنصرته إن كانوا أهل قوة ومنعة، وإن لم يكونوا كذلك فيكتفي منهم بالإسلام ويأمرهم أن يدعوا قومهم لهذا الدين وأن يلحقوا به إن أظهره الله عز وجل. وكان ﷺ يطلبها لغرضين:

الغرض الأول: حمايته حتى يبلغ الإسلام في جو من الطمأنينة. وهذا النوع من النصرة طلبه النبي ﷺ قبل السنة العاشرة للبعثة كما تدل الروايات، وكان عمه أبو طالب قد وفَّر له هذا الأمر بشكل محدود. وبعد وفاته شرع النبي ﷺ بطلبه بشكل أوسع. وهذا النوع من النصرة لا يتطلب من الشخص الذي تطلب منه إلا أن يكون له بعض النفوذ في منطقته بحيث يوفر الحماية للمبلغ حتى يبلغ دعوته. روى الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط البخاري عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرُض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**» فأتاه

رجل من همدان فقال: «**ممن أنت؟**» فقال الرجل: من همدان قال: «**فهل عند قومك من منعة؟**» قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل، قال: «**نعم**»، فانطلق. وجاء وفد الأنصار في رجب. أي إن الحادثة كانت في السنة الحادية عشرة للبعثة، ثم أتى وفد الأنصار لبيعة العقبة الأولى والنبي ﷺ لم يطلب هنا إلا الحماية حتى يبلغ. وروى الإمام أحمد أيضًا في مسنده بإسناد صحيح عن أبي الزبير أنه حدَّثه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى يقول: «**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة؟**» فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه) فالحديثان يدلَّان على أن النبي ﷺ كان يطلب النصرة هنا بغرض الحماية حتى يبلغ الإسلام بجوٍّ من الطمأنينة، ولا يشترط في الحامي الشروط التي تشترط للنوع الثاني من النصرة، وإنما يكفي أن يحقق الحماية للمبلِّغ دون مقابل.

الغرض الثاني: كان يطلبها لإقامة الدولة، وهذا النوع يشترط فيه أن يكون المطلوب منهم قادرين على إقامة الدولة ويعطون سلطانهم كاملًا للطالب، وأن يؤمنوا بالدعوة، وأن لا يطلبوا شيئًا لأنفسهم لأنها نصرة للدين الذي آمنوا به لا لشخص أو للجهة التي تطلبها. وهذا النوع من الطلب شرع به النبي ﷺ في السنة العاشرة للبعثة كما دلَّت الروايات المتواترة، فكان أول ما طلبها من أهل الطائف، وقد سبق ذكر الحادثة، ثم صار يتقصد أهل القوة والمنعة في كل موسم وفي كل مناسبة يدعوهم إلى الإسلام وإلى نصرته، فكلَّم كِندة وبكر بن وائل وبني عامر بن صعصعة وعبس وغيرهم. فأما كِندة فشرطوا عليه أن يكون لهم الملك من بعده، فقال ﷺ «**إن الملك لله يجعله حيث يشاء**» فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وهذا يدل على أن النصرة لإقامة الدولة لا يجوز أن تكون مشروطة، ولو جاز لفعلها النبي ﷺ؛ إذ كان في حينها أشد ما يكون حاجة لها. فرفضُها مع الحاجة دليل على حرمة قبولها مشروطة. ويشترط كذلك أن يكونوا أهل قوة ومنعة، فهذه بكر بن وائل سألهم النبي ﷺ فقال لهم: «**كيف العدد فيكم**» قالوا: كثير مثل الثرى، قال: **فكيف المنعة؟** قالوا: لا منعة، جاورنا فارس، فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم، قال: «**فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبِّحوا الله ثلاثًا وثلاثين وتحمدوه وثلاثًا وثلاثين وتكبروه ثلاثًا وثلاثين؟**» قالوا: ومن أنت؟ قال: «**أنا رسول الله**»، ثم مرَّ بهم أبو لهب، فقالوا له: هل تعرف هذا الرجل؟ قال نعم، فأخبروه بما دعاهم إليه، وأنه زعم أنه رسول الله، فقال لهم: لا ترفعوا بقوله رأسًا، فإنه مجنون يهذي من أمِّ رأسه، فقالوا: لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر.

فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما علم

منهم أن لا منعة عندهم لم يكلمهم عن نصرته، وإنما اكتفى بعرض الإسلام عليهم وأن يلحقوا به عندما يظهره الله عز وجل، ويشترط كذلك أن يضعوا كل إمكانياتهم بين يدي طالب النصرة، وأن تكون نصرة مطلقة غير مقيدة بشرط، ويحرم على طالبها أن يأخذها مشروطة أو منقوصة، أخرج أبو نُعيم في الدلائل عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما أمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم أنْ يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر...) وذكر كلامًا طويلًا عما جرى بين أبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم من جهة وبين بني شيبان، ثم قال المثنى ابن حارثة «قد سمعتُ مقالتك، واستحسنتُ قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمتَ به، والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة، إنَّما نزلنا بين صِيرَين: أحدهما اليمامة، والأخرى السَّماوة. فقال له رسول الله ﷺ: «**وما هذان الصِّيران؟**» فقال له: أما أحدهما فطُفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثًا ولا نُؤوي محدِثًا، ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه**». ثم نهضتُ قابضًا على يد أبي بكر، ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ.

وهكذا سار النبي ﷺ في طلب النصرة إلى أن هيَّأ الله عز وجل لرسوله الأنصار - الأوس والخزرج - فأسلم نفر منهم، ثم رجعوا إلى قومهم ودعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم عدد ليس بالقليل وأتَوا النبي ﷺ فبايعوه بيعة العقبة الأولى ثم أرسل معهم مصعبًا فأوجد رضي الله عنه الرأي العام في المدينة حتى فشا ذكر الإسلام وأسلم قادتهم، فأتَوه ونصروُه وبايعوه على إقامة دولة الإسلام في المدينة، وكان مما حصل بينهم في البيعة أن قالوا كما يروي الحاكم في مستدركه عمن حضر البيعة: يا رسول الله، علامَ نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة**» فقمنا نبايعه، وأخذ بيده أسعد ابن زرارة وهو أصغر السبعين إلا أنه قال: رويدًا يا أهل يثرب، إنَّا لم نضرب إليه أكباد المطيِّ إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن يعضَّكم السيف، فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم وعلى قتل خياركم ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون

من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر عند الله عز وجل، فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، قال: فقمنا إليه رجلًا رجلًا، فأخذ علينا ليعطينا بذلك الجنة. فكانت بيعة ممن يملكون سلطانًا في المدينة وعندهم القدرة على إقامة الدولة، ولم يشترطوا أي شرط لأنفسهم كما فعل غيرهم وقبلوا بكل ما شرطه النبي ﷺ؛ لأنها نصرة للدين الذي آمنوا به، ولأن الجنة تستحق ما قدموه بل وأكثر؛ فاشتروا الدنيا بالآخرة؛ فجازاهم الله بعز الدنيا وفلاح الآخرة، وأبقى رضاه عليهم قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾.

وها هو النبي ﷺ يصف منزلتهم في الإسلام فيقول: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبَّهم أحبَّه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**» ويقول ﷺ مخاطبًا الأنصار كما يحدثنا الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري: «**لو سلك الناس واديًا وشعبًا وسلكتم واديًا وشعبًا لسلكت واديكم وشعبكم، أنتم شعار والناس دثار، ولولا الهجرة كنت امرأً من الأنصار، ثم رفع يديه حتى إني لأرى بياض إبطيه ما تحت منكبيه فقال: «اللهم، اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار»**

وها هم رضي الله عنهم يطمئنون النبي ﷺ فيقولون: يا رسول الله، إنَّا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿**...فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدونَ**﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكم مقاتلون. فتأمل قولهم هذا وقول غيرهم من طلاب الدنيا، تأمل مواقفهم ومواقف طلاب الدنيا، تأمل منزلتهم ومنزلة طلاب الدنيا... وأين الثرى من الثرية؟!

فيا أبناء أمة الإسلام، يا إخوة الإيمان، يا أهل القوة والمنعة، ها نحن إخوانكم في **حزب التحرير** قد سرنا في هذا الطريق مقتفين أثر النبي ﷺ فبنينا الكتلة، وأعددنا الرجال، وأوجدنا الرأي العام. وهاهي الأمة اليوم تضجُّ بمناداتكم وترفع الصوت عاليًا أننا لن نقبل إلا بسيادة شرع ربنا، وها نحن نستنصركم ونلتمس الإيمان الذي في قلوبكم ونذكِّركم بربكم، وبدينكم الذي ضُيِّع، وبأمتكم التي استبيحت، وببلادكم التي تنقص من أطرافها، وبكرامتكم التي لم تعدْ، وبشرفكم وعرضكم الذي ينتهك ليل نهار... أن تنصروا الله ورسوله، أن تنصروا دينكم، أن تنصروا أمتكم، فاستجيبوا لله ورسوله إذا دعاكم لما يحييكم، والله معكم وهو حسبنا وحسبكم ولن يتركم أعمالكم... فضعوا أيديكم بأيدينا لنعيدها دولة خلافة راشدة على منهاج النبوة، دولة تُعلي راية الإسلام وتهز أركان الكفر والطغيان، فسارعوا لفرضكم ووعد ربكم وبشرى نبيكم تَعِزُّوا وتُفلحوا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ ٱللَّهِ...﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى هدم الخلافة... دولة قرار تظلُّك، لا دويلات عار تذِلُّك

م. خالد السراري

الحمد لله الذي جعل العقيدة الإسلامية فكرة الإسلام، ورسم طريقة واضحة جليَّة لتطبيقها، فكوَّن بذلك مبدأ قويًا صلبًا ينهض بصاحبه النهضة الصحيحة، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد، المرسَل والموضِّح لهذا المبدأ العظيم وآله وصحبه أجمعين ثم أما بعد.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم؛ قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام» كانت هذه رسالة خليفة المسلمين في ذاك الزمان هارون الرشيد إلى نقفور ملك الروم حين رفض تأدية الجزية وطلب من الخليفة أن يردَّ ما أخذه من ملكة الروم السابقة، فما كان من هارون الرشيد بعد أن أرسل هذه الرسالة إلا أن خرج بنفسه حتى وصل هرقلة وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت تفعل «إيريني» من قبل، كانت هذه الحادثة في عام (١٨٧هـ - ٨٠٣م) زمن الخلافة العباسية، زمن كانت فيه للمسلمين دولة خلافة تذود عن أرضهم وترعى مصالحهم.

وفي المقابل في زمننا التعيس، وبعد ما يقارب من ٩٩ سنة هجرية منذ سقوط خلافة المسلمين، يدفع رويبضات الحكم في دول الخليج وعلى رأسهم نظام آل سلول أكثر من ٥٠٠ مليار دولار جزية لأميركا رأس الكفر بعد استقبال حافل لسيِّدهم ترامب في الرياض الذي وصف السعودية من قبل بالبقرة الحلوب التي يجب أن تدفع الأموال مقابل توفير الحماية لها، فأيُّ ذلٍّ أكبر من هذا الذل؟! وأي هوان وصل إليه حال المسلمين اليوم؟ وما هي الحلقة التي فقدت لينفرط حال المسلمين أيما انفراط؟! دماء تسيل، أعراض مباحة، ثروات منهوبة، أرض محتلة تصول وتجول فيها جيوش الكفر أينما شاءت وكيفما شاءت، قد يظن القارئ أن إلاجابة عن هذه الأسئلة معقَّدة وصعبة وطويلة، والحقيقة أن الإجابة بسيطة وواضحة، سنشرحها بالتفصيل إن شاء الله.

إن الإسلام وُجد ليسود، فهو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للعالمين جميعًا وقد وعد حامله بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ﴾ وكان هذا ماحدث فعلًا حين طبق

المسلمون الأوائل الإسلام بالشكل الصحيح كمبدأ متكامل يأخذون منه جميع شؤون حياتهم، فبلغوا من العزة والتمكين مبلغًا عظيمًا، وتبوَّأت دولة الخلافة الإسلامية مكانها الطبيعي وهو المركز الأول عالميًا متفوقة في جميع المجالات العسكرية والطبية والهندسية والصناعية والثقافية والعديد العديد غيرها، وأذكر هنا حادثة من الماضي العزيز لنرسم فكرة بسيطة عن مدى تقدم المسلمين مقارنة بالأوروبيين، فقد بعث جورج الثاني ملك إنجلترا والنرويج والسويد برسالة إلى السلطان الأموي هشام الثالث في الأندلس، جاء فيها: «إلى صاحب العظمة / خليفة المسلمين / هشام الثالث الجليل المقام... من جورج الثاني ملك إنجلترا والنرويج والسويد... بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل... لتكون بداية حسنة لاقتفاء أثركم، لنشر العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز، لتتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف، وتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وفي حماية الحاشية الكريمة، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص. من خادمكم المطيع جورج الثاني».

عاش المسلمون في أمن وأمان وتقدم وازدهار لم يسبقهم إليه أحد من الأمم، فقد ظهرت الجامعات في العالم الإسلامي قبل ظهورها في أوروبا بمئتي سنة، وكانت أول جامعة بنيت هي جامعة الزيتونة في تونس في عام ٧٣٧م، وكان أول مستشفى في الإسلام بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ/٧٠٦م في دمشق، وأول مستشفى للجذام بناه المسلمون في التاريخ سنة ٨٩ هـ/ ٧٠٧ م بدمشق، في حين إن أوروبا كانت تنظر إلى الجذام على أنه غضب من الله يستحق الإنسان عليه العقاب حتى أصدر الملك فيليب أمره سنة ١٣١٣م بحرق جميع المجذومين في النار، وكتب التاريخ مليئة بالعديد من النماذج التي تقصُّ حال المسلمين في زمن العزة تجعل القارئ في أشد الانبهار على زمن الأمس وفي أشد الحسرة على زمن اليوم. ففي زمن اليوم يعيش المسلمين في ٦٠ دولة قسمها الغرب المستعمر في معاهدة سايكس بيكو، ومن ثم أسقطوا دولة الخلافة الإسلامية على يد خادمهم المطيع مصطفى كمال بعد تشويه صورتها وغزو المسلمين فكريًا لإدخال الأنظمة الجمهورية والشعارات القومية والوطنية، فصنعوا للمسلمين سجونًا قومية ووطنية وطائفية حتى صار المسلم ينظر للمكروه يقع لأخيه المسلم ولا يحرك ساكنًا وكأن الأمر لا يعنيه، بل صاروا يتقاتلون فيما

بينهم لمصلحة الغرب المستعمر الذي ينهب ثروات البلاد ويستبيح الدماء والأعراض وكل ما أراد عن طريق حكام خونة معيَّنين من الغرب، والذين لا يهمهم سوى خدمة أسيادهم من حكام الغرب وسرقة أكبر قدر ممكن من مال الناس، ويحرص هذا الخائن على إرضاء سيده حتى يبقى أكبر مدة ممكنة. فبالله أخبروني كيف يريد المسلمون أن يتبوؤوا مقعدهم الريادي من جديد وهم تحت ظل هذه الأنظمة؟

إن المصائب والكوارث التي يتلقاها المسلمون صفعة تلو الأخرى تبين بشكل أوضح كل يوم أن المسلمين قد خسروا مصدر عزتهم وكرامتهم بغياب دولة الخلافة الإسلامية. فالخلافة الإسلامية هي نظام الحكم المأخوذ من الإسلام، وهو النظام الوحيد الذي أقرَّه الشرع وبيَّن كذلك طريقة إقامته، فمن أراد أن يأتي بالنصر والتمكين بغير النظام الذي وضعه الإسلام، ألا وهو نظام الخلافة، فلن يستطيع مهما حاول. وكذلك من أراد أن يعيد الخلافة بغير الطريقة التي وضَّحها الإسلام فلن يفلح مهما حاول. والسبب ببساطة أن لكل مبدأ فكرة وطريقة، والإسلام مبدأ يمتلك فكرته وطريقته الخاصة الموضَّحة في الكتاب والسنة، فمن أراد أن ينهض النهضة الصحيحة فعليه أن يرجع إلى المبدأ ليفهم الفكرة والطريقة. ونظام الحكم في الدولة الإسلامية هي الخلافة كما وضَّحها الإسلام ووضح كذلك طريقة إقامتها، فما بالك بمن يأتي بأنظمة غربية كالاشتراكية والديمقراطية والعلمانية وغيرها ليفرضها في بلاد الإسلام ثم يطلب النصر من الله، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ والتاريخ واضح بالدلائل والعبر، فما تقدم المسلمون في شتى الميادين إلا تحت ظل خلافة إسلامية كانت ترعاهم، وعندما فقدت الخلافة ضعف المسلمون وهانوا، ولن يعود عزهم من جديد إلا بعودتها. فكيف بحالنا اليوم وقد قُطِّعت بلاد المسلمين إلى ٦٠ قطعة مفصَّلة تفصيلًا خاصًا لتكون دويلات تابعة لسيدها الغربي، وتحكم المسلمين بأنظمة غربية دخيلة على الإسلام لا تملك أدنى مقومات الدولة الحرة التي تملك قرارها؛ ولذلك وجب على المسلمين جميعًا أن يعوا أن السبب الأول من أسباب النصر والتمكين هو العودة لطريقة الإسلام في إقامة دولة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، الدولة الواحدة التي ستضم جميع المسلمين في بلد واحد بلا حدود ولا فواصل، تحت إمام عادل تختاره الأمة ليرعى مصالح المسلمين ويقود الأمة نحو النصر والتمكين لتعود إلى مركزها الطبيعي، وهو الدولة الأولى في العالم، قال تعالى: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾. ■

ومن ينصر الإسلام كان هو البطلْ

الشاعر أبو شاهين - غزة

ننادي جيوش المسلمين ولم نزلْ ... وما زال منا القلب ينبض بالأملْ

ننادي جيوش الحق نطلب نصرة ... وإنا بهذا الدرب لا نعرف الملَلْ

ونسعى لذي السلطان ننكر ظلمه ... وما قدَّم الإنكار أو أخر الأجلْ

ونسعى لضباط الجيوش وإننا ... على عجل نسعى ولسنا على عجلْ

ونسعى نقول الحق نوقظ جيشنا ... فكيف يقوم الجيش والحق لم يقلْ

ونحمل مشروع الخلافة مبدأً ... فطوبى لمن يسعى وطوبى لمن حملْ

ننادي وما كان النداء هواية ... ولكنه فرض الإله ولم يزلْ

وما دام في الأعمار يوم نعيشه ... نزج به حيث النداء بلا وجلْ

ونسلك عن وعي طريقة أحمد ... نموت بها جوعًا ولا نرتضي البدلْ

هي الحق من عند الإله وفرضه ... فلا خلل يغشى الطريقة أو زللْ

هي الحق نهج المصطفى وسبيله ... ومن يلتزمْ نهج الرسول فقد وصلْ

وإن جبل سدَّ الطريق وجوده ... بفكرتنا والعزم نقتلع الجبلْ

ومن حاد عن هذا الطريق كعابد ... غدا جُنُبًا ينوي الصلاة وما اغتسلْ

وننشر بين الناس وعيًا ومبدأً ... وَصَفُّ الجيوش الوعي فيهم قد اكتملْ

فيا جيشنا هل هان عندك ديننا ... ترى المسجد الأقصى بلا نصرة يُذَلْ

وعندك سيفٌ يبلغ النجمَ حدُّه ... وخير جند لا نقاش ولا جدلْ

أيملك حدَّ السيف من خان دينه ... ويحكم في دستور أمتنا هُبَلْ

أتحمي نظام الظلم وهْو مؤسسٌ ... على غير دين الله يحكم بالدجلْ

فخذ من هدى الاسلام خير أمانة ... وبدِّدْ نظام الحكم واجعل به الشللْ

وكن كسعدٍ وانصر الدين مُقبِلا ... تر الناس تلقى الجيش بالحضن والقبلْ

ننادي على الأجناد نطلب نصرة ... وقدوتنا فيها الرسول كما فعلْ

وإن ذوي الألباب يُرجى وصالهم ... ومن ينصر الإسلام كان هو البطلْ ■

المحور الرابع:

العلماء ورثة الأنبياء... فأين هم؟!

- **أيـن هـم العلمـاء والأحـزاب والحـركات الإسـلامية مـن مقاومـة الهجـوم علـى الإسـلام؟**
- **العلماء الربَّانيون يبلغون رسالات ربهم، ولا يخشون أحدًا سواه.**
- **فارس الإسلام الإمام العابد المجاهد السّرْمَاري.**
- **البعض قال دعوا السياسة جانبًا (قصيدة).**

بسم الله الرحمن الرحيم

أين هم العلماء والأحزاب والحركات الإسلامية من مقاومة الهجوم على الإسلام؟

عصام الشيخ غانم

لا بد في البداية من الإقرار بأن للأحزاب والحركات وظائف يجب عليها أن تقوم بها، ولا يمكن للناس أن يتخيلوا بأن حركة ما قامت لتحرير بلد من الاحتلال ثم تقوم بتسليمه للمحتل، ولا أن تقوم حركة إسلامية بالتعاون مع أعداء الإسلام لضرب الإسلام؛ ولكن شدة الحرب العالمية على الإسلام قد جعلت من كل ذلك ممكنًا، وهذا يمثل ذروة المخالفة للمعهود.

فمثلًا يعلم الناس جميعًا أن دور العلماء هو بيان الحقيقة للناس، وقد كنا نسمع من علماء السعودية مواعظ كثيرة في حرمة الغناء والاختلاط والمجون، وكنا ننتقد تركيزهم على هذه الأمور وأنهم لا ينكرون على الحاكم السعودي عمالته للغرب وتعاملاته بالربا مع البنوك الغربية، ولعلَّ أولئك العلماء كانوا يرَونها تعاملات خالية من الربا على المستوى الداخلي باعتبار أن الحاكم هو خادم الحرمين الشريفين، أي لا بد من أنه يحكم بالإسلام، فكانت المسائل الخارجية مغيَّبة عن أذهانهم بدون قصد، وبعضهم للأسف مع قصد... لكن لما جاء ابن سلمان إلى الحكم وجاءت معه مظاهر المجون والحفلات الغنائية المشينة التي تقام قريبًا من مدينة الرسول ﷺ، وأعلن عن مشاريع الترفيه والسياحة والاختلاط بين الرجال والنساء تحت عناوين فتح المجتمع السعودي، كنا نتوقع من هؤلاء العلماء أن يبيِّنوا للناس فساد هذه السياسة؛ لكن قلةً منهم قاموا بذلك وسقطت أقنعة كثيرين أمام هذه السياسة بعد أن كان الناس يظنون بهؤلاء العلماء خيرًا، بمعنى أنهم لم يقوموا بواجبهم كعلماء، بل وقام بعضهم بالتبرير للحاكم وتزيين سياسته!

فللعلماء دور يجب عليهم القيام به، وللأحزاب الإسلامية دور يجب عليها القيام به؛ وإلا فإن الأمور لا تفهم بغير ذلك. وقد لوحظ في الفترة الأخيرة، وهي الحقبة المتبقية للعصر الجبري، بأن الحكام يزيدون في درجة عدائهم للإسلام؛ فحاكم مصر يطلب التجديد للإسلام لأن دين الله لا يعجب أسياده الأميركيين، وكذلك حاكم السعودية الذي ينشر الرذيلة بين الناس بعد أن كانت تقتصر على حكام آل سعود، كل ذلك من أجل الصدِّ

عن دين الله. وحاكم السلطة الفلسطينية يعتبر بأن من يعادي اليهود هو كافر؛ لأن اليهود يطلبون منه التخذيل عنهم... وبالمجمل فقد باتت مواقف الحكام في الفترة الأخيرة شديدة العداء للإسلام والمسلمين في مشهد يجزم معه الجميع بأن هؤلاء الحكام يضعون أنفسهم في صف الكفار ضد الأمة الإسلامية التي يحكمونها، كل ذلك حتى ترضى عنهم أميركا وأوروبا وروسيا أعداء الإسلام.

وإذا كانت مواقف هؤلاء الحكام متوقعة من أعداء الإسلام، وهم كذلك، وكان المخلصون يفهمون هذا الواقع للحكام بشكل صريح، إلا أن بعض الحركات والأحزاب كانت وبسبب قلة وعيها السياسي إما تظن ببعضهم خيرًا، وإما أنها لارتباطها بهؤلاء الحكام كانت تصمت. أما وقد طفح الكيل وظهر عداء هؤلاء الحكام لدين الله، وأعلنوا اصطفافهم مع دول الكفر ضد الإسلام وأهله، فإن أقل واجب ممكن من هذه الأحزاب والحركات هو أن تعلن البراءة منهم أمام الناس.

وهنا نركز بأن قيمة الإعلان أن تكون أمام الناس؛ إذ لا قيمة لأي قول آخر، كأن يقول بعضهم بأننا نعلم ذلك وندركه ونحذر منهم؛ ولكننا لا نعلن ذلك مخافة البطش بنا أو غير ذلك من التبريرات. وإلى هؤلاء نقول بأن كبار سادة قريش، أعداء الإسلام، كانوا يقتربون من بيت محمد ﷺ وينصتون إلى تلاوته للقرآن وهم يدركون كامل الإدراك بأن ما يقوله ليس بكلام بشر، فكانوا يدركون إعجازه وعلوّه ولذته، ولكن موقفهم في العلن كان العداء للإسلام، فماتوا وهم كذلك ومأواهم النار وبئس المصير. فالقيمة، كل القيمة هي للمواقف المعلنة، والأمة تنتظر من هذه الأحزاب والحركات أن تعلن مواقفها وبراءتها من هؤلاء الحكام علنًا، ولكن الغالبية العظمى من هذه الحركات والأحزاب الإسلامية تلوذ بالصمت، وتظن بأن موقفها مقبول عند الله، فضلًا عن أن هذه المواقف لا تبرئ الذمة ولا تبيِّن للناس فساد هؤلاء الحكام (اللهم إلا بعض الأمور وفي سرٍ لا علن)، والأهم أنها مواقف مضلِّلة للأمة، ومضلِّلة لأتباعها، وغريبة على أحزاب تعلن أنها مبدئية تتبنى الإسلام وتتسمى به!

ومن أمثلة المواقف التي سيُسأل عنها أصحابها أمام الله تعالى، وتسألهم عنها الأمة في الدنيا، موقف حزب النور السلفي على سبيل المثال لا الحصر عندما أيَّد انقلاب السيسي ضد مرسي غفر الله له، ثم لم يقل شيئًا أمام مذابح رابعة العدوية في مصر. ثم العلاقة الوطيدة والزيارات لقيادات حركة حماس إلى طهران ودمشق وهما يذبحان المسلمين من الوريد إلى الوريد في سوريا، وزيارة رئيسها لموسكو ودعوته إياها للتدخل في القضية الفلسطينية وهي أول من اعترف بكيان يهود سنة ١٩٤٨م، وهي تصب حمم طائراتها فوق المسلمين في إدلب، ثم تنسيقها المستمر مع مصر السيسي التي تذبح الإخوان المسلمين في مصر.

وكذلك مواقف الحركة الوهابية السعودية في تأييدها لسياسة سلمان وابنه ولا يقولون شيئًا عن تطبيعهم مع كيان يهود، ويؤيدون كل ما يصدر عن الحاكم تحت ذرائع شرعية واهية بوجوب اتِّباع الحاكم. وحدث ولا حرج عن مواقف حزب النهضة التونسي من التعاون مع العلمانيين ورفض تطبيق الشريعة رغم قوتهم في البرلمان المخصَّص للتشريع، بل إن مسألة تطبيق الشريعة ليست مطروحة على الإطلاق في سياسة حزب النهضة هذا، ناهيك عن تنسيقه مع الدول الكافرة فرنسا وبريطانيا وغيرهما...

وفي المقابل نجد **حزب التحرير** يقف مواقف ترضي الله تعالى وتُعلي من شريعته وتناضل علنًا من أجلها، وهذا الكلام قد يكون عامًا، ولكن دعونا نأخذ بعض الأمثلة من مكان واحد هو فلسطين، وقس عليه في البلاد الأخرى:

أولًا: في السنوات القليلة الماضية وضمن خياناتها لله ولرسوله والتي لا تنقطع، فقد أقدمت السلطة الفلسطينية على استملاك قطعة أرض كبيرة في مدينة الخليل بهدف إعطائها للروس لبناء كنيسة عليها، وفضلًا عن أن الخليل لا يسكنها النصارى، فإن قطعة الأرض تلك قد أقطعت من سيدنا محمد ﷺ للصحابي الجليل تميم الداريِّ وتملّكها أحفاده من بعده، وهم اليوم عائلة كبيرة في مدينة الخليل «آل التميمي». فكان هذا العمل الإجرامي من السلطة الفلسطينية مستفزًا بقوة، ليس فقط من باب أخذ أملاك الناس وإهدائها للكفار، وليس من باب بناء كنيسة في منطقة إسلامية تخلو من النصارى، بل ومن باب أعظم وهو الجرأة على تبديل فعل فعله محمد ﷺ، فلهذه الأرض قدسية إقطاع النبي الكريم لها للصحابي تميم الداريّ.

ماذا فعلت الأحزاب والحركات الإسلامية في فلسطين؟ ربما لا يجيبك أحد سوى عن موقف **حزب التحرير** الذي كان موقفه موقفًا صلبًا جنَّد خلاله شبابه والكثير من المسلمين الآخرين لمناصرة قضية هذا الوقف الإسلامي، فأصدر البيانات ووزعها بكفاحية عالية، وجمهر الناس في مناسبات عدة لتعلن رفضها لقرارات السلطة تلك، وخلال تلك التجمعات واجه **حزب التحرير** في فلسطين قمع أجهزة السلطة التي فرَّقت المتظاهرين بالقوة، وزجَّت بالكثير من أعضاء الحزب في السجون، واستمر الحزب يجمهر المسلمين أمام المحاكم الفلسطينية التي خصصت للبت في هذه القضية، ويرسل الوفود إلى القضاة الذين تبدَّلت مواقف الكثير منهم أمام صلابة موقف الحزب وقدرته على حشد الجماهير ضد السلطة في مسألة وقف الصحابي الجليل تميم الداريّ، وضجَّت مواقع التواصل بصلابة موقف الحزب ومواقف شبابه. وبالمجمل أصبح **حزب التحرير**، لوحده هو القوة الرافضة لسياسة السلطة تلك بتمليك المجرمين الروس أرض الصحابيّ الجليل تميم

الداريّ، وكابد الحزب في سبيل ذلك متحمِّلًا أذى السلطة واعتقالاتها وتفريقها للجموع بالعصي والمسيل للدموع. وهذا موقف يشهد بأن **حزب التحرير** وقف لما يرضي الله ورسوله، فكان موقفه نابعًا من فكرته وحمله للإسلام.

وأما الحركات الإسلامية الأخرى كلها، فلم نسمع منهم إلا همسًا، أو أقل من همس، بل إن الكثير من أعضاء تلك الحركات قد انخرطوا في نشاطات **حزب التحرير** واستظلوا بها فيما بقيت الأحزاب والحركات في مأمن من قمع السلطة وغطرستها.

ثانيًا: وضمن سياستها لزيادة إرهاق الفلسطيني وإفقاره، فقد جاءت السلطة الفلسطينية بمشروع الضمان الاجتماعي بهدف الاقتطاع من رواتب العمال والموظفين والتي هي بالكاد تسد الرمق، من أجل وضع تلك الأموال بين أيدي حفنة من البنوك لتشغيلها بالربا في الخارج. وهنا تبنَّى **حزب التحرير** في فلسطين هذه القضية باعتبارها مصلحة من مصالح المسلمين، ثم إنها تمسُّ الأحكام الشرعية فيما يتعلق بالتعاملات الربوية، وقام بمشاركة الجماهير المعتصمة وأرسل الوفود إلى ذوي العلاقة من أجل إلغاء مشروع الضمان الاجتماعي، وحرَّض بشكل علني لا سرِّي المؤسسات والشركات على رفضه وعدم التعامل معه رغمًا عن السلطة ومشروعها وقراراتها. فكان موقف الحزب قويًا مسموعًا بل ومدويًّا بوجوب رفض مشاريع السلطة الفلسطينية التي تنتهك الأحكام الشرعية وتضيع مصالح الناس في غياهب البنوك المحلية والدولية، وقد أحست الجماهير الفلسطينية بمناصرة الحزب لهم في هذه المسألة، وارتفع شأن الحزب لأجلها بوضوح وصلابة وقوفه على الحق لا يضره من خذله ولا من خالفه.

وأما الحركات والأحزاب الأخرى فقد كان لها بعض الدور، وبعض الرأي، وما جرَّأهم على ذلك أنها مصلحة من مصالح الناس، وأن الناس تهبُّ لأجلها، والأهم من كل ذلك هو أن تلك الحركات والأحزاب قد وقفت ضد القرار باعتبار مصالح الناس وليس باعتبار مخالفته للأحكام الشرعية، وقد كان الحزب «الحاكم» من ضمن تلك الأحزاب، وإلا فإن تلك الحركات لا تجرؤ على الدفاع عن الإسلام بشكل علني حتى لا تُتهم بالتطرف. وأما **حزب التحرير** فقد كان موقفه أشد قوةً ونصاعةً وظهورًا، فالناس تميِّز بين المواقف الصلبة وتلك المواقف التي تصدر في بيانات عابرة لا تقدم ولا تؤخر، ولا يلتفت إليها صنَّاع القرار لضعفها.

ثالثًا: تبنَّت السلطة الفلسطينية المعاهدة الدولية «سيداو» أو ما يسمى بالقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وانتشرت في فلسطين مختلف المنظمات النسائية المموَّلة من أميركا وأوروبا تعلن ضمنًا وليس علانيةً حربها على أحكام الإسلام الخاصة بالمرأة، فنادت هذه المنظمات والجمعيات الملبَّدة بالأموال الأجنبية القذرة بتحرير المرأة

الفلسطينية من سلطة الرجل، وأعلنت الحرب على أحكام وصاية الأب والزوج على النساء، كما أعلنت الحرب على الزواج المبكر، وبدفع من تيار الأموال الأجنبية القذرة نظَّمت حملات ضد ما أسمته «ذكورية المجتمع»، وكان كل ذلك يتم بتسهيل من السلطة الفلسطينية ودعم منها، وحتى الأجهزة الأمنية الفسطينية قد شاركت في حملات الترويج لاتفاقية سيداو.

ولأن المسألة تمس الأحكام الشرعية بشكل مباشر، فقد وقف **حزب التحرير** حارسًا أمينًا للإسلام، ولم يقف غيره من الحركات ولم يسمع لهم حتى الهمس، ولم يصدروا بيانًا مخافة أن يقال عنهم بأنهم متطرفون، ومخافة أن تغضب عليهم قطر ودول أوروبا وأميركا. نعم وقف **حزب التحرير** موقفًا صلبًا وأصدر البيانات القوية ووزعها بكفاحية عالية، ونظَّم المحاضرات والوقفات وغير ذلك من الأنشطة المختلفة بما فيها إرسال الوفود لجهات مختلفة، كل ذلك للذود عن الأحكام الشرعية، وعلى الرغم من الأذى الذي لحق أعضاء الحزب من السلطة المجرمة التي لا تترك جريمة إلا اقترفتها؛ إلا أن صوت الحزب قد أصبح مسموعًا ومحترمًا، واشتُهر بدفاعه عن الإسلام في وقت خبت فيه كل الأصوات، فلا حركة مقاومة تقاوم، ولا حركة «إسلامية» تدافع عن انتهاك أحكام الإسلام إلا **حزب التحرير**.

رابعًا: الوقوف ضد صفقة ترامب، فقد طرح الرئيس الأميركي ترامب صفقته لحل القضية الفلسطينية، وكان طرحًا «يهوديًا» بامتياز، ولم يترك للفلسطينيين أرضًا أو مياهًا أو أمنًا أو حدودًا أو قدسًا أو حتى المسجد الأقصى الذي نصت خطته على كونه مفتوحًا لكافة المصلين من كافة الديانات وتحت سيادة كيان يهود. وعلى عادتها في تمرير الخيانة خطوةً خطوة، فقد عارضت السلطة الفلسطينية الخطة الأميركية وأعلنت رفضها لها.

عارض **حزب التحرير** الخطة الأميركية وهاجمها في بيانات مختلفة وزعها بطريقة كفاحية، وعارضت الأحزاب والحركات الأخرى الخطة الأميركية؛ لكن وأثناء النشاطات التي قام بها الحزب وأشهرها مسيرات الخليل ورام الله وجنين الحاشدة، وقمع السلطة بقوة لمسيرة جنين، وضربها لكبار السن، فقد انكشف أمر السلطة للجميع، وأنها إنما تعارض الخطة الأميركية كمرحلة أولى؛ لتقول للناس في المرحلة التالية بأنه لا سبيل غير المضي بها والقبول بها؛ وإلا فإن كل فلسطين ستضيع، هذا هو ديدنها، وبهذه الطريقة تعمل لصالح يهود والدول الكافرة لتمرير المؤامرات على فلسطين.

وقد بلغ من خضوع السلطة الفلسطينية لخطة ترامب أن (قال عباس، خلال اجتماع لمجلس الأمن، حول «الخطة الأميركية للسلام»، أو ما يُعرف بـ»صفقة القرن»: «نحن لسنا ضد أتباع الديانة اليهودية، المسلم الذي يقول أنا ضد اليهود، فقد كفر وليس مسلمًا". الوكيل

الإخباري، ٢٠٢٠/٢/١١م)، ولم تعلن الأحزاب والحركات موقفها من تبديل رئيس السلطة للإسلام ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، وأعلنها **حزب التحرير**، وجاهر بها، وشكَّك في موقف السلطة من صفقة القرن، ولأنه كذلك فقد قامت السلطة باعتقال شباب الحزب واختطافهم من الطرقات على نهج عصابات قطاع الطرق في محاولةٍ منها لثنيهم عن كشف موقف السلطة حتى تتمكن من تمرير مخططات ترامب تحت ذرائع مختلفة، كما مرَّرت اعترافها بكيان يهود على ٨٠٪ من فلسطين، بعد أن قامت لتحريره قبل حرب ١٩٦٧م.

وإذا كنا هنا لا نبحث في موقف السلطة وكيف أنها اشتهرت بمواقفها المخزية، فإننا نركز على مواقف الحركات والأحزاب التي يجب عليها أن تعلن موقفها الرافض للخطة الأميركية، وإذا كانت هذه الأحزاب والحركات قد أعلنت موقفها الرافض لتلك الخطة؛ إلا أن الشعب في فلسطين لا يحسُّ بتلك المواقف، ولا يرى إلا موقف **حزب التحرير** الصلب، فحركة حماس والجهاد تعلنان رفضهما للخطة الأميركية؛ ولكنهما يفاوضان مصر ومخابراتها وهي التي أعلنت بأن الأطراف (الفلسطينية واليهود) يجب أن يجلسا على طاولة المفاوضات وبحث الإيجابي في خطة ترامب، أي تمريرها خطوة خطوة، يبدأ بالإيجابي ثم الأقل إيجابية، ثم المؤلم، وهكذا لتكتمل، وهذا موقف معروف للأنظمة العربية العميلة التي لا تملك قرارها، بل هو يُملى عليها من أميركا أو أوروبا، لكن ما بال تلك الأحزاب والحركات تفاوض هذه الأنظمة ولا تدير لها ظهرها، ولا تتوكل على ربها، بل تتكل إلى تلك الأنظمة؟!

هذه بعض من المواقف المشرفة التي وقفها **حزب التحرير** في الأرض المباركة فلسطين في الفترة القريبة الماضية، وقد اشتهرت مواقف الحزب هذه بين أهل فلسطين لكثافة النشاطات التي يقوم بها الحزب في هذا الاتجاه، فهو لم يصدر بيانًا وكفى، بل يطلب من المسلمين إسقاط قرارات السلطة بخصوص أرض تميم الداريِّ، وتبني اتفاقية «سيداو» وأوقف مشروع الضمان الاجتماعي، وقد تم تعليقه بالفعل، وكذلك رفض المفاوضات مع كيان يهود لا فرق في ذلك بين أن تكون خطة ترامب أساسًا أم غيرها، فكلها خيانة لله ولرسوله وللمسلمين. وكل مواقف **حزب التحرير** صلبة يشهد القاصي والداني بصلابتها، ولم يتراجع عنها الحزب رغم ما لاقاه ويلاقيه في سبيل تبنيه هذه المواقف، فيما الأحزاب والحركات الأخرى تعلن مواقف خجولة من تلك المسائل. وهذه المواقف الخجولة لا تقدم ولا تؤخر في مجريات الأمور السياسية، بل ولا ترفع أصحابها، فالأمة تريد من الأحزاب والحركات التي توليها قيادتها أن تكون جريئة ونابعةً من أساس متين هو الإسلام، فالأمة لا تولي قيادتها لجاهل أو جبان.

وقد يقول بعض من لا يدركون الأبعاد السياسية والمجتمعية للمواقف الصلبة، ما فائدة كل هذه الضجة والسلطة ماضية في غيِّها؟ نقول بأن المسألة لو كانت كذلك لقيل ما فائدة تحدي رسول الإسلام محمد ﷺ لقريش؟ فالمسألة لا تطرح على هذه الشاكلة. وكل كيان يجب عليه القيام بالدور الذي أناطه بنفسه. فالحركات والأحزاب، إما أن تكون في الحكم فتطبق مبادئها ويرى الله ورسوله والناس إخلاصهم وقدرتهم ويوفقهم إلى النجاح إذا كانوا وفق منهجه سبحانه وتعالى، وإما أن تكون خارج الحكم، فتكون وظيفتها على شقين:

أ) الصراع مع السلطة القائمة من أجل أخذ الحكم وتطبيق ما عندها من مبادئ

ب) أن تعلن مواقفها من سياسات السلطة القائمة، فتعارضها لأنها تخالف مبادئها، بل وتجعل من تلك المعارضة وسيلة لأن ينفض الناس ثقتهم بها، فيسهل ذلك سقوطها وانهيارها،

وبغير ذلك لا يمكن فهم أي دور للأحزاب والحركات والإسلامية، إلا أن تكون جزءًا من ذلك الحكم، وظيفته لعب دور المعارضة زورًا وبهتانًا، فتعارض السلطة القائمة في إطار ما تسمح به تلك السلطة أو ما يسمونه في إطار القانون الذي تكون السلطة قد فرضته، فمثل هذه الأحزاب والحركات لا يرتجى منهم تغيير، وهم وَبال على الأمة يؤخرون صعودها ويُعيقون تطبيق الإسلام فيها، ويمكن لأعداء الإسلام من الدول الكافرة أو أتباعهم من الدول القائمة في المنطقة الإسلامية أن يستخدموا هذه الحركات والأحزاب أيما استخدام، فيأتون بها إلى الحكم ويخرجونها منه حسب مصالحهم وحاجاتهم من أجل إسكات الأمة وإفراغ مطالبها بالحكم بالإسلام، إذ يظن كثير من الناس بأن وصول حركة إسلامية إلى السلطة يعني وصول الإسلام، وما هو كذلك، ولنا في مصر وتونس وغيرهما أمثلة كثيرة كيف استُخدمت تلك الأحزاب والحركات من أجل إبعاد الإسلام عن الحكم.

وفي الختام نقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾، فالأمة تنتظر من الأحزاب والحركات مواقف حقيقية صلبة من هؤلاء الحكام الذين ظهرت عوراتهم بأبشع صورها خلال هذه الحقبة الأكثر إيلامًا من حياة الأمة، فالمسلمون يُقتلون من الوريد إلى الوريد في سوريا وفلسطين واليمن وليبيا ومصر وغيرها، ولم يعد هناك متسعٌ من الدبلوماسية الخبيثة، بل الوقت وقت الجد، وقت المواقف الصلبة العلنية.

ومن اتخذ مثل تلك المواقف في سبيل الله فقد فاز في الدارين؛ ففي الأولى عز وكرامة رغم الشدة وبأس الأنظمة، وفي الآخرة رضا من الله أكبر لمن اتخذ حياته سبيلًا إلى الله تعالى، ومغفرة وأجرًا كريمًا. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء الربَّانيون يبلغون رسالات ربهم، ولا يخشون أحدًا سواه

مازن الدباغ - الموصل

خلق الله الإنسان ووهبه نعمة العقل التي ميَّزه بها على سائر خلقه. ولهذه النعمة قابلية المعرفة وإدراك الأمور، واختصَّ من البشر من أحبَّ فتفضل عليهم وفقَّههم في الدين وعلَّمهم التأويل، وسماهم العلماء ووصفهم بأنهم هم الذين يخشونه ولا يخشون أحدًا سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر]، وقال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب]. ومن علامات الخشية: الجهر بالحق وتبليغه للناس، حتى وإن كان فيه تعرض للأذى من ذوي السلطان الذين لا يوافق الحق أهواءهم. فالعالم بين أمرين:

• إما أن يبلِّغ هذه الأمانة كما أمر الله تعالى ويصبر على الأذى في هذا مبتغيًا الأجر من الله وحده؛ لأنه يخشى الله ولا يخشى أحدًا سواه.

• وإما أن يسكت أو يداهن فتفتح عليه الدنيا من السلطان وأصحاب الشهوات؛ لأنه يخشى السلطان ويتَّبع الهوى فيتجرَّأ على الله.

وهذا الفرق هو المميِّز بين العلماء الصالحين وعلماء السوء في كل زمان ومكان. فالعلماء الصالحون الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» رواه الترمذي، وقال أيضًا، فيما يرويه الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه**» فبهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، وهم ورثة الأنبياء، ووجهة الأنام، وقبلة الحكام الصالحين... شرَّفهم الله تعالى ورفعهم فقال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ وهكذا حمل هؤلاء العلماء الأمانة ورعَوها وأدَّوها كما أمرهم الله أن يؤدُّوها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ فكانوا منارات للهدى، إذا تاه الناس هرعوا إليهم، وإذا

استشكل على أولي الأمر أمر استرشدوهم، فهم صمام الأمان بين الحاكم والأمة، وهم عون المظلومين على الظالمين، وأمثال هؤلاء لم يقتصر وجودهم على عصور الإسلام الأولى أو الفترة الذهبية للمسلمين، بل إن وجودهم واجب شرعي إلى قيام الساعة؛ لأنهم حجج الله على عباده، اجتمعت فيهم صفة الإخلاص، والعمل بما علموا، والزهد في الدنيا، وخشية الله وقول الحق مهما كان ثمنه.

ونضرب مثالًا على هذا، العالم الرباني الذي يخشى الله ولا يعرف خشية لسواه، إنه العالم الجليل العز بن عبد السلام، وكان قاضٍ للقضاة في عصر الأيوبي، فبعد أن علم أن الأتراك المماليك الذين جلبهم السلطان للجهاد قد أصبحوا أمراء وقادة في الجيش، أراد تطبيق الحكم الشرعي بحقهم، فأرسل إليهم وقال لهم: «نعقد لكم مجلسًا، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي» فرفضوا واستكبروا، ولم ينفردوا باتخاذ القرار بشأن العز، فرفعوا الأمر إلى السلطان أيوب، فبعث إليه وراجعه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمةٌ فيها غلظة على العز، وحاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر الذي لا يعنيه ولا يتعلق به.

وهنا أدرك العز أن الأمراء تمالؤوا عليه ووقفوا في وجه ما يعتقد أنه الحق وتطبيق الشرع، فأعلن الانسحاب وعزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل ونفذ قراره فورًا، فحمل أهله ومتاعه على حمار وركب حمارًا آخر وخرج من القاهرة، وما أن انتشر الخبر في الشعب حتى أعلن الناس الوقوف بجانب العز، وقرروا العصيان غير المسلح بالالتحاق بالعز، فلم يصل العز خارج القاهرة إلا قليلًا حتى لحقه غالب المسلمين من العلماء والصلحاء والتجار حتى النساء والصبيان. فقال قائل للسلطان: «أدرك ملكك وإلا ذهب بذهاب الشيخ» فركب السلطان بنفسه ولحق بالشيخ العز واسترضاه وطيَّبَ قلبه وطلب منه الرجوع والعودة إلى القاهرة، فوافق العز على شرطه بأن يتمّ بيع الأمراء بالمناداة عليهم، ورجع الجميع إلى القاهرة.

وبعد ذلك حاول نائب السلطان التدخل بالملاطفة، ثم بالتهديد والوعيد، ثم بمحاولة التخلص من الشيخ وقتله، وبعد أن فشلت كل محاولات التهديد والوعيد من قبل نائب السلطان، أذعن الأمراء للأمر، واستسلموا لحكم الشرع، وأُعلنَ المزادُ العام، ووقف العز ينادي على أمراء الدولة واحدًا واحدًا، ويغالي في ثمنهم، وتدخّل الشعب في المزايدة حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز الأفراد عنه قام السلطان أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص ليتملك الأرقاءَ الأمراءَ، ثم أعتق رقابهم فصاروا أحرارًا واحتفظ بهم قادة، وقبض الشيخ العز الثمن فوضعه في بيت مال المسلمين.

بيد أن الله سبحانه وتعالى في الوقت نفسه ذم قسمًا من العلماء ووصفهم بأخس وصف لهم: وجعلهم صنفين:

الصنف الأول: هم الذين حمَّلهم الله العلم ولكنهم لم يعملوا بما فضلهم الله به، ولم يؤثر هذا العلم في سلوكهم فكانوا كالحمار الذي يحمل الأسفار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن كثير في تفسره للآية: «أي كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسيًا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يتفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، فهم أسوأ حالًا من الحمار؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾.

الصنف الثاني: صنف أسوأ حالًا من الأول وأقبح فعلًا؛ إذ أخذ العلم ولكنه انسلخ منه كما ينسلخ الحيوان من جلده، يشتري بدينه دنياه ودنيا غيره من الحكام والظالمين، دالعًا لسانه بتحريف الكلم عن موضعه إرضاءً لمن ينعم عليه بالمال؛ فكان تمامًا كمثل الكلب اللاهث الذي قال تعالى فيه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول سيد قطب رحمه الله وهو يستعرض المشهد الرائع لهذه الآية: «إنه مشهد من المشاهد العجيبة الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات، إنسان يؤتيه االله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخًا، ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه. ذلك مثلهم، فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم. ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخًا، ثم إذا هم أمساخ» وهل أسوأ من هذا المثل مثلًا؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعرِّي من الهدى؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟ وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يُعرِّيها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضًا للشيطان يلزمها أو يركبه، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللاهث لهاث الكلب أبدًا».

واليوم، وفي الواقع المرير الذي تعيشه

الأمة، نجد أمثال هؤلاء كثير. فبدلًا من أن يأخذوا بيد هذه الأمة الجريحة ويداووا جرحها ويلموا شعثها ويرشدوها إلى صلاح حالها، تراهم يتنكرون لها ويحرفون شرع الله ليوافق أهواء الحكام بظلمهم وإجرامهم وحكمهم بغير شرع الله، فنسمع من شيوخ الفتنة هؤلاء وهم يحملون الألقاب الرنانة، مفتي الجمهورية، رئيس رابطة العلماء، الشيخ الدكتور، وغيرها من الألقاب التي قال عنها الرسول الكريم ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**» رواه أبو داود. فكانوا كما حذر الرسول الكريم ﷺ عن عبد الله بن عمرو حيث قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا، فسُئلوا فأفتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا**»

وبعد، فقد كان هذا موجزًا في بيان علامات العلماء الصالحين وعلماء السوء، ليستفيد به العالم في نفسه، وطالب العلم، وعموم المسلمين في معرفة من يُؤخذ عنه العلم ويُقبل قوله في الدين ممن لا يؤخذ عنه علم ولا يُقبل له قول.

وفي الختام، وبعد أن بيَّنَّا أهمية العلم والأمانة التي يحملها العالم، والتخويف والوعيد لمن يخون هذه الأمانة، لابد لنا من توجيه كلمة للعلماء والنصح لهم، فإن الدين النصيحة. نقول لهم إن الله قد منَّ عليكم ورفعكم بين الناس وفضلكم عليهم؛ فأدوا أمانة الله كما أمركم أن تؤدوها، وكونوا مع الأمة تبينون لها شرع الله، وتنقذوها من جهلها وضياعها إلى سبيل الرشاد، عونًا لها على من ظلمها، وأنتم تشاهدون اليوم الحملة الشرسة التي يقودها الكافر وأذنابه على شرع الله ومحاولة تشويهه وتمييعه باسم التجدد والحريات ومحاورة الأديان، فمكانكم الطبيعي في المقدمة تذودون عن حياض الإسلام وتحاسبون الحكام، وبذلك تنالون شرف هذا العلم وثوابه العظيم الذي ورد في الكتاب العزيز وعلى لسان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فأنتم أعلم من غيركم بقيمة الحياة الدنيا أمام الآخرة.

اللهم أصلح علماءنا، واجعلهم ربانيين كما أمرت، وأرنا عز الإسلام والمسلمين بظل خلافة راشدة على منهاج النبوة. ■

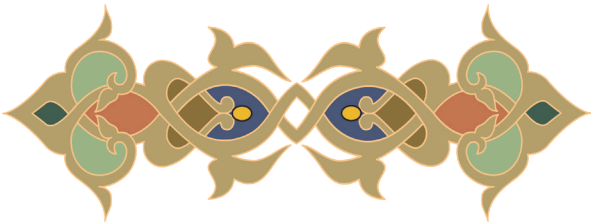

فارس الإسلام الإمام العابد المجاهد السّرْمَاري

محمود هلال - تركيا

نحن في مقالنا هذا، سنتناول شخصية إسلامية عابدة وعالمة ومجاهدة، ولعل من يقرؤها من علماء هذا الزمان أن يحذوَ حذوَهم فيكونوا في الصفوف الأولى العاملة للتغيير. وإن الناظر إلى حال الأمة في وضعها الراهن يجد أنها أحوج ما تكون إلى علماء ربانيين يرشدونها إلى طريق الحق والنجاة في مساربِ هذه الحياةِ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، ومنارات الهدى التي تنير للناس الطريق ليصلوا إلى مدارج التوفيق، فَعَنْ أبي الدرداء ﷺقال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وإنَّ العُلَماءَ ورَثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثوا العِلْمَ، فمَن أخَذه أخَذ بحظٍّ وافرٍ**». وهنا سطور عن الإمام العابد المجاهد بنفسه وماله أَحْمد بن إِسْحَاق السّرْمَاري، صاحب المشاهد والمواقف العظيمة في الزهد والجهاد.

اسمه ونسبه:

أَحْمد بن إِسْحَاق بن الْحصين بن جَابر بن جندل أَبُو إِسْحَاق السّلمِيّ البُخَارِيّ المعروف بالسّرْمَاري، وسرمارى قرية من قرى بُخَارَى، وهو والد أبي صفوان إِسْحَاق بن أَحْمد. أخرج البُخَارِيّ فِي الصَّلَاة وَصفَة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وغزوة الْحُدَيْبِيَة والتوحيد وَتَفْسِير الْفَتْح وَغَيرهَا عَنهُ عَن عبيد الله بن مُوسَى وَعُثْمَان ابن عمر بن فَارس ويعلى بن عبيد وَعَمْرو بن عَاصِم.

مولده ونشأته:

ولد هذا الإمام الجليل في قرية سرمارى التي تبعد حوالى عشرين كيلومترًا عن بُخَارَى، تلك المدينة الجميلة الراقدة في أحضان الخضرة الممتدة في وادي نهر السند والواقعة الآن في دولة أوزبكستان. لم يصل إلينا من سيرة هذا الإمام الزاهد المجاهد أَحْمد بن إِسْحَاق السّرْمَاري، سوى أسطر قليلة على الرغم من أهميته كرجل علم وجهاد، ويكفيه أنه أحد شيوخ الإمام البخاري، ويعود الفضل في تسليط الأضواء عليه للائمة السمعاني، الذهبي، وابن حجر العسقلاني.

سيرته وثناء العلماء عليه:

كان السّرْمَاريّ إمامًا في العلم والزهد، كما كان فارسًا لا يشق له غبار، فلم يركن إلى حلقات العلم تلميذًا أو أستاذًا فحسب، وإنما مارس العلم والجهاد معًا، فكان متطوعًا في الحملات التي تخرج للجهاد وصدِّ هجمات العدو؛ ولذلك اشتهر بلقب المـطَّوِّعي حيث كان المـطَّوِّعون لا يقلون أهمية عن القوات النظامية في الدفاع والهجوم في كل ثغور ورباطات المجاهدين.

قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: (الإمام، الزاهد، العابد المجاهد، فارس الإسلام أبو

إسحاق)، (وكان أحد الثقات، وبشجاعته يضرب المثل) (أخبار هذا الغازي تَسُرُّ قلب المسلم).

قال إبراهيم بن عفان البزاز: كنت عند أبي عبد الله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاق السّرْمَاري، فقال: «ما نعلم في الإسلام مثله»، فخرجتُ، فإذا أحيد رئيسُ المُطَّوِّعة فأخبرتُه، فغضبَ ودخل على البخاري، وسأله، فقال البخاري: «ما كذا قلتُ. بل: ما بلغنا أنه كان في الإسلام ولا في الجاهلية مثلُه».

قال إبراهيم بن شماس: كنت أكاتب أحمد بن إسحق السّرْمَاري، فكتب إليَّ: إذا أردتَ الخروج إلى بلاد الغُزَيَّة في شراء الأسرى، فاكتب إليَّ، فكتبتُ إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جَعْبَوَيه استقبلنا في عِدَّة من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يومًا جيشه، فَمَرَّ رجل فعظَّمه وخلع عليه، فسألني عنه السّرْمَاري، فقلت: «هذا رجل مبارز، يُعَدُّ بألف فارس»، قال: «أنا أبارزه»، فسكت، فقال جَعْبَوَيه: «ما يقول هذا؟» قلت: «يقول كذا وكذا»، قال: «لعله سكران لا يشعر، ولكن غدًا نركب»، فلما كان الغد ركبوا، فركب السّرْمَاري معه عمود في كُمِّه، فقام بإزاء المُبارز، فقصده، فهرب أحمدُ حتى باعده من الجيش، ثم كَرَّ، وضربه بالعمود فقتله، وتبع إبراهيم بن شِماس، لأنه كان سبقه، فَلَحِقه، وعلم جعْبَوَيه، فجهَّز في طلبه خمسين فارسًا نقاوةً، فأدركوه، فثبت تحت تَلٍّ مختفيًا، حتى مَرُّوا كلّهم، واحدًا بعد واحد، وجعل يضرب بعموده من ورائهم، إلى أن قتل تسعةً وأربعين، وأمسك واحدًا، قطع أنفه وأذنيه، وأطلقه ليخبِر، ثم بعد عامين تُوفي أحمد، وذهب ابنُ شِماس في الفداء، فقال له جَعْبَوَيه: «من ذاك الذي قتل فرساننا؟» قال: «ذاك أحمد السّرْمَاري»، قال: «فلمَ لم تحمله معك؟» قلت: «توفي»، فصَكَّ في وجهي، وقال: «لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيته خمسمائة برذون - ضرب من الدواب - وعشرة آلاف شاة».

قال غنجار: سمع محمد بن خالد وأحمد بن محمد، قالا: سمعنا عبد الرحمن ابن محمد بن جرير، سمعت عبيد الله ابن واصل، سمعت أحمد السّرْمَاري يقول، وأخرج سيفَه، فقال: «أعلم يقينًا أني قتلت به ألفَ تركي، وإن عشت قتلتُ به ألفًا أخرى، ولولا خوفي أن يكون بدعةً لأمرت أن يُدْفَنَ معي».

وعن عمران بن محمد المطوعي، قال: سمعت أبي يقول: (كان عمود السّرْمَاري ثمانية عشر مَنًّا -المَنّ رطلان عراقيان- فلما شاخ جعله اثني عشر مَنًّا، وكان يقاتل بالعمود)

وعن محمود بن سهل الكاتب قال: (كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانًا، ورئيس العدو قاعد على صُفَّة، فرمى السّرْمَاري سهمًا، فغرزه في الصُفَّة، فأومأ الرئيس لينزِعَه، فرماه بسهم آخرَ، خاطَ يَده، فتطاول الكافر لينزِعه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح).

زهده في الدنيا:

قال ولده أبو صفوان : وهب المأمون لأبي

ثلاثين ألفًا، وعشرة أفراس، وجارية، فلم يقبلها.

ومن أقواله:

عن أحمد بن إسحاق قال: «ينبغي لقائد الغُزاة أن يكون فيه عشرُ خِصال: أن يكون في قلب الأسد لا يَجْبُنُ، وفي كِبَر النَّمِرِ لا يتواضع، وفي شجاعة الدب يقتل بجوارحه كلِّها، وفي حَمْلة الخنزير لا يُوَلِّي دُبُرَه، وفي غارة الذئب إذا أيِس من وجهٍ أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنَّمْلة تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوَقاحة كالكلب لو دخل صيدُه النارَ لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالدِّيك».

وفاته:

عن بكر بن منير قال : رأيت السّرْمَاري أبيض الرأس واللحية، ضخمًا، مات بقريته، فبلغ كراء الدابة إليها عشرة دراهم، وخلف ديونًا كثيرة، فكان غرماؤه ربما يشترون من تركته حزمة القصب بخمسين درهمًا، إلى مائة، حبًا له، فما رجعوا حتى قضي دينه .

قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: توفي في شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى، فإنه كان مع فرط شجاعته من العلماء العاملين العبَّاد .

خاتمة:

سيرة الإمام السّرْمَاري ماهي إلا صفحة من صفحات العلماء الربانيين الذين صدعوا بالحق أمام الأمراء والسلاطين، وقاموا بأداء هذه الأمانة الغالية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهدوا أفضل الجهاد وأشرفه وأعظمه، جهادًا تبقى صفحته مدى الأيام ناصعة منيرة بيضاء، تهدي وتشد أزر العاملين.

ومن يقلب صفحات التاريخ الإسلامي يجده حافلًا بنماذج من العلماء الأفذاذ الذين حملوا هذا الدين بجد وإخلاص. هؤلاء العلماء الربانيون الذين جمعوا إلى الفقه البصر بالسياسة، وعلى أكتافهم وصل الإسلام إلى ما وصل إليه.

بأمثال أَحْمَدُ بنُ إِسْحَاقَ ،كانت أمة الإسلام تزخر برجال أفذاذ عبَّاد علماء مجاهدون ربانيون، صنعهم الإسلام وصقلتهم أحكامه فكانوا شخصيات إسلامية بارزة في تاريخ هذه الأمة العظيمة، جعلوا همهم مرضاة رب العالمين، ومن غير أن تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، صدقوا مع الله فصدقهم وأحبوه فأحبهم .

ما أحوجنا اليوم إلى سيرة هؤلاء الأعلام لنقتفي أثرهم ونستنير بهم لنخط تاريخًا جديدًا مشرقًا لهذه الأمة ونعيد سيرتها الأولى خير أمة أخرجت للناس، تقوم عليها خير دولة هي دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

اللهم ما أعطيتَنا مما نحبُّ فاجعله قوة لنا فيما تحب، وما زويتَ عنا مما نحب فاجعله فراغًا لنا فيما تحب، اللهم أحيِ قلوبنا بحبك، واجعل سعينا في مرضاتك... وانصرنا وعجِّلْ لنا ولهذه الأمة بالفرج الكبير. ■

البعض قال دعوا السياسة جانبًا

للشاعر عبد المؤمن الزيلعي- اليمن

البعض قال دعوا السياسة جانبًا ... وكأنها ليست من الإسلامِ!!
والبعض نادى فصلها عن ديننا ... فهي النجاسة عندهم بتمامِ!!
هم هكذا زعموا وقالوا نزهوا ... دين المهيمن عن هوى الحكام
والكل منهم مخطئٌ فيما ادَّعى ... حتى ولو أبدى لقصدٍ سامي
ولعل ذاك القول جاء كرَدةٍ ... صدرت بلا وعيٍ ولا إنعامِ
ورأت من الحكام جَورًا يرتدي ... ثوب التديُّن من أولي الإجرام
ممن يسخِّر دين ربي خدمةً ... لهوى النفوس وفعل كل حرامِ
والصح أُّن تُرعى الشؤون سياسةً ... بالدين وفق هداية الأحكامِ
بل ذاك فرضٌ لازمٌ وبدونه ... لا بيعةٌ معقودةٌ لإمامِ
فالحكم بالإسلام شرطٌ واجبٌ ... حتى يُطاع، وليس ذاك كلامي
بل إنه في الشرع صار بداهةً ... يا من يعيش بفتنة الأوهامِ
والحق أن الدين وحيٌ صادقٌ ... أما السياسة صنعة الحكامِ
لكنما الإسلام أوجب سيرهم ... حسب الشريعة دون أي فصام
لا تجعلوا الأمرين بحثًا واحدًا ... والقصد يفهمه أولو الأفهام
إن أخطأ الحكام في أفعالهم ... فعليهمُ ما كان من آثامِ
لا تنسبوا للدين ما قد أجرموا ... بل حاسبوهم غاية الإلزامِ
فالحكم بالإسلام كلٌ بعضه ... مع بعضه متناسقٌ بنظامِ
والكل مسؤولٌ على تنفيذه ... والله سائلنا بيوم قيامِ
فلتحملوا الاسلام حملًا صادقًا ... يجزيكمُ الرحمن بالإنعامِ
ولتعملوا حتى يكون سياسةً ... لا تحبسوه بمسجدٍ وصيامِ
فالدين منهاج الحياة بأسرها ... ولنا ارتضاه الله ذو الإكرام■

المحور الخامس:

الغرب في حربه على الإسلام... كيد لا يفتر

- **الدور المشبوه لوسائل الإعلام في الصراع بين مشروع الأمة التوحيدي ومشروع الغرب التفتيتي.**
- **مراكز الفكر والمؤسسات البحثية الأميركية ودورها في الهيمنة على العالم والحرب على الإسلام والمسلمين (١).**
- **المديونية وسياسة الغرب في الاستعمار.**
- **في معادلة الحرب الأميركيّة على الإسلام...ترجمات معاني القرآن الكريم: كيدٌ خفيٌّ للقضاء على مرجعية كتاب الله.**
- **الإسلاموية: نموذج الغرب الكافر للمسلمين الذي يتبناه ويدعو إليه أردوغان.**
- **دَارَت بِنا دُوَلُ الأَيَّامِ يا رَجَبُ (قصيدة).**

بسم الله الرحمن الرحيم

الدور المشبوه لوسائل الإعلام في الصراع بين مشروع الأمة التوحيدي ومشروع الغرب التفتيتي

عبـــد الســـلام إســـحاق
عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير
ولاية السودان

إن أعداء الإسلام لا يزالون يسعَون إلى السيطرة على الأمة الإسلامية من خلال مجالات شتَّى، مستخدمين أساليب مختلفة وطرقًا متنوعة في سبيل تحقيق أهداف الدول العظمى، وبالأخص أميركا؛ لمنع وحدة الأمة في دولتها الخلافة الراشدة من جديد، بتوظيف وسائل الإعلام والاتصال للعب الدور القذر في تشكيل الرأي العام والتأثير عليه. فالإعلام هو مصطلح يطلق على أي وسيلة، أو تقنية، أو منظمة، أو مؤسسة، أو غيرها، رسمية كانت أو غير رسمية، وتكون مهمتها نشر الأخبار ونقل المعلومات، ويشار إليها أيضًا باسم وسائل أو وسائط أو قنوات التواصل في المجتمع، كالصحف والراديو والتلفزيون وحتى الإنترنت.

من الحقائق التي لا ينقصها الدليل والبرهان أن الأنظمة الإعلامية لها تطبيقات عملية، لعقائد ومذاهب وأصول ومبادئ متعددة ومتباينة، فدارسو الإعلام من أمثال فرد سيبرت، وشيودور بيترسون، وولبرشرام. يصنفون الأنظمة الإعلامية المطبقة في العالم إلى ثلاث رئيسية هي: النظام التسلُّطي، والنظام الليبرالي، والنظام الشيوعي. وسنتناول النظامين الأولين في هذ المقال:

- **أما حديثنا عن نظام الإعلام التسلطي، فمن وظائفه:**

الوظيفة الأولى: وهي تقوم على المحافظة على قدسية النظام القائم. وتقوم على اعتبار الفلسفة التسلطية للحكومة، وفيها ينبغي على وسائل الإعلام العمل بما لا يؤدي إلى الإقلال من هيبة السلطة القائمة، أو الإضرار بالنظام ،كما ينبغي أن تظل وسائل الإعلام دائمًا خاضعة للسلطة الحاكمة. فمن قبل، وظّف فرعون وسائل الإعلام المتاحة في عصره، كالتجمعات العامة ومناسبات الأعياد لتحقيق هذه الوظيفة، ولإضفاء مزيد من القدسية والهيبة في عصره على سلطانه، كما قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ وفي الحضارة الفارسية القديمة يقول الدكتور محمود أدهم: «كانت المادة الإخبارية في الحضارة الفارسية تُستغل أحسن استغلال للدعاية لقوة الملك «دارا الأكبر» «.

الوظيفة الثانية: وتقوم على إلهاء الجماهير

وذلك بطرق الإلهاء والإغراء البدني والجنسي؛ بهدف شغلهم عن التفكير في القضايا الأساسية والمشكلات التي تحيط بهم، ومن أجل هذه الوظيفة أقيمت في كل الحضارات الوثنية المسارح والمراقص، واعتُنِيَ بها عناية كبيرة.

الوظيفة الثالثة: وهي تعمل على تحقيق التماثل والاتفاق حول آراء واتجاهات السلطة ومحاربة الرأي المخالف. ويتم ذلك عن طريق قيادة وتوجيه الرأي العام بما يخدم السلطة والعمل على تعبئته بما يحقق الاقتناع والتماثل في المواقف حيال الأفكار والآراء والاتجاهات التي تريدها السلطة؛ وذلك من خلال تطويع وتوظيف الطاقات الإعلامية كلها لخدمة السلطة، وجعل هذه الوسائل الخاضعة المنبر الوحيد الذي يستطيع الناس من خلاله الاتصال بالعالم الداخلي والخارجي، والتعرُّف على أحواله وأخباره وحجب الأصوات الإعلامية الخارجية عن هذا الإطار ومنعها من الظهور.

كما يتمُّ ذلك من خلال استغلال حاجات الناس النفسية والاقتصادية والاجتماعية وتوظيفها لتكوين الرأي العام المطلوب، وهي السياسة التي اتخذها هتلر ووزير دعايته جوبلز؛ حيث استغلوا طبيعة الشعب الألماني بالعزف على نغمة سيادته على كافة الشعوب الأخرى، ما أدى إلى تكوين رأي عام ألماني يقف خلف السياسة التوسُّعية، وكما الشأن كذلك لدى النظم الشيوعية التي استغلت حاجات الناس الاقتصادية ووظَّفتها في الدعاية وتكوين رأي عام لها، وقد أمكنها من استغلاله ملكية وسائل الإنتاج وعلاقتها بالوظائف الإعلامية.

تعرضت العديد من وسائل الإعلام والصحفيين، في مختلف البلدان العربية التي شهدت أو ما تزال تشهد احتجاجات وانتفاضات ضد أنظمة الظلم والقهر، لتضييق كبير من قبل السلطات الحاكمة في تلك البلدان وتم استهدافها لمنعها من تغطية الأحداث؟

- **نظام الإعلام الليبرالي:**

وسائل الإعلام ووضع السياسة الأميركية:

هناك أدوار رئيسة وحساسة تقوم بها وسائل إعلام الدول الكبرى لتفتيت الأمة الإسلامية وإجهاض مشروعها الوحدوي، وتتم عن طريق وكالات الأنباء العالمية. ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأميركية تمتلك الإعلام العالمي، من خلال مؤسسات إعلامية ضخمة، وهي تخدم مصالح السياسة الخارجية الأميركية. وعندما تحاول تمرير أي قرار دولي، ضمن منظومة الأمم المتحدة، فهذه المؤسسات تقوم بدعمه عن طريق استمالة الرأي العام العالمي. فالمؤسسات الإعلامية ليست فقط أداة توجيه، بل هي كيانات لها دور فعَّال وقوي في السياسة الأميركية والدولية بصفة عامة. وتعدُّ الولايات المتحدة الأميركية الصانعة الأولى للإعلام في العالم، فهي تتوفر على أضخم المؤسسات والشركات الإعلامية على المستوى الدولي، وتتحكم في أغلبية الأخبار عبر العالم من خلال أقمارها الصناعية

وشبكاتها.

ويرى البروفسور المهدي المنجري أن «إنشاء نظم الفضاء الحديثة كان لاعتبارات سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية لغزو الفضاء والاستطلاع (التجسس) والسيطرة على الإعلام». ويقول روزنبيرغ إن «الثقافة الجماهيرية في أسوأ مستوياتها، تهدد ليس فقط في تسميم ذوقنا، بل بتعطيل حواسنا في سعيها إلى التمهيد للاستبداد؛ حيث ثبت أن الراديو والفيلم والتلفزيون هي أكثر فعالية من الإرهاب في توليد الإذعان، «كما عليها أن تجعلهم خائفين طوال الوقت؛ لأنهم إذا لم تتم إخافتهم من كل أنواع الشياطين مثل الشيوعية والإسلام والنازية... فربما يبدأون بالتفكير، وهذا ما لا تريده الطبقة والسادة». وقال ليبمان عميد الصحفيين الأميركيين: «الثورة في فن الديمقراطية يمكن تطويعها لخدمة تصنيع الإجماع» بمعنى جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس، عن طريق استخدام وسائل دعائية، حيث إن المصالح العامة كفيلة تمامًا بخداع الرأي العام، ويمكن فهمها وإدارتها فقط بواسطة طبقة متخصصة من الرجال المسؤولين الذين يتمتعون بدرجة من الذكاء تتيح لهم فهم وإدراك الأمور، أي نخبة صغيرة فقط بإمكانها فهم ماهية المصالح العامة، واستنتج ليبمان أنه توجد وظيفتان في النظم الديمقراطية:

الوظيفة الأولى: هي مناطة بالطبقة المتخصصة التي تهتم بالتفكير وفهم التخطيط للمصالح العامة. والذين يعهد لهم هذه المهمة هم الرجال المسؤولون.

أما الوظيفة الثانية: فيهتم بها طبقة القطيع، وهم الغالبية من السكان، ويرى تشومسكي أن عامة الجمهور على درجة من الغباء لا تمكنهم من فهم الأشياء حسب نظرية ليبمان، وبالتالي على الطبقة المتخصصة أن تروِّض القطيع الحائر ولا تسمح له بالتمرد، ويؤكد تشومسكي على أن الطبقة المتخصصة من الرجال المسؤولين، يستعينون من أجل ترويض القطيع التائه، كما أسماها، بفن الديمقراطية، أو تصنيع الإجماع والقبول، وذلك عبر وسائل الإعلام، ووسائل الثقافة الشعبية بغية تحويل انتباهه لأمور أخرى وجعله خارج نطاق دائرة المشاكل، والتأكد من أنه سيحتفظ بمكانه في مقاعد المشاهدين بالفعل، ويؤكد تشومسكي على أن الإعلام أصبح بين السادة وبقية المجتمع، ويجب حرمانه من أي شكل من أشكال التنظيم؛ حيث يجب أن يخصص الرسالة الإعلامية التي مفادها أن القيمة الأساسية في الحياة هي أن تتوفر لديك أكبر كمية من السلع، وأن تتبنى قيمًا مثل الانسجام والهوية الأميركية، أي تغريب المجتمعات وطمس ملامح العقيدة التي يعتقدها غالبية الناس الموجَّهة إليهم الرسالة الإعلامية... وهنا المقصود هو العقيدة الإسلامية. ومن أجل التمهيد لتوغل الإعلام وسيطرته، عمدت

الحكومة الأميركية إلى إشاعة أساطير تؤسس لمضمون إعلامي يخدم تلك الأغراض منها:

أسطورة الحياد: ولكي يؤدي التضليل الإعلامي دوره بفاعلية، لا بد أن يخفي شواهد وجوده، أي إن التضليل يكون ناجحًا عندما يشعر المضلَّلون بأن الأشياء هي هي لم تتغيير من الوجهة الطبيعية الحتمية، والمقصود هنا بالتضليل الإعلامي الذي يقتضي واقعًا زائفًا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلًا. ونظرًا لوعي السياسة الأميركية الخبيثة لتأثيرات الإعلام قامت بإنشاء وكالة الإعلام الأميركية (US information agency). وهذه الوكالة تعمل على تحقيق الأهداف الآتية:

- كسب الأصدقاء والنفوذ للولايات المتحدة الأميركية في الخارج؛ وذلك بإعطاء صورة مشرقة عنها للشعوب الأخرى.
- التركيز بصفة أساسية على شرح وتفسير سياسات الولايات المتحدة، وبيان توافق وتطابق هذه السياسات مع مصالح الدول الأخرى.
- تقديم الاستشارة للرئيس الأميركي بشأن ردود فعل الشعوب في الخارج.
- التركيز في الوقت الحاضر على إعداد خطط دعائية لكل دولة، أي تستهدف كل دولة على حدة.
- محاولة الوصول إلى قطاعات معيَّنة ومؤثِّرة على الجمهور، في كل بلد كالعسكريين، أو قادة الأحزاب.
- القيام ببث الأخبار ولكن عن طريق استخدام بعضها والتركيز عليها ومعالجتها، وعرضها بطريقة تعكس المصالح والأهداف الأميركية، وتقدم هذه الخدمات إلى الصحافة والمطبوعات والسينما والإذاعة والتلفزيون ومراكز الاستعلامات.

هذا ويندرج دور الإعلام الأميركي في تسويق السياسات والاستراتيجيات الأميركية، وذلك عبر الهيمنة عالميًا بإمكانياته الهائلة، وبالأخص على الإعلام العربي المستهلك لكل ما تسوِّقه المنظومة الإعلامية الأميركية. هذه هي سياسة أميركا، وهي نفسها أجندة دول أوروبا للإعلام! وذلك عبر القنوات الرئيسية والوكالات، فهي تكرس للهيمنة وفرض وجهة النظر الغربية لإطالة أمد النظام الرأسمالي الجشع.

كيف تعاملَ الإعلام مع مصطلح (صفقة القرن) وكيف يتم الترويج لبعض المصطلحات وتدفقها على وسائل الإعلام:

مصطلح (صفقة القرن) هو الأكثر انتشارًا لوصف الجهود الأميركية في التوصل إلى اتفاق سلام بوصفه حلًا لقضية فلسطين المحتلة خلال العامين الماضيين، وانتشر في وسائل الإعلام المحلية والعالمية، وعلى لسان القيادات السياسية والنخب الفلسطينية من دون معرفة حقيقة ورسمية دلالاته، ومضامينه، وبنود الصفقة التي يروَّج لها، في حين أن الطرف الوحيد المتحكِّم بغموض المصطلح ودلالته، والمسؤول عن تدفقه إلى العالم،

هو الجهات الرسمية الأميركية التي بدأت بالحديث عنه ضمنيًا بعد تولي الرئيس الحالي (ترامب) الرئاسة الأميركية في بداية ٢٠١٧م إلى موعد طرح التصور الرسمي لـ (صفقة القرن) في وسائل الإعلام، بعد حفل خطابي في واشنطن جمع بين ترامب ونتنياهو في ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠م. دخل مصطلح (صفقة القرن) إلى نطاق وسائل الإعلام وشغل مضمونه ودلالاته وأبعاده الرأيَ العام العربي، والفلسطيني تحديدًا، ودائمًا كان هنالك من يزوِّد وسائل الإعلام بمواد وبيانات صحفية من المسؤولين أو مصادر لوكالات عالمية ومحلية تذكر المصطلح وتستخدمه بشكل متكرر، وقد سعت أميركا للضغط للقبول بصفقة القرن عمليًا، وتقبُّلها بوصفها أمرًا واقعًا، بعد محاولات الترويج الإعلامي لها، وبدا ذلك واضحًا من خلال التفرد الأميركي في اتخاذ قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس.

وقدَّم موقع (lobelog) الأميركي تقريرًا في ٢٠١٩/٨/٢٥م، ذكر فيه أن كوشنر يجمع بيانات حول الإعلام العربي، وذكر الموقع أن صهر الرئيس الأميركي لم يفقد الأمل في محاولات إنقاذ (صفقة القرن)، وأشار الموقع إلى أن كوشنر الذي يعد أحد مهندسي الرئيس الأميركي المكلفين بجهود السلام في الشرق الأوسط بدأ يلتفت بأنظاره إلى الإعلام العربي؛ إذ نشرت وكالة (MC clatchypc) للأنباء مؤخرًا تقريرًا يفيد أن كوشنر المدجج بدولارات الضرائب التي يدفعها المواطنون الأميركيون، وخطة أميركية محكوم عليها بالموت قبل أن تولد، يُجري عملية جمع بيانات للتأثير في تغطية وسائل الإعلام العربية لقضية السلام في الشرق الأوسط، كي يدفعها إلى تأييد الموقف الأميركي. وكتب مايكل ويلنر الصحفي في الوكالة: «بتوجيه من جاريد كوشنر جمعت وكالاتٌ حكومية بعض أدوات البيانات والخبرات الإنسانية لأول مرة من أجل تصنيف وسائل الإعلام العربية رسميًا بناء على تغطيتها لعملية السلام في الشرق الأوسط». وتنقسم جهود كوشنر إلى قسمين: **أولها:** تقييم المتابعة العامة للأخبار في كل بلد في المنطقة، ودراسة وسائل إعلامية محددة، وتقييم حيادية كل مؤسسة في كيفية تصويرها لسياسة الولايات المتحدة الأميركية. **وثانيها** تقييم تأثيرها، وإدراج ملكيتها استنادًا إلى تحليلات تجريها وكالتان حكوميتان تحلِّلان المواد المتاحة للجمهور.

إدعاء حرية الرأي والتعبير بالنسبة للإعلام التابع:

أما وسائل الإعلام المحلية في الوطن العربي، فهي تعمل تحت ضغوط كبيرة؛ حيث تقوم الأنظمة الحاكمة بسنِّ التشريعات والقوانيين المنظمة للعمل الصحفي والإعلامي تحت قيود مشدَّدة وقبضة أمنية متحكِّمة؛ وذلك بالرقابة عليها والحجز والمصادرة وإغلاق بعض الصحف وتسريح الصحفيين من العمل،

وهي إجراءات تطال كل من يقوم بنشر مادة تتعارض مع مصالح السلطة، أو تكشف للرأي العام الحقائق والمعلومات ليصل الناس إلى الوعي المطلوب، وهو دور عدائي، وحتى المهنية التي يدَّعونها هي كذبة سوداء ليس إلا. هذا الوضع جعل بعض الصحفيين في السودان على سبيل المثال يتبنَّون فكرة الحريات (حرية التعبير) وأوجدوا لها رواجًا واسعًا بين الناس، وبالتالي قاموا بإنشاء كيانات موازية للحكومة؛ مثل شبكة الصحفيين السودانيين، وهو جزء من مكونات تجمع المهنيين السودانيين، وتكونت الشبكة في العام ٢٠٠٨م وهو كيان مناوئ لاتحاد الصحفيين المدعوم من النظام الحاكم آنذاك.

بعد سقوط حكم البشير، احتدم الصراع بين رجالات أميركا في الجيش ورجالات أوروبا في (المكون المدني) بعد فترة طويلة من سيطرة النفوذ الأميركي في السودان، وبات واضحًا الصراع على كافة الأصعدة ومنها صعيد الإعلام، فمثلًا قناة الجزيرة القطرية تخدم الخط الأوروبي، فكانت تقوم بكشف عملاء أميركا في المجلس العسكري، أوردت قناة الجزيرة على موقعها بتاريخ ٢٠١٩/٥/٣١م خبرًا يفيد بإغلاق مكتبها في الخرطوم والتحفظ على أجهزتها من قبل المجلس العسكري. أما قناة العربية والحدث التابعتان لأميركا فكانتا تخدمان رجالات أميركا؛ وذلك بإثارة التناقضات التي تحدث داخل رجالات الإنجليز من مكونات «قوى إعلان الحريَّة والتغيير» في السودان المعروفة اختصاراً بـ(قحت) وهو تصنيف يدرجها كتحالف سياسي حاكم في السودان.

أما القنوات المحلية، فكان الغالب فيها ولاؤها للنظام البائد الأميركي الهوى، وبعد توقيع الشراكة بين العسكر والمدنيين قامت السلطات السودانية (المكون المدني) بإغلاق صحف وقنوات تحت قانون إزالة التمكين «وقد نشرت صحيفة السوداني في مانشيت عريض خبرًا عن تسلم أعضاء المجلس السيادي لسيارات من النوع «إنفنتي» الفارهة، وانقسم حوله الناس، واعتبر الكثير منهم بأنها ثورة مضادة تريد من خلالها فضح الحكومة، فنفى المجلس السيادي ببيان عدم دقة ما تم تداوله من معلومات، وأشار الى أن هذه السيارات موجودة مسبقًا، وتتبع لمؤسسة رئاسة الجمهورية، ولم يتم شراؤها حديثًا، وأنها تستخدم في حدود البروتوكول الرسمي لأعضاء المجلس بما يعكس هيبة وسيادة الدولة، هذا البيان أكد أن الحكومات تكذب على البسطاء، ففي حديث عبد الله حمدوك رئيس الوزراء في لقائه مع وزير الإعلام في ٢٠١٩/٨/٢٤م لقناة النيل الأزرق أكد أنه يعتمد على الإعلام الحر في درء خطر الفساد على الدولة، ونحن نتساءل أين هذا الفساد، والبيان يؤكد الفساد بعينه، فكيف لدولة شعبها يقبع في الفقر والعوز، وبعض الأشخاص لا يجدون حتى قطعة خبز، والحكام الجدد يركبون السيارات

الفارهات ويسكنون مساكن الذين ظلموا، وهذا هو التضليل بعينه. وقس على ذلك كل القضايا؛ حيث تقوم وسائل الإعلام بصياغة الخبر بالكيفية التي تخدم أغراضها في حفظ مصالح الغرب الكافر من حيث يدري الصحفي أم لا. أيضًا لا تزال وسائل الإعلام تخدم مشروع الغرب وتعادي مبدأ الإسلام العظيم، وذلك بربط أي حركة أو جماعة أو حزب يدعو للإسلام على أنه جماعة رجعية متخلفة، بتسليط الضوء على شخصيات ومفكرين وعلماء صنعتهم على عين بصيرة تحمل البغض والدسائس والتحريف والتبديل والتأويل، وإشاعة فكرة التسامح والتعايش بين الأديان، فلأول مرة يبث تلفزيون السودان برامج تتعلق بالتبشير بالدين المسيحي، والترويج لأفكار الغرب مثل المدنية وغيرها، وتصويرها للناس على أنها ضد العسكرية، وتغبيش مفهومها الحقيقي في أذهان الناس، وحصر تفكير الناس بين خيارين باستخدام سياسة التأطير. فأثناء الدعوة لحكومة تكنوقراط في احتجاجات السودان والجزائر ولبنان على سبيل المثال، تم إبراز رجلين في حكومة الثورة رئيس الوزراء ووزير ماليته اللذين كانا يشغلان مناصب رفيعة في المنظمات الأممية، وصُوِّر للناس أن السودان سينعم بالرفاه وسينتشل من الفقر.

أيضًا من دور السفارات الأجنبية أن تسيطر على وسائل الإعلام، وهذا ما كشفه مدير المخابرات السوداني في أواخر عهد النظام البائد (صلاح قوش) حيث تقدم الجهاز بشكوى إلى نيابة أمن الدولة في مواجهة مجموعة من الصحفيين بعد اجتماعهم إلى سفراء الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة في الخرطوم، وأدلى الرجل برأيه لمغادرة الصحفيين إلى السعودية وقال «ذهابهم ليس سوى مجرد عمالة وتجنيد وكالات». وهذا يؤكد حجم الصراع الدولي الدائر في السودان، وحجم الدور الخبيث الذي تلعبه وسائل الإعلام المرتبطة بالأطراف الدولية المتصارعة ودول المحاور في المنطقة.

إزالة الحواجز العقدية التي تفصل بين الأمة ويهود:

بدلًا من تركيز العداوة بين الأمة ويهود، أصبح الإعلام يضلل الرأي العام بالمصلحة، والنظرة الوطنية، عندما سافر ذليلًا مسربلًا بالعار، رئيس مجلس السيادة الانتقالي في السودان الفريق ركن عبد الفتاح البرهان، إلى مدينة عنتيبي اليوغندية ليلتقي بتاريخ ٢٠٢٠/٢/٣م رئيس وزراء كيان يهود نتنياهو! فبعد هذ اللقاء أصبح الإعلام يستضيف المنبطحين والخانعين للغرب، ويتحدث بأن اللقاء له فوائد ستأتي بالخير الوفير على وسائل الإعلام، بل في حوار مع البرهان مع إحدى القنوات نقلتها بعض الصحف قال: «إنه كان يصلي ويستخير الله إن كان فيه مصلحة للبلد».

تلميع نشطاء الوسط السياسي الفاسد

على أنهم قادة للحراك:

لقد كان واضحًا وبشكل جلي التلميع الكبير للنشطاء على أنهم قادة حقيقيون للاحتجاجات، وإلصاق صفة أيقونات الثورة عليهم، ووسائل الإعلام تستضيف أمثال هؤلاء بصفة راتبة حتى أصبحت مملة للمشاهد لفقدان هؤلاء النشطاء لأبسط أبجديات الحديث، بل وفقدان غالبيتهم للوعي السياسي.

النقاط أعلاه كانت بارزة في تعاطي الإعلام مع القضية المصيرية للأمة، فهي لا تخدم إلا أغراض أسيادهم في الغرب، ونقل ما يمليه عليهم، ويصبح الإعلام العربي بقصد وبدون قصد، هو السلاح الفعال الذي يستخدمه الغرب في وجه الأمة لإعاقة توحُّدها من جديد.

عند قيام دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، القادمة قريبًا بإذن الله، سيختلف الأمر بالكلية، وحينها ستنقل هذه القنوات العربية أخبار الانتصارات والفتوحات الإسلامية بدلًا عن هذه الترهات، فسياسة الإعلام هو بالأصل تثقيف الناس، ومدُّهم بالمعلومات الصادقة والناصعة البياض، فمشروع **حزب التحرير** وضع تصورًا واضحًا للإعلام في دولة الخلافة.

فجهاز الإعلام دائرة تتولَّى وضع السياسة الإعلامية للدولة لخدمة مصلحة الإسلام والمسلمين، وتنفيذها في الداخل لبناء مجتمع إسلامي قويٍّ متماسك ينفي خبثه وينصع طيبه، وفي الخارج لعرض الإسلام في السلم والحرب عرضًا يبيِّن عظمة الإسلام وعدله وقوة جنده، ويبين فساد النظام الوضعي وظلمه وهزال جنده، فهو من الدوائر المهمة للدعوة والدولة، فهو ليس مصلحة من مصالح الناس تتبع إدارة مصالح الناس، بل إن موقعها يجب أن يكون مرتبطًا مع الخليفة مباشرة.

فوجود سياسة إعلامية متميزة تعرض الإسلام عرضًا قويًا مؤثرًا من شأنه أن يحرك عقول الناس للإقبال على الإسلام ودراسته والتفكر فيه، وكذلك يسهِّل ضم البلاد الإسلامية لدولة الخلافة، هذا فضلًا عن أن كثيرًا من أمور الإعلام مرتبط بالدولة ارتباطًا وثيقًا، ولا يجوز نشره دون أمر من الخليفة، ويتضح ذلك في كل الأمور العسكرية، وما يلحق بها كتحركات الجيوش، وأخبار النصر أو الهزيمة، والصناعات العسكرية، وهذا الضرب من الأخبار يجب ربطه مباشرة بالخليفة ليقرِّر ما يجب كتمانه وما يجب بثه وإعلانه.

هذا الفهم الراقي للإعلام لا يكون إلا في ظل دولة العدل والرعاية، الذي يلعب الإعلام فيه دورًا أساسيًا، حيث لا مجال لتضليل الناس ونشر الأخبار الكاذبة المزيفة، وبث الذعر والترهات والخرافات، بل على وسائل الإعلام اللحاق بسفينة الإسلام الظافرة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

مراكز الفكر والمؤسسات البحثية الأميركية
ودورها في الهيمنة على العالم والحرب على الإسلام والمسلمين (١)

عبد الله أبو ابراهيم - قلقيلية

مع ازدياد أعداد مراكز الأبحاث بشكل كبير، كثر الحديث عن دور هذه المؤسسات البحثية في صناعة القرار السياسي للحكومات، وصياغة الرأي العام المحلي والدولي، وخصوصًا في أميركا. ولأهمية دور هذه المؤسسات البحثية الأميركية وخطورة ما تلعبه من دور مؤثر في تضليل الرأي العام، وتنفيذ أجندات المموِّلين، ورسم السياسات والاستراتيجيات من أجل الهيمنة على عالمنا الإسلامي في شتى المجالات، وخصوصًا في الحرب على الإسلام باسم مكافحة الإرهاب، ومن ذلك محاربة الإسلام السياسي والأحزاب العاملة في هذا المجال، إضافة إلى حملات التغريب ومسح وإضاعة الهوية الإسلامية... كان من المهم تسليط الضوء على هذه المراكز والمؤسسات البحثية بشيء من التفصيل.

لقد أصبح لمراكز الأبحاث (خلايا الفكر) ((think tanks دورًا هامًا وتأثيرًا كبيرًا في صنع السياسات، وصناعة الرأي العام الأميركي من خلال ما تقدمه من أبحاث ودراسات ورؤى مستقبلية لصنَّاع القرار الأميركي حتى أصبح عددها ما يزيد عن **١٨٠٠** مركز بحث داخل الولايات المتحدة الأميركية (حسب إحصائية ٢٠١٤م-٢٠١٥م). ومن أبرز هذه المراكز: معهد بروكينغز، ومؤسسة كارنيغي ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ومؤسسة راند، ومجلس العلاقات الخارجية... وتعتمد هذه المراكز على التمويل الحكومي أو من النافذين الاقتصاديين؛ لذلك تجد لها تأثيرًا على صنَّاع القرار والسياسات العامة.

نشأة مراكز الأبحاث وتطورها.

(يختلف الباحثون في تحديد البداية التاريخية لتأسيس مراكز الأبحاث، فهناك من يحدِّد نشأتها الأولى في عام ١٨٣١م مع تأسيس المعهد الملكي للدراسات الدفاعية في بريطانيا، وهناك من يربط نشأتها بعام ١٨٨٤م مع تأسيس الجمعية الفابية البريطانية التي تعنى بدراسة التغيرات الاجتماعية. وإن مراكز الأبحاث في بداية نشأتها في أوروبا في القرن الثامن عشر كانت تسمى كراسي علمية، وفي بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية تمت تسميتها بصناديق الأدمغة (Brain Boxes)

وبصرف النظر عن البداية التاريخية لنشوء هذه المراكز، فإنه مع مطلع القرن العشرين الماضي تصاعدت حركة تأسيسها، ففي الولايات المتحدة تم تأسيس معهد كارنيجي للسلام

الدولي عام ١٩١٠م، ثم معهد بروكينغز عام ١٩١٦م، ومعهد هوفر عام ١٩١٨م، والمكتب الوطني لأبحاث الاقتصاد عام ١٩٢٠م، ومعهد غالوب عام ١٩٢٠م، ومؤسسة راند عام ١٩٤٥م، بإشراف القوات الجوية الأميركية. أما في بريطانيا فتم تأسيس المعهد الملكي للشؤون الدولية عام ١٩٢٠م، وفي فرنسا تم تأسيس المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، وفي ألمانيا تم تأسيس الأكاديمية الألمانية للسلام عام ١٩٣١م... واستمرت حركة تأسيس هذه المراكز بالتصاعد حتى وصلت ذروتها في عام ١٩٩٦م بمعدل ١٥٠ مركزًا تم تأسيسها سنويًا (تستحوذ مراكز التفكير في أميركا الشمالية وأوروبا على ما يقارب نصف عدد مراكز التفكير في العالم. فهناك ١٩٨٩ مركزًا في أميركا الشمالية، و١٨٢٢ مركزًا في أوروبا. غير أن عدد مراكز التفكير في الولايات المتحدة وحدها هو ١٨٣٠ مركزًا. ومن الملاحظ أن نحو رُبْع المراكز (حوإلى ٤٠٠ مركز) في الولايات المتحدة تتخذ من واشنطن العاصمة مقرًا لها) وذلك حسب التصنيف الذي أعلنه معهد لودر التابع لجامعة بنسلفانيا لعام (٢٠١٤-٢٠١٥)م، ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه المراكز ذات التأثير فتحت فروعًا لها في العالم وفي منطقة الشرق الأوسط، كمؤسسة راند التي تمتلك تسعة فروع في العالم، أحدها في الدوحة في قطر. وبروكينغز الذي افتتح في عام ٢٠٠٨م فرعًا له في العاصمة القطرية الدوحة، ليقدم دراسات عن الشرق الأوسط وعلاقته بأميركا، وعن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة. ومؤسسة كارنيغي التي تمتلك أربعة فروع بجانب فرعها الرئيسي في واشنطن، وذلك في موسكو وبيروت وبكين وبروكسل؛ لتشكل قاعدة ضخمة من المعلومات والتقارير والأفكار التي تؤثر على السياسة الخارجية الأميركية بشكل كبير.

فالولايات المتحدة تتصدر قائمة أفضل مراكز التفكير في العالم لسنة (٢٠١٤-٢٠١٥) م؛ حيث يحتل معهد بروكينغز (Brookings Institute) المرتبة الأولى عالميًا، وتحتل المراكز الأميركية ستًا من المراتب العشر الأولى، وإحدى عشرة من المراكز الخمسين الأولى. ويقف إلى جانب بروكينغز من الولايات المتحدة مركز كارنيجي ثالثًا، ومركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) رابعًا، وراند سابعًا، ومجلس العلاقات الخارجية (CFR) ثامنًا، ومركز وودرو ويلسون عاشرًا. وتلي أميركا في الترتيب من حيث الأفضلية في التصنيف بريطانيا، ومن حيث العدد الصين، مع ملاحظة إمكانية تغير التصنيف كل عام، وأيضًا ملاحظة أن قياس مدى التأثير الحقيقي لهذه المراكز يكون في مدى التأثير في صنع القرار والسياسات العامة وصياغة الرأي العام المحلي والعالمي، وهذه المسألة قد تكون غير واضحة للعيان؛ لذلك قد لا يعبر هذا التصنيف بالضرورة عن الحال الحقيقي للمراكز من حيث التصنيف. فهذه الزيادة الواضحة واللافتة كمًّا ونوعًا لمراكز الأبحاث، ولدخولها إلى عالمنا الإسلامي وتدخلها السافر في قضايانا، فإن ذلك كله يستدعي الدراسة والنظر والتعمُّق لمعرفة

طبيعة عملها ودورها المهم على شتى الصعد.

تعريف مراكز الأبحاث.

قد يطلق على المؤسسات البحثية اسم مراكز أو معاهد أو جمعيات أو مجالس أو وحدات أو هيئات... فهذا الإطلاق غير مهم؛ ولكن المهم هو في الدور الذي تلعبه على مستوى إنتاج الأفكار، وتقديم الرؤى المستقبلية، ورسم السياسات والاستراتيجيات العامة، والتأثير في صنع القرار السياسي، والتأثير على الرأي العام... فإن كانت تلعب هذا الدور؛ فلا مشكلة في إطلاق أي من هذه الأسماء عليها.

وعليه فمراكز الأبحاث أو مؤسسات الفكر أو أي أسم يطلق عليها مما سبق، هي مراكز معدَّة للقيام بدور يتعدَّى الناحية المعرفية والبحث العلمي المجرَّد؛ فهي جاءت حسب طرح العديد من الباحثين لتسدَّ فراغًا بين الناحية العلمية النظرية والناحية العملية؛ لتدمج بين العالم الأكاديمي وعالم الحكم، وتحقق مصلحة من يقف وراءها؛ ومن هنا اكتسبت أهميتها، فهي كما قال صاحب كتاب (مراكز الأبحاث في أميركا) توماس ميدفيتز إنها تؤدي دورًا «بهلوانيًا» وتستخدم ارتباطها بالمجالات الأربعة (الأكاديمية والسياسية والاقتصادية والإعلامية) لتبرز تميُّزها عن غيرها من المؤسسات. كما بيَّن مدفيتز أن التهجين هو السمة الغالبة في مراكز الأبحاث، فالمكتب القومي للبحوث الاقتصادية (nber) ليس مجرد مركز أبحاث أكاديمي، بل هو أيضًا مركز أبحاث حكومي، وهذا التهجين هو سمة غالبة على المراكز الأخرى، فعلى سبيل المثال، يقول بيان رسالة مؤسسة بروكنجر: «تعمل بروكنجر كجسر بين البحث وصنَّاع السياسة، فتلفت انتباه صنَّاع القرار إلى المعرفة الجديدة، وتتيح للباحثين رؤية أعمق لقضايا السياسة العامة». ومن هنا عرَّف باحثون مراكز الأبحاث بعدة تعريفات أذكر منها:

تعرفها موسوعة ويكيبيديا بأنها: «أيّة منظمة أو مؤسّسة تدّعي بأنها مركز للأبحاث والدراسات أو كمركز للتحليلات حول المسائل العامة والمهمة». ويعرفها بعض الكتاب بأنها: «أي منظمة تقوم بأنشطة بحثية سياسية، تحت مظلة تثقيف وتنوير المجتمع المدني بشكل عام، وتقديم النصيحة لصانع القرار بشكل خاص». كما تعرَّف هذه المراكز بأنها: «تجمُّع وتنظيم لنخبة متميِّزة ومتخصِّصة من الباحثين تعكف على دراسة معمَّقة ومستفيضة لتقدِّم استشارات أو سيناريوهات مستقبلية يمكن أن تساعد أصحاب القرارات في تعديل أو رسم سياستهم بناء على هذه المقترحات في مجالات مختلفة»؛ وعليه فإن الصلة التي تربط بين مراكز الأبحاث والدراسات والمسؤولين وصنَّاع القرار جعلت البعض يصفها بأنها نوادي نصف سياسية ونصف مراكز بحثية وأكاديمية؛ وعليه نخلص إلى القول من قراءة التعاريف سالفة الذكر بأن واقع مراكز الأبحاث يبيِّن أنها تجمع نخبة متخصصة من الباحثين تعكف على إنتاج الأبحاث والدراسات، وتقديم رؤى مستقبلية في مجالات متعددة؛ لصياغة الرأي العام ورسم السياسات العامة والاستراتيجيات

المستقبلية لصالح صنَّاع القرار. وفي الغالب تقدِّمها حسب طلب الداعمين، سواء دولة أو حزب أو شركة أو أفراد.

دور وأهمية مراكز الأبحاث

يتحدث (جيمس ماك جين) أحد خبراء معهد بحوث السياسات في الولايات المتحدة عن أهمية المراكز البحثية بأنها: «ليست فقط للتزويد بالمعلومات، وإنما يستعان بها لوضع وتقرير أجندة السياسات، أي إنها تقوم من خلال دراستها وأبحاثها في صنع القرار السياسي الأميركي»، فقد ساهمت بدور كبير «في خلق كثير من المفاهيم والمصطلحات السياسية، مثل العولمة، ومصطلح محور الشر، والدولة الفاشلة، ومكافحة الإرهاب، والأنظمة الدكتاتورية، والشفافية، والتي غالبًا ما يتبناها الرؤساء الأميركيون لتصبح جزءًا مكملًا لسياساتهم».

وحسب ريتشارد هاس الدبلوماسي الأميركي رئيس مجلس العلاقات الخارجية السابق، فإن هذه المؤسسات تؤثر على صانعي السياسة الخارجية بخمس طرق: توليد الأفكار والخيارات المبتكرة في السياسة، وتأمين مجموعة جاهزة من المختصين للعمل في الحكومة، وتوفير مكان للنقاش على مستوى رفيع، وتثقيف مواطني الولايات المتحدة عن العالم، إضافة إلى اعتبارها وسيلة مكمِّلة للجهود الرسمية الدولية للتوسط وحل النزاعات، فعلى سبيل المثال، نجد أن خطة مارشال لدعم أوروبا وإعادة بنائها بعد الحرب العالمية الأولى جاءت من معهد بروكينغز.

وأيضًا كيف وفَّرت مراكز الأبحاث المختصين والسياسيين من خلال سياسة الباب الدوار بين المراكز البحثية والمناصب العليا في الدولة، أو كوسطاء أو مبعوثين إلى الخارج، ففي كثير من الأحيان يتم اختيار وتكليف بعض خبراء المراكز للعمل في المناصب العليا، أو كوسطاء أو مبعوثين إلى الخارج، والعكس أيضًا صحيح؛ إذ إن كثيرًا من المسؤولين عندما يتركون مناصبهم يذهبون للعمل في هذه المراكز كخبراء أو باحثين أو مستشارين في الإدارة العليا أو مجالس الأمناء، فعلى سبيل المثال، إن كل رئيس جمهورية في الولايات المتحدة، يقوم بتعيين حوالى ٤٠٠٠ مسؤول حكومي، منهم ٢٢٠٠ كمستشارين وأعضاء في اللجان المختلفة. وعادة ما يتم اختيار هؤلاء حصرًا من مراكز الأبحاث، منهم مثلًا: هنري كيسنجر، مارتن إندك، وارن كريستوفر، ألكسندر هيغ، ريتشارد بيرل، بول وولفيتز، مادلين أولبرايت، كولن باول، صامويل هنتنغتون، دونالد رامسفيلد، ديك تشيني، ريتشارد أرميتاج، زلماي خليل زاد، جون بولتون، فرنسيس فوكاياما، كوندوليزا رايس، جيمي كارتر... بل إن ٦٠ ٪ من مساعدي وزراء الخارجية في الولايات المتحدة جاؤوا من مراكز الأبحاث.

لذلك فإن تنوع السياسات والاستراتيجيات، واستحداث الخطط والأساليب، وصناعة الرأي العام من أجل إنجاح الأهداف والسياسات الجديدة للولايات المتحدة، الذي يقف وراءه هو النشاط المتزايد لمراكز الأبحاث، فها هي «الأيكونوميست» تكتب في افتتاحيتها تحت

عنوان (همجية دبابات الفكر): «إن أحدًا لم يعد بمقدوره أن يناقش أن هذه المراكز أصبحت بذاتها حكومة الظل في أميركا، بل وتأكد بأنها الحكومة الخفية الحقيقية التي تصوغ القرار السياسي وتكتبه، ثم تترك مهمة التوقيع عليه للرئيس ولمعاونيه الكبار في الإدارة. ويقول الأستاذ الجامعي والذي ألَّف كتابين عن مؤسسات الفكر دونالد إبلسون إنه في حين أصبحت مؤسسات الفكر والرأي في السنوات الماضية «ظاهرة عالمية» فإن مؤسسات الفكر الأميركية تتميز عن نظيراتها في البلدان الأخرى بقدرتها على المشاركة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في صنع السياسة، وفي استعداد صانعي السياسة إلى العودة اليها للمشورة السياسية.

عدم حيادية مراكز الأبحاث في أبحاثها ونتاجها المعرفي

إن من الشعارات التي تطلقها مراكز الأبحاث أمرين: الأول: الحيادية، فهي تدَّعي أن أبحاثها ودراساتها تأخذ الطابع العلمي والمعرفي. والثاني: أنها تعمل لصالح الولايات المتحدة، فهي تقدم نفسها أمام الرأي العام الداخلي والخارجي أنها وطنية بامتياز. فهذا معهد بروكنجز يعلن أن «باحثيه يقدِّمون أعلى مستوى جودة للأبحاث والتوصيات السياسية والتحليل» وأن «استقلالية معهد بروكنجر ونزاهته المهنية وموضوعيته هي أهم أصوله» ولكن هذه الشعارات محل نظر إذا أخذ بالاعتبار التأثير المتزايد لهذه المراكز في صنع السياسات في الداخل والخارج والتأثير على الرأي العام استجابةً للداعمين والوقوف عند طلباتهم، ومع ملاحظة غياب الاستقلال العلمي.

إن الذي يجعل مراكز الأبحاث لا تمتاز بالحيادية أو الاستقلالية فيما تقدمه هو ارتباط هذه المراكز بالفاعلين السياسيين وبالداعمين والرعاة الاقتصاديين والجهات الإعلامية التي تساهم في النشر. فمراكز الأبحاث تدَّعي أنها تحصل على المال من خلال المشاركة في الأنشطة الخاصة التي تدر عائدات، مثل إقامة المؤتمرات، أو رسوم العضوية، أو بيع ما يصدره من كتب ودوريات خاصة؛ لكن هذه العوائد من الدخل الذي تجمعه معظم مراكز الأبحاث لا يغطي نفقاتها؛ لذلك فهي تعتمد بشكل رئيسي على التبرعات من المؤسسات والشركات والأفراد. فقد اشارت إحدى الدراسات حول أعلى أو أفضل عشرين مركز تفكير أميركي إلى أن معدل الميزانية السنوية للمركز الواحد هو ٢٩ مليون دولار حسب إحصائيات ٢٠١١م؛ وأن مركز راند لديه ميزانية سنوية بـ٢٦٣ مليون دولار وأكثر من ألفي موظف، يليه مركز بروكينغز بميزانية سنوية بنحو تسعين مليون دولار ونحو ٥٣٠ موظفًا. وتشير الدراسة إلى أن متوسط معدل قيمة الممتلكات (الاستثمار المالي والممتلكات الموقوفة) هو ٦٧ مليون دولار لكل مركز. مع ملاحظة أن قيمة ممتلكات مركز بروكينغز هي ٢٩٩ مليون دولار، وكارنيجي ٢٥٣ مليون دولار. ولاحظت الدراسة أن نسبة عالية من موظفي وباحثي هذه المراكز تزيد رواتبها على مائة ألف دولار سنويًا. وحسب النيويورك تايمز فقد

«تضاعفت الميزانية السنوية لمعهد بروكنغز لتبلغ مئة مليون دولار خلال العقد الأخير، كما أن معهد أميركان إنتربرايز يقوم بتشييد مقر له بواشنطن تبلغ تكلفته ثمانين مليونًا على الأقل، وهو قريب من مبنى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الذي كلف هو الآخر مئة مليون»؛ لذلك تعتمد هذه المراكز على تلقي التبرعات والتمويل من الجهات الداعمة لاستمرار عملها.

وعليه فحسب توماس ديفيرتنز مؤلف كتاب: (مركز الأبحاث في أميركا)، فإن مراكز الأبحاث تعلن استقلاليتها المعرفية في سياقات معينة؛ ولكنها تبرز تبعيتها أو اعتمادها على العملاء في مواردها وأشكال شرعيتها في سياقات أخرى. وتعتمد مراكز الأبحاث تحديدًا بشكل متَّسق على ثلاثة أنواع من العملاء:

أولًا: العملاء السياسيون (لا سيما صناع السياسات والأحزاب وشبكات النشطاء)؛ وذلك طلبًا للصلات السياسية التي يمكن أن يتيحوها.

ثانيًا: العملاء الاقتصاديون (لا سيما المؤسسات والشركات والمانحين الأثرياء)؛ وذلك طلبًا للدعم المادي.

ثالثًا: العملاء الإعلاميون (لاسيما الصحفيون والمنافذ الإعلامية كالصحف والدوريات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية)؛ وذلك طلبًا للانتشار.

وأيضًا، أوضح مارك فرحا (أستاذ العلوم السياسية والتاريخ بجامعة جورج تاون بقطر) التقاطع بين مجالات السياسة والمال والاستخبارات، وتأثيره على أداء مراكز الأبحاث بالولايات المتحدة؛ ولذلك يرى توماس ديفيرتنز أن مراكز الأبحاث أعادت تنظيم الفضاء المؤسسي لإنتاج المعرفة واستهلاكها في الولايات المتحدة بطريقة منعت المتخصصين المستقلين في العلوم الاجتماعية من تشكيل أنفسهم كمشاركين فاعلين في الجدل السياسي. وبحلول التسعينات، كان يمكن لأي سياسي شارك في معركة تعديل نظام الرعاية الاجتماعية أن يختار بحرية من مخزون لا ينفد من الحجج والإحصاءات ونقاط الحِجاج لدعم موقفه السياسي، ويعود السبب الرئيس في ذلك لمراكز الأبحاث، والتي وفَّرت «سوقًا» لمشتري الخبرة والمعرفة». ثم يختم بخلاصة رئيسية تؤكد أن نمو مراكز الأبحاث خلال الأربعين سنة الماضية أدى دورًا محوريًا في تقويض أهمية المعرفة العلمية المنتجة باستقلالية، وأثرت بصورة بالغة في قيمة المعرفة ذاتية التوجيه في الحياة العامة...» فهي تحدُّ من مدى الخيارات المتاحة للمفكرين الأكثر استقلالية أو الأقل استعدادًا لتفصيل عملهم حسب طلبات السياسيين والرعاة الأثرياء».

وعن ذلك كتب أيضًا ستيف ووترز في الغارديان: «مراكز الفكر هذه لا تنتج أفكارًا جديدة، إنها تبرر». إنه أحد المخاطر التي تواجهها مراكز الفكر اليوم؛ حيث أصبحت المراكز تدافع عن رؤية معينة للعالم. فالملياردريات الملتزمون أمثال جورج سورس يستثمرون مبالغ كبيرة في مراكز الفكر والحملات السياسية.

ويرى بيار دوفراني أن مراكز الفكر الأميركية

والإنجليزية، أن بحوثهم جميعًا مساندين متحمسين لاقتصاد السوق وللرأسمالية؛ ذلك أن التدعيم في كامله يأتي من رجال المال والشركات؛ ما يدفع بهذه المراكز إلى خدمة أهداف هذه الشركات وليس المعرفة والموضوعية العلمية.

وفي كتابه (اعترافات قرصان) يؤكد الخبير الاقتصادي جون بيركنز دوره - مع الكثير من زملائه - في استخدام المنظمات المالية الدولية لخلق ظروف تؤدي إلى خضوع الدول النامية لهيمنة النخبة الحاكمة التي تدير الحكومة والشركات والبنوك؛ وذلك بإعداده للدراسات التي بناء عليها توافق المنظمات على تقديم القروض للدول النامية المستهدفة بتطوير البنى التحتية، بشرط قيام مكاتب الهندسة وشركات المقاولات الأميركية بتنفيذ هذه المشاريع. ويكشف الباحث أن دراساتهم والأرقام التي تحتويها ذات طابع مخادع؛ فإذا كان من الناحية الإحصائية البحتة تعتبر تقدمًا اقتصاديًا (نمو الناتج المحلي القومي) إلا أنه قد يكون نتيجة استفادة أقلية من المواطنين «النخبة» على حساب الأغلبية بحيث يزيد الغني ثراءً والفقير فقرًا. ويضيف أنه والخبراء الاقتصاديون قاموا بتطويع اللغة لتغليف استراتيجيتهم في النهب الاقتصادي؛ وذلك باستخدام مفاهيم «الحكم الرشيد، تحرير التجارة، حقوق المستهلك» وبحيث لا تصبح السياسات الاقتصادية جيدة إلا من منظور الشركات الكبرى.

مراكز الأبحاث تستجيب لأجندات الداعمين وتكرس الهيمنة الأميركية على العالم

تكشف نيويورك تايمز أكذوبة حيادية مراكز الأبحاث الأميركية في تقرير مطوَّل نشرته في ٢٠١٦/٨/٨م (حسب ما أوردته الجزيرة نت) تقول فيه: إن مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة التي تحظى دراساتها باهتمام دولي كبير -على أساس أنها دراسات علمية مرموقة- ليست محايدة أو مستقلة كما يتبادر للأذهان، وإن المانحين والمتبرعين يفرضون أجندتهم على نتائج أبحاث هذه المراكز.

وأوردت الصحيفة بتقريرها - القائم على جهد استقصائي كثيف - العديد من الأمثلة على ما ذهبت إليه، ومن ذلك العلاقة بين معهد بروكينغز للأبحاث بواشنطن، وهو أحد أكثر المعاهد البحثية المرموقة في العالم، ولينار كوربوريشن إحدى أكبر الشركات الأميركية العاملة في مجال تشييد المنازل. وذكر التقرير أن شركة لينار كانت ترغب في تصديق السلطات المختصة على تنفيذها لمشروع عقاري في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا تبلغ تكلفته ثمانية مليارات دولار، واستخدمت معهد بروكينغز كصوت له ثقل في الدفاع عن فكرة المشروع والترويج لها، وتبرَّعت لينار للمعهد بمبلغ أربعمئة ألف دولار معفاة من الضرائب، ولم ينفذ المعهد فقط حملة «بحثية» لصالح المشروع، بل ذهب أبعد من ذلك بتعيينه المدير التنفيذي المسؤول عن مشروع سان فرانسيسكو كوفي بونر في وظيفة كبير باحثين بالمعهد.

وقال التقرير الذي أعدته الصحيفة

بالاشتراك مع مركز نيو إنغلاند للصحافة الاستقصائية إن مراكز الأبحاث والتي تسمي نفسها «الجامعات بدون طلاب» لديها نفوذ في نقاشات السياسات الحكومية؛ لأنها تعتبر أن لا مصالح مالية لديها بهذه السياسات؛ لكن هذه الفكرة بعيدة عن الصواب؛ لأن هذه المراكز، وفي مطاردتها للتمويل، تستعين بقدرتها على الترويج لأجندة الشركات والمانحين، وبالتالي تزيل الخط الفاصل بين مراكز الأبحاث «غير المنحازة» ومجموعات الضغط.

وأشار إلى أن معدِّيه راجعوا آلاف المذكرات الداخلية والمراسلات السرية بين معهد بروكينغز ومانحين آخرين غير شركة لينار مثل «جي.بي مورغان تشيس» أكبر مصرف بالولايات المتحدة، وشركة «كي.كي.آر» العالمية للاستثمار، ومايكروسوفت وهيتاشي اليابانية. وقالت نيويورك تايمز إن الدعم المالي من هذه الجهات لبروكينغز يأتي في كثير من الأحيان بعد تأكيدات من المعهد بأنه سيقدم «فوائد التبرع» بما في ذلك التجهيز للمناسبات التي تبرز المسؤولين عن الجهة المتبرعة مع مسؤولين حكوميين.

وأضاف التقرير أن ترتيبات مماثلة تقوم بها كثير من مراكز الأبحاث في قضايا تتباين ما بين المبيعات العسكرية إلى دول أجنبية والتجارة الدولية ونظم إدارة الطرق السريعة والتطوير العقاري، حيث تتحول مراكز الأبحاث إلى وسائل لتجسيد نفوذ الجهات المانحة. ونقل عن السيناتورة الديمقراطية بولاية ماساشوسيتس إليزابيث وارين - والتي تنتقد في العادة التبرعات السرية من الشركات لمراكز الأبحاث - قولها إن هذا يحدث في الشركات العملاقة التي تعتبر أن إنفاقها بضعة عشرات من ملايين الدولارات للتأثير على صناعة القرار بواشنطن أمر يستحق؛ لأنه يعود عليها بالمليارات. وقال التقرير إن شروط المانحين بأن يحقق البحث الذي يتبرعون لتنفيذه أهدافًا محددة يهدد حيادية هذه المراكز في نقاشات السياسات في الكونغرس والبيت الأبيض ووسائل الإعلام.

ونسب إلى مسؤولي هذه المراكز نفيهم الشديد لتصويرهم على أنهم أدوات للشركات، وتأكيدهم على أن الأمر ينجم ببساطة من «توافق الأهداف بين الشركات ومراكز البحث مثل مساعدة المدن بالتنمية الاقتصادية». وأضاف التقرير أنه وبمراجعة وثائق من أكثر من عشرة معاهد ومراكز بحثية، فإن الفوائد التي تحصل عليها الشركات التي تحاول التخفي وراء سلطة مراكز الأبحاث لا يمكن إخفاؤها، موضحًا أن النتائج التي تصل إليها تقارير وأبحاث هذه المراكز يتم نقاشها مع المتبرعين قبل إكمال البحث. وقال إن مسودات الدراسات بهذه المراكز يتم إرسالها إلى المتبرعين ليوافقوا على الشكل النهائي لأي تقرير يصدر عن الدراسة أو البحث.

تبرعات مشروطة: ونسب إلى كبيرة الباحثين بمركز ستيمسون بواشنطن قولها إن مانحين محتملين ضغطوا عليها عندما حاولت جمع تبرعات لبحث حول الاستخدامات العسكرية للطائرات المسيَّرة المسلحة، مشيرة إلى أن أحدهم سألها: هل تودين القول إن

الطائرات المسيرة سيئة؟ نحن لا نقوم بتمويل من أو ما يقول إن الطائرات المسيَّرة سيئة. التقرير عرض عشرات الأمثلة لتبرعات مرفقة بطلبات لأبحاث محددة من جهات محددة شهيرة ومرموقة، ونتائج توصلت إليها أبحاث بعينها تتوافق مع طلبات الجهات المانحة في شتى المجالات بما فيها الصحية. ومن الأمثلة التي تستحق الذكر شركة «جنرال أتوميكس» التي تصنع طائرات بريديتر المسيَّرة، ووجهت بانخفاض مبيعاتها بعد انخفاض وتيرة الحروب في كل من العراق وأفغانستان، ورغبتها في تغيير إدارة أوباما سياستها حتى تسمح بالبيع لدول أخرى، وقد طلبت من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن مساعدتها مقابل إصدارها دراسة تقنع بها إدارة أوباما. وأعد المركز بالفعل دراسة بعنوان «العوائق السياسية للتصدير» بعيدًا عن لغة مجموعات الضغط؛ لكنها تؤدي إلى نفس النتيجة. هذا مثال واحد من أمثلة عديدة تضمنَّها التقرير ليؤكد أن مراكز البحث التي تصف نفسها بـ «العلمية» و«المستقلة» و«غير المنحازة» بعيدة عن هذه الصفات التي يبدو أنها مجرد أكذوبة تم الترويج لها وانطلت على الجميع. (المصدر نيويورك تايمز)

التضليل حول أخطار الاحتباس الحراري

تظهر النشرة الأميركية النصف شهرية للتفكير (ماذر جونز) في عام ٢٠٠٥م، أن أكسون موبايل قد دفعت مبلغ ثمانية ملايين دولار بين عامي ٢٠٠٠م و٢٠٠٣م إلى أربعين مركزًا بحثيًا كي تظهر أن ارتفاع حرارة الكوكب هو ببساطة عملية خداع واسعة. وها هي مؤسسة المنشأة الأميركية تنشر مقالات عن المناخ في ٢٠٠٤م تحت عنوان (لا تخافوا، كونوا سعداء) ومجلس البدل التشريعي الغامض الذي يشرح «أن التغير المناخي يمكنه في الواقع إنقاذ حيوات». ومن جهتها مؤسسة كاتو ومركز تطوير صوت العالم ومؤسسة المنشأة الحرة تستغل رحابة أكبر شركة نفط في العالم، وتصوِّب قذائفها الملتهبة على كل الدراسات التي تحاول البرهنة على ارتفاع حرارة الأرض «الاحتباس الحراري». وعلى أثر ما تقدمه مراكز الأبحاث من دراسات تطمئننا فيه حول انعدام ما يثبت مخاطر الاحتباس الحراري، سعى بوش الابن ومساعدوه في محاولات حثيثة لتقويض المساعي الدولية الآيلة إلى تقليص الأخطار التي تكتنف البيئة، والمسلمة بأنها جسيمة حقًا، فلم يوقِّع على بروتوكول كيوتو؛ بذريعة أن التوقيع عليه يضر بالاقتصاد الأميركي. وهذا ما فعله الرئيس ترامب عام ٢٠١٧م بخروجه من اتفاقية باريس للمناخ، فقد زعم، إبَّان حملته الانتخابية، أن اتفاق باريس للتغير المناخي سيكلف الولايات المتحدة خسارة ثلاثة تريليونات دولار من إجمالي ناتجها القومي، وحوالى ٦,٥ مليون وظيفة في قطاعات مختلفة مثل قطاع الفحم. وأشار إلى أن إدارته ستتوقف عن دفع أموال لصندوق المناخ الأخضر، والذي تدفع له الدول الغنية مليارات الدولارات سنويًا لمساعدة الدول النامية على التعامل مع الفيضانات والجفاف والآثار الأخرى لتغير المناخ. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

المديونية وسياسة الغرب في الاستعمار

علي السعيدي-تونس

تزدحم خانة الديون في موازنات الدول العربية المعلنة سنويًا بعدة مليارات من الدولارات، وتزداد بشكل متسارع، كما تتفاقم معها أزمات اقتصادية وسياسية واجتماعية تسببت في انهيار حكومات دول واندلاع ثورات خلال العقد الأخير نتيجة التردِّي الحادِّ في الأوضاع المعيشية للشعوب.

وارتفعت ديون ٢٠ دولة عربية في نهاية العام ٢٠١٩م لتصل إلى أكثر من تريليون دولار، صعودًا من ٩٢٣,٤ مليار دولار في ٢٠١٦م، و٨٧٨ مليارًا في ٢٠١٥م، و٨٩١ مليارًا بسنة ٢٠١٤م، وهي كانت ٤٢٦,٤ مليار دولار في العام ٢٠٠٠م، وتصاعدت إلى أرقام خيالية في ٢٠٢٠م.

وخلال العقد الأخير، تصاعدت أزمات اجتماعية وسياسية في معظم الدول العربية ربما يكون أحد أسبابها، إن لم يكن الأهم، أزمة تراكم الديون العامة وارتفاع تكلفة هذه الديون، وعدم القدرة على سَدادها، وما يتبع ذلك من أزمات اقتصادية خانقة ترتَّب عليها انعدام القدرة على اتخاذ القرارات التي تقود إلى استقرار أوضاع البلاد.

ويزداد تأثير أزمة الدين العام على الدول العربية النفطية وغير النفطية بسبب عدم سيطرتها على مواردها المنهوبة، واحتياطاتها النقدية الضعيفة مقارنة بنفقاتها العالية؛ ما جعلها أكثر عرضة للأزمات السياسية والاقتصادية بالسنوات الأخيرة.

نقدم لكم في سياق التقرير التالي واقع الديون العامة في ١٠ دول عربية ، ونقارن بين حجم هذه الديون والناتج المحلي الإجمالي، وقيمة الدين التي تترتب على كل مواطن بهذه الدول.

- **لبنان، المواطن يتحمل ٤٤٠٠ دولار من دين بلاده:**

ينحدر الاقتصاد اللبناني المتأزم منذ سنوات مسرعًا نحو كارثة ستقوده حتمًا نحو «الإفلاس» فدينه العام وصل إلى أكثر من ٨٦ مليار دولار مع نهاية ٢٠١٩م، بعد أن كان يقتصر على ما يزيد على ٤٠ مليار دولار في مطلع العام ٢٠٠٧م. ويعدّ لبنان من بين الدول الأكثر مديونية في العالم، وهو يحتلّ المرتبة الثالثة عالميًا من حيث نسبة الدين إلى

الناتج المحلي الإجمالي، بحسب صندوق النقد الدولي. وبلغت نسبة حجم الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي في لبنان نحو ١٥٢٪، بعد أن كانت ١٣١٪ في عام ٢٠١٢م، و٤٧٪ في عام ١٩٩٢م. ويبلغ نصيب الفرد اللبناني من ديون بلاده ٤٤٤٤ دولارًا، وهذا الرقم يعادل قرابة الـ٥٥٪ من متوسط الدخل السنوي للمواطن اللبناني.

- **الأردن، المواطن يتحمّل ٤٠٠٠ دولار من ديْن بلاده:**

تصنف الأردن بين الدول الأعلى دينًا نسبة إلى ناتجها المحلي الإجمالي، فقد وصل مجموع ديونها في يناير الماضي، إلى ٢٧,٤٤ مليار دينار (٣٨,٦٩ مليار دولار)، أي ما نسبته ٩٥,٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد. وهذا الرقم المرتفع يعني أن حصة كل مواطن أردني من ديون بلاده تبلغ نحو ٤٠٩١ دولارًا، أي ما نسبته ٩٩,٧٪ من متوسط دخل الفرد السنوي، الذي قدَّره البنك الدولي، في العام ٢٠١٧م، بـ ٤١٠٠ دولار.

- **تونس، المواطن يتحمّل ٢٤٠٠ دولار من ديْن بلاده:**

أعلنت وزارة المالية التونسية ارتفاع الدين العام التونسي بنهاية جوان/حزيران ٢٠١٩م، إلى ٨٢,٦ مليار دينار (٣١,٩ مليار دولار)، مقارنة بـ ٥٥,٩٢ مليار دينار (٢١,٠٦ مليار دولار)، في نهاية العام ٢٠١٦م. ويمثل الدَين العام التونسي في نهاية ٢٠١٧م ما نسبته ٦٩,٤٩٪ من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي، بعد أن كان ٦١,٨٧٪ في نهاية ٢٠١٦م، وتبلغ حصة كل مواطن تونسي من ديون بلاده نحو ٢٤٠٠ دولار، استنادًا للإحصائيات الرسمية لأعداد السكان للعام ٢٠١٦م، وهذا الرقم يعادل ٦١,٥٪ من متوسط دخل الفرد السنوي الذي يبلغ ٣٩٠٠ دولار.

- **المغرب، المواطن يتحمّل ٢١٢٠ دولارًا من ديْن بلاده:**

بلغت ديون الخزينة المغربية ١٠١٤ مليار درهم (١٠٦ مليار دولار) نهاية ٢٠١٩م، صعودًا من ٦٧٩ مليار درهم (٧١,٤ مليار دولار) في ٢٠١٣م، وفقًا لإحصاءات وزارة الاقتصاد والمال المغربية المنشورة في فبراير الماضي. ويمثل الدَين العام المغربي ما نسبته ٦٤,٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي للبلاد في ٢٠١٧م، هبوطًا من نسبة ٧٨٪ من الناتج المحلي في العام ٢٠١٣م. ويبلغ نصيب كل مواطن مغربي من ديون بلاده نحو ٢١٢٥ دولارًا، بحسب إحصائيات السكان للعام ٢٠١٦م، وتقدر حصة الفرد من الدين بـ٧٣,٣٪ من متوسط دخله السنوي.

- **السودان، المواطن يتحمّل ١٣٦٠ دولارًا من ديْن بلاده:**

تتصاعد قيمة الدين العام السوداني بشكل متواصل، وبحسب تقرير للبنك الدولي صدر في أبريل الماضي، فإن السودان ما يزال يعاني من ضغوط الديون الخارجية التي بلغت ٥٤ مليار دولار، ٨٥٪ منها متأخرات. وكشف البنك في تقريره المشترك مع وزارة المالية السودانية أن نسب الديون الخارجية للخرطوم بلغت ١٦٦٪

من إجمالي الناتج المحلي. وعند اقتسام قيمة الدين العام السوداني على مواطني البلاد، بحسب إحصائيات ٢٠١٦م، فإن نصيب الفرد يكون ١٣٦٤ دولارًا، أي ما يعادل ٧٥,٧٪ من متوسط دخل المواطن في العام الذي يبلغ ١٨٠٠ دولار.

- **موريتانيا، المواطن يتحمّل ١١٥٠ دولارًا من دَيْن بلاده:**

رغم أن الديون العامة لموريتانيا لا تصل قيمتها إلى ٥ مليارات دولار، فإن نسبتها وصلت إلى ما يزيد على ١٠٠٪ من إجمالي ناتجها المحلي السنوي. وتعاني نواكشوط من أزمات اقتصادية ومعيشية قاسية منذ عقود، فمواطنوها يعتمدون على صيد الأسماك كمصدر دخل رئيسي لهم، في ظل غياب سياسة اقتصادية محكمة، وضعف بالأنشطة الفلاحية بشقيها الزراعي والرعوي. وبحسب إحصائية نشرتها صحيفة «السفير» الموريتانية العام الماضي، فإن ديون موريتانيا وصلت إلى ٤,٩٥ مليارات دولار، وهذا الرقم تبلغ نسبته ١٠٠٪ من إجمالي الناتج المحلي للبلاد للعام ٢٠١٦م، بحسب بيانات البنك الدولي. وسيحصل كل مواطن موريتاني على ١١٥٠ دولارًا من ديون بلاده، وهو ما يقدر بـ٨٨,٥٪ من دخل الفرد السنوي في البلاد الذي يبلغ ١٣٠٠ دولار، وفق البيانات الرسمية للعام ٢٠١٦م.

- **مصر ، المواطن يتحمّل ٩٠٠ دولار من ديْن بلاده:**

تتصاعد الأزمات المعيشية في مصر منذ إعلان البنك المركزي المصري تحرير العملة المحلية (الجنيه) عام ٢٠١٦م، فبعد هذه الخطوة فقد الجنيه المصري أكثر من نصف قيمته، وشهدت البلاد ارتفاعًا جنونيًا بالأسعار أثَّر على القدرة الشرائية للمواطنين، ومن ثم تضررت معظم الشركات المحلية والأجنبية في البلاد. وضمن حزمة الأزمات الاقتصادية التي تضرب مصر، بلغ إجمالي ديون القاهرة الخارجية مع الفوائد ١٠٩ مليار دولار في ٢٠١٩م، بحسب ما أعلن البنك المركزي المصري. وبلغت نسبة الدين العام في مصر نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي ٣٦,١٪، فيما تقدر حصة كل مواطن مصري من دين بلاده بـ ٨٨٠ دولارًا، أي ما نسبته ٢٤,٤٪ من متوسط حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

- **اليمن ، المواطن يتحمّل ٧٠٠ دولار من ديْن بلاده:**

منذ اندلاع الحرب في اليمن بين القوات الحكومية الموالية للإنجليز والحوثيين الموالين لأميركا قبل نحو خمسة أعوام، وكما نزيف الدماء، لم يتوقف نزيف الاقتصاد اليمني، فاحتياطي النقد الأجنبي تبخَّر، واتهمت الحكومة الحوثيين بـ«نهبه»، والعملة المحلية (الريال) انهارت إلى أقل من نصف قيمتها، والدَين العام لا يتوقف عن الارتفاع. وأظهر آخر تقرير رسمي للجهاز المركزي اليمني للرقابة والمحاسبة ارتفاع سقف الدين العام من ٣,١ تريليونات ريال (١٢,٧ مليار دولار)، في يناير

٢٠١٥م، إلى ٤,٩ تريليونات ريال (١٩,٧ مليار دولار)، في يناير ٢٠١٧م. وأفاد التقرير أن نسبة الدين العام أصبحت ٨٥٪ من إجمالي الناتج المحلي، بينما وصلت أعباء الدين (الفوائد) إلى ٧٦٨,٩ مليار ريال (٣,٠٧ مليار دولار). وعند قسمة قيمة الدين على عدد المواطنين اليمنيين فإن حصة كل مواطن تكون نحو ٧١٤ دولارًا، أي ما تعادل نسبته ١٤٧,٢٪ من متوسط دخل الفرد السنوي، بحسب أحدث بيانات رسمية نشرت في فبراير ٢٠١٨م.

- **الصومال، المواطن يتحمّل ٣٥٠ دولارًا من ديْن بلاده:**

لا تزيد ديون الصومال كثيرًا عن سابقتها موريتانيا، فقد وصلت إلى نحو ٥ مليارات دولار في نهاية العام الماضي، وهي تشكل قرابة ٦٨,٤٪ من إجمالي الناتج المحلي للبلاد للعام ٢٠١٧م، كما أفادت بيانات البنك الدولي منتصف العام الجاري. واستنادًا إلى إحصائيات السكان للعام ٢٠١٦م، تبلغ حصة كل مواطن صومالي من ديون بلاده العامة نحو ٣٥٧ دولارًا، وهو ما يعادل ٦٦,٧٪ من متوسط دخل الفرد السنوي.

- **سوريا، المواطن يتحمل ٢٤٠ دولارا من دين بلاده:**

كشف تقرير إحصائي أصدره البنك الدولي حول الديون الدولية، في يناير الماضي، عن أن حجم الدين العام السوري يبلغ ٤,٣٩٤ مليارات دولار، أي ما يعادل ٩,٧٪ من الناتج المحلي للبلاد البالغ ٤٥ مليار دولار. وتبلغ حصة الفرد في سوريا من ديون بلاده ٢٤١ دولارًا، وهو ما يعادل نحو ٢٠,٢٪ من متوسط دخل الفرد السنوي البالغ ١١٨٨ دولارًا، استنادًا لإحصائيات الأمم المتحدة لعدد السكان في البلاد البالغ ١٨,٢ مليون نسمة.

ثروات الحكام والمال المنهوب:

أمام هذه الوضعية الكارثية المتمثلة في إغراق البلاد في حزمة من الديون المهلكة، وتمكين الصناديق الاستعمارية من إحكام قبضتها على مقدراتها، تنضاف كارثة أخرى زادت في الطين بلة تمثلت في تولي حفنة من العملاء مقاليد الحكم بعد رضى الغرب عنهم وتوليتهم إدارة الشأن العام بما يضمن مصالحهم، وقد عمد هؤلاء الحكام إلى النهب والاختلاس من المال العام وجمعوا ثروات تعادل ميزانيات دول، وكدَّسوها خارج البلاد في بنوك الغرب الكافر ليلحقوا بها متى ما أحسوا بتعكر الأجواء وثورة الناس عليهم. ولم تعد الأخبار التي تتناول نقل أموال المسؤولين والحكام ورجال الأعمال العرب للبنوك الخارجية من الأخبار اللافتة للانتباه، وصار ذلك من بديهيات الحكم وتولي المناصب العليا في الدولة، وصار الرأي العام أن الحكام لصوص بامتياز.

وتحتل البنوك السويسرية والأميركية والبريطانية والفرنسية النصيب الأكبر من إيداع الأموال المهرَّبة من الدول العربية، وهكذا ينعم الغرب بنعمتين: نعمة الهيمنة على البلاد الإسلامية ونهب خيراتها عبر النفاذ غير المشروط لشركاته وصناديقه الاستعمارية،

ونعمة تخزين المال المنهوب من قبل الحكام في المصارف الأجنبية واستعمالها في الدورة الاقتصادية لبلدانهم، فهل بقي لأهل البلد شيء بعد تكالب الغرب والعملاء على نهب كل ثروة فوق الأرض وتحت الأرض؟.

في تقرير مطول لـ «دويتشه فيله» تناول ملف الأموال العربية المهربة للخارج، نقل عن الغرفة العربية السويسرية للتجارة والصناعة في جنيف تقديرها لحجم الأموال العربية المنهوبة والمخفيَّة في البنوك السويسرية بنحو ٢٠٠ مليار دولار، فيما قدرت إجمالي المبالغ العربية المودعة في الخارج بصفة عامة بحوالى عدة تريليونات من الدولارات. التقرير استعرض أبرز الوجهات التي تحتضن الأموال العربية إلى جانب سويسرا، منها على سبيل المثال جزر البحر الكاريبي البريطانية وليشتنشتاين وولايات نيفادا وجنوب داكوتا ووايومنغ وديلاوير، لافتًا إلى أن قسمًا كبيرًا من هذه الأموال يعود إلى حكام ورجال أعمال فاسدين حصلوا على ثرواتهم بطرق غير مشروعة على مدار عقود طويلة مضت، تحت بصر المسؤول الكبير الذي سمح لهم ببعض فتات مقارنة بما يجنيه عبر الهيمنة المباشرة ووضع اليد على ثروات الأمة.

صندوق النقد الدولي من أذرع الاستعمار:

أنهت الحرب العالمية الثانية حقبة من التاريخ كانت الدول الكبرى تعمد فيها إلى خوض الحروب واستعمار البلدان من أجل تلبية احتياجاتها الاقتصادية، من جمع الموارد وفتح الأسواق لمنتجاتها؛ ولكن هذه السياسية انتهت إلى حربين عالميتين مدمرتين؛ وهو ما دفع بالقوى المهيمنة بعد نهاية الحرب الثانية إلى إيجاد أشكال ووسائل جديدة لإدامة الهيمنة وضمان تحقيق مصالحها.

بريتون وودز... وإعادة تأسيس النظام الاقتصادي العالمي.

بينما كانت الحرب العالمية الثانية تتجه إلى نهايتها، استضافت الولايات المتحدة ٧٣٠ ممثلًا عن ٤٤ دولة، هم حضور المؤتمر المنعقد في منتجع «بريتون وودز» بين غابات ولاية نيوهامشاير، وذلك في تموز (يوليو) من العام ١٩٤٤م، وخُصِّصَ المؤتمر لمناقشة قضايا النقد والمال في عالم ما بعد الحرب؛ بهدف تحقيق الاستقرار الاقتصادي في النظام العالمي الوليد؛ حيث تم تثبيت سعر الدولار فيه مقابل الذهب (٣٥ دولارًا لكل أونصة)، وتثبيت نظام صرف العملات وربطها بعملة الدولار. ولتحقيق غايات المؤتمر انبثقت عنه مؤسستان دوليتان، وهما: **صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير**، إضافة إلى التمهيد لتوقيع **الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات)** والتي وقعت لاحقًا في جنيف عام ١٩٤٧م.

كان دور صندوق النقد هو ضبط السيولة النقدية وأسعار الصرف، بينما يُموّل البنك الدولي مشاريع إعادة الإعمار في المناطق المدمّرة ويهيئها للمشاركة في السوق العالمية، وأما اتفاقية التجارة فترعى حرية التجارة عالميًا **بما يضمن مصالح المراكز الرأسمالية**

من خلال ضمان نفاذ المنتجات المصنَّعة فيها إلى أسواق الدول المستهلكة.

هيمنة غربية منذ التأسيس:

وقد هيمنت الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية على صندوق النقد منذ تأسيسه؛ حيث كانت عند التأسيس هي الأكثر استعدادًا للتعاون الاقتصادي، وكانت الولايات المتحدة تسيطر على ثلثي الاحتياطيات الذهبية في العالم، فحافظت هذه الدول على النسبة الكبرى من مدَّخرات الصندوق، ويرتبط نظام الصندوق والحقوق التصويتية للدول بحصتها في رأسمال الصندوق، وتسهم الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر فتبلغ حصتها نحو ١٧٪، بينما تصل مساهمة مجموعة الرأسماليات الغربية مجتمعة حوالى ٤٥٪ من القوة التصويتية، وهي نسبة كبيرة بالنظر لحصتها السكانية التي لا تتجاوز ٢٠٪ من إجمالي سكان العالم، **ما يمنحها القدرة الحاسمة على توجيه قرارات الصندوق وسياساته، بما يجعل منه معبِّرًا عن مصالحها، ومكرِّسًا لهيمنتها وبسط نفوذها،** وهو ما دفع بدول أخرى إلى محاولة إيجاد بنوك وصناديق إقراض أخرى بديلة؛ حيث تم تأسيس صناديق وبنوك على مستوى القارات، كبنك التنمية الآسيوي والأفريقي بحثًا عن الفكاك من الهيمنة الأميركية؛ لكن مثل هكذا بنوك وصناديق تبقى أدوات في أيدي من أنشأها لبسط الهيمنة والنفوذ ومص دماء الغير.

وصفة الإفقار ثم الهيمنة:

يقوم عمل الصندوق على منح القروض بالفوائد لحكومات الدول المحتاجة، فعندما تصل الحكومة إلى أزمة اقتصادية حادّة وتعلن حالة الإفلاس، مع عدم قدرتها على سدّ العجز في الموازنة اعتمادًا على الإيرادات المحلية ضمن المدى المنظور، تُقرر عدد من الحكومات اللجوء إلى الاستدانة من الصندوق الدولي كحلّ لمشكلاتها؛ وذلك على أمل أن تكون قادرة على سدّ الدَيْن خلال سنوات معدودة. ولكن ما يحصل هو أنّ الصندوق يشترط بدايةً أن تخضع الحكومات لتوصياته ووصفاته وشروطه التي يضعها فريق الخبراء عنده، وذلك كشرط من أجل استمرار منح القروض، وتسهيل سدادها من خلال إعادة الجدولة وتمديد الآجال، وهنا تبدأ سياسة الصندوق والغايات غير المعلنة بالانكشاف، حيث إن الصندوق يعتمد وصفة ثابتة موحّدة لا تتغير، يقوم بفرضها على جميع الدول، رغم ما بينها من تفاوت وتباينات شاسعة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وتقتصر توصيات الصندوق بشكل أساسي على فرض خطط التقشف وتخلي الدولة عن مسؤولياتها الاجتماعية بما في ذلك من رفع الدعم عن السلع الأساسية، وفرض الضرائب والرسوم، إضافة إلى خفض الإنفاق على خدمات الصحة والتعليم، والرعاية بشكل عام، بما يضمن توفير عوائد مالية سريعة يتم دفعها للصندوق ليقوم بالمقابل بمنح الحكومة قروضًا جديدة. ولا تمسّ هذه الخطط غالبًا مُخصصات الإنفاق العسكري والأمني لأنهما

صماما حماية للنظام الرأسمالي يحفظانه من السقوط والتصدع والانهيار في حالة خروج الناس لإسقاطه.

وبالإضافة إلى خطط التقشف، يفرض صندوق النقد على الحكومات برامج تحت مسمى «إعادة الهيكلة» والإصلاح الاقتصادي، تفرض خصخصة مؤسسات القطاع العام، وترافقها توجيهات برفع الحواجز الجمركية والتعريفات عن السلع القادمة من الدول الكبرى المهيمنة على الصندوق، ويهدف الصندوق من ذلك إلى فتح السوق المحلية أمام الشركات المسجّلة في الدول الكبرى بحيث يتحول السوق المحلي إلى سوق مستهلك لمنتجاتها، ومُسيطر عليه من قبل هذه الشركات، وهو ما يؤدي إلى فقدان الدولة القدرة على توفير عائدات محلية تسدّ عجز الموازنات، وذلك بسبب فقدان الدولة الإيرادات العائدة من شركاتها التي تم بيعها، وبسبب تقلص القاعدة الضريبية نتيجة لتراجع الشركات المحلية أمام الأجنبية، **وهكذا، وبسبب توصيات الصندوق ووصفاته تدخل الحكومات في حالة من العجز والإفلاس الدائم مع تفاقم حجم الدين الخارجي بما يحولها إلى زبون دائم للصندوق.**

***انهيار اقتصادي واجتماعي:**

تهدد وصفات الصندوق اقتصاد البلدان بالانهيار؛ إذ يؤدي عجز الميزانية واختلال الصادرات والواردات إلى ارتفاع مستويات التضخم وتراجع العملة المحلية، ويؤدي تخريب القطاعات المنتجة إلى ازدياد معدلات البطالة وانخفاض معدلات الأجور وتراجع حجم الناتج المحلي الإجمالي ومعدلات النمو الاقتصادي وينتهي كل ذلك إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية، من انكماش الطبقة الوسطى مع نزول أفرادها إلى الطبقة الفقيرة، وتزداد نسب الفقر والفقر المدقع، وتصبح غالبية الناس تحت خط الفقر.

ويؤكد بروفسور الاقتصاد في جامعة كولومبيا، جوزيف ستيغليتز، أنّ وصفات الصندوق ليس هدفها مصالح البلدان المَدينة، وإلا ما كانت وصفة الصندوق ثابتة بهذا الشكل، لا تراعي خصوصيات كل دولة على حدة، ولتنوعت الوصفات وتعددت بتنوع وتعدد أوضاع تلك البلدان.

الآثار السياسية لسياسات الصندوق.

وهكذا، فإنّ السياسات التي يفرضها الصندوق لا تأخذ بالاعتبار الجوانب الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية قبل الانطلاق في تنفيذها، وتؤدي حالة الانهيار الاقتصادي والاجتماعي وما يرافقها من ترشيد النفقات ورفع الدعم والمعونات عن السلع الأساسية إلى إفقاد الدولة وظيفتها ومسؤوليتها الرعوية، وهو ما يحمل انعكاسات سياسية تتمثل في تراجع القاعدة الاجتماعية للدولة؛ ما يؤدي إلى ارتدادات سياسية تتمثل في تصاعد الحركات الاحتجاجية، مما يزيد من معدلات التوتر وعدم الاستقرار. هذا ولا تقتصر الآثار السياسية لسياسات الصندوق عند ذلك؛ حيث تدفع الحكومات أثمانًا سياسية عديدة، فيُطلب منها اتخاذ مواقف

متفقة مع مواقف الدول الكبرى، كما في حالات التصويت على قرارات الأمم المتحدة المختلف عليها، أو إقامة قواعد عسكرية على أراضيها، أو تقديم مساعدات لوجستية أو التحكم المباشر وفرض الكوميسيون المالي، وبالتالي تصير تابعًا وحديقة خلفية للمستعمر الناهب.

هل إلى خلاص من سبيل؟

بكشف عورة النظام الرأسمالي القائم على عقيدة فصل الدين عن الحياة وإطلاق الحريات، وبيان طريقته في نشر مبدئه عبر الاستعمار الذي يمهد له بخطوات، من بينها إغراق البلاد بالديون عبر صناديقه، ثم بالإملاءات الصارمة لتنفيذ سياساته، انتهاء بفرض الهيمنة والوصاية والخضوع التام... لا يسعنا إلا أن ننعت هذا النظام بالإرهاب والإجرام، وأنه سبب شقاء البشرية وضنكها، سواء في البلدان التي تحتضنه عقيدة ونظامًا، أم في البلدان التي تعتقد عقيدة الإسلام ويطبق فيها النظام الرأسمالي بالإكراه والحديد والنار. الجميع مكتوٍ بنيران الرأسمالية وعقيدتها الديمقراطية العفنة التي ناقضت الفطرة البشرية وجعلت من الإنسان وحشًا يبحث عن المتع فقط بأي طريقة كانت طلبًا للسعادة، فلا هو سعدَ ولا أسعدَ غيره، بل كان نصيبه الضنك ثم الضنك. **قال تعالى:** ﴿أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

كلام الله تعالى حقٌّ وصدقٌ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ وكما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وقد حكمَ الله سبحانه وتعالى بمعيشة الضَّنك على مَن أعرضَ عن ذِكْرِه وخالفَ أمرَه واهتدى بغير هُداه، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: في الدنيا؛ فلا طمأنينة له، ولا انشراحًا لصدره؛ بل صدره ضيِّق حَرَج لضلاله، وإن تنعَّم ظاهرُه، ولَبِسَ ما شاء، وأكلَ ما شاء، وسكنَ حيث شاء؛ فإنَّ قلبه ما لم يَخْلُص إلى اليقين والهُدى فهو في قلق وحيرة وشَكّ، فلا يزال في ريبه يتردَّد، فهذا من ضَنَك المعيشة. فكان حريًّا بالناس والشعوب والأمم والمجتمعات والدول البحثُ عن مبدإٍ آخر يقوم على عقيدة عقلية صحيحة تقر ما في الإنسان من عجز واحتياج للخالق المدبر، ونظام حياة منبثق من هذه العقيدة يعالج مشاكل الإنسان من حيث هو إنسان، نظام من وحي رب العالمين لا من وضع بشر عاجزين. هذه العقيدة هي العقيدة الإسلامية بدون منازع. وهذا النظام هو نظام الإسلام الذي لا يمكن أن يطبق إلا حين تحمله دولة مبدئية هي دولة الخلافة الراشدة الثانية الآتية قريبًا بإذن الله، والتي ستقلب جميع الموازين وتؤسس لفترة مشرقة من تاريخ البشرية تعمُّها السعادة والرفاه والطمأنينة،كما عاشتها سابقًا لأكثر من ١٣ قرنًا كانت فيه الدولة الأولى في العالم، قال ﷺ: «**... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**». ■

بسم الله الرحمن الرحيم

في معادلة الحرب الأميركيّة على الإسلام...ترجمات معاني القرآن الكريم: كيدٌ خفيٌّ للقضاء على مرجعية كتاب الله

الأستاذ بسّام فرحات

إنّ الغرب الاستعماري الغارق في البراغماتية والمكيافليّة ليس له ابتداءً أيّ مشكلة مع الأديان مادامت مفصولةً عن الحياة منزوعة المخالب بحيث لا تهدّد مصالحه وطريقة عيشه، بل قد يستثمر فيها ويحوّلها إلى نشاط اقتصاديٍّ ربحيٍّ، أو يركبها ويوظّفها لتخدير الشعوب وإلهائها وإضعافها والسّيطرة عليها والتحكّم بها وبمقدّراتها..إلاّ أنّ الإشكال مع الإسلام أنّه يمتلك من مقوّمات القوّة ما يمكن أن يجعله بديلاً حضاريًّا ومنافسًا سياسيًّا مستقبليًّا خطيرًا يثير مخاوفهم ويهدّدهم في وجودهم فضلاً عن مصالحهم، وذلك على غرار الشمول والكمال والنزعة الجهاديّة والتوسّع والانتشار والقدرة على صهر الشّعوب. وقد كانت الولايات المتّحدة قد تولّت نشر المبدأ الرّأسمالي بعد الحرب العالميّة الثانية، ثمّ إثر سقوط جدار برلين صارت تعمل لتُفرد هذا المبدأ عالميًّا، وقد نجحت بمساعدة العالم الحرّ في جعله أساس العلاقات والأعراف الدّولية... وبعد صدمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تبنّت الولايات المتّحدة حملة لعولمة العقيدة الرّأسماليّة نفسها وجعلها دين أُممٍ وشعوب الأرض كلّها بحيث لا يكتفون بتطبيق مبدئها قسْرًا بل يعتنقونها ويكيّفون مقاييسهم وقناعاتهم على أساس أفكارها ومفاهيمها.

ولئن نجحت هذه الحملة خارج العالم الإسلامي إلاّ أنّها تعثّرت داخله وتكسّرت على صخرة العقيدة الإسلاميّة الصمّاء؛ ممّا حدا بالولايات المتّحدة إلى تطوير خططها وأساليبها وإفراد العالم العربي ـ قلب الإسلام النّابض ـ بمشروعين تكميليين (الدّمقرطة ـ الشرق الأوسط الكبير أو الجديد). ومن أجل تجزئة المجزّأ وتقسيم المقسّم وتفتيت المفتّت، فقد تبيّن للعمّ سام أنّ إطار (سايكس ـ بيكو) أضحى قاصرًا عن استيعاب مشاريعه المسمومة، فانعقد عزمه على إعادة صياغة المنطقة العربيّة (جغرا ـ سياسيًّا) مع تطويع العقيدة الإسلاميّة نفسها لتحقيق ذلك عبر اختراقها وفرقعتها من الدّاخل إلى إسلامات متباينة متناحرة. وعلى ضوء ذلك انخرطت الماكنة السياسيّة والعسكريّة الأميركيّة وحلفاؤها في تشذيب العقيدة الإسلاميّة وإصلاح الإسلام وصياغة مواصفاته المقبولة غربيًّا مستعينةً بالأنظمة التّابعة والنّخب العلمانيّة المرتهنة وفقهاء السلاطين في عمليّة التّوجيه الفكري

للأمّة وتركيز العقيدة الرّأسماليّة في أذهان المسلمين باسم الاجتهاد والاعتدال والوسطيّة والتيسير والتجديد والمقاصد. غير أنّ هذا المطلب الإجرامي الخبيث عسير المنال ما دام القرآن الكريم ـ النصّ المرجعي المؤسّس للعقيدة الإسلاميّة ـ موحّدًا واضحًا بيّنًا مفعّلاً منزّلاً على الوقائع الجارية؛ فلا مفرّ إذًا من المبادرة بمصادرة نصوصه وآليّات فهمه واستنباط أحكامه لمسخه وتحريفه وتكريس عقمه التّشريعي وضبابيّة أحكامه وميوعتها بما قد يُفضي إلى تعدّدية مرجعيّة تؤدّي بدورها إلى شكل من أشكال التعدّدية الدّينيّة فالعقائديّة ثم السياسيّة...

الظّاهرة تحت المجهر السّياسي

إنّ أقصر وأجدى طريق للقضاء على عقيدةٍ ما وتقويض أركانها هي استهداف مصادر تشريعها ونصوصها التّأسيسيّة؛ فتفقد خصوصيّتها وتميّزها ومبدئيّتها وطاقتها التّشريعية ويؤتى بنيانها من القواعد... من هذا المنطلق شنّ منظّرو الاستعمار وفقهاؤه حرْبًا شعواء على مصادر التّشريع في الإسلام مركّزين على كتاب الله وتفنّنوا في القدح فيه ونسج الشّبهات حوله ـ جمعًا ومتنًا ولفظًا ورسمًا ورواية ـ مراوحين بين إنكاره جملةً أو ضرب مصداقيّته وحجيّته أو استنطاقه عنوةً بشهادة زور خدمةً لأغراض أسيادهم الدّنيئة، متصنّعين التجرّد والموضوعيّة والبحث العلمي النّزيه..كما حاكوا ضدّه جملةً من المشاريع المسمومة بمنتهى الخبث والدّهاء من قبيل (الصّنصرة ـ التّحريف ـ التصرّف في بنيته ـ تشويش نظامه المصحفي ـ فصله عن السنّة..) أمّا أهمّ وأخطر المشاريع التّصفويّة المستهدفة للقرآن الكريم وأكثرها مكرًا والتحافًا بحسن النيّة فهو بلا منازع فصله عن لغته العربيّة التي نزل بها عبر ترجمة معانيه إلى سائر اللّغات واللّهجات العالميّة (لتقريبه من أذهان المسلمين الأعاجم وتوضيح معانيه السّامية لأصحاب الدّيانات الأخرى) كما يزعمون. وقد استند دعاة هذه الجريمة إلى فرية استشراقيّة مفادها أنّ اللّغة العربيّة هي مجرّد قناة تبليغ لمعاني الوحي مثلها مثل باقي اللّغات، وبالتّالي يمكن استبدالها بأخرى دون حرج ودون أن يفقد كتاب الله صفته وقداسته وحجيّته ومرجعيّته بوصفه مصدر تشريع ووحيًا مقدّسًا يُتَعبّد به. وعلى هذا الأساس ودون مقدّمات انخرطت الدّوائر الغربيّة والعربيّة إثر تفجيرات ٢٠٠١/٠٩/١١م في حملة عالميّة لترجمة معاني كتاب الله وتفاسيره إلى مُعظم اللّغات المحكيّة في العالم الحيّة منها وشبه الميّتة لاسيّما لغات المسلمين الأعاجم ولهجات الأقليّات العرقيّة في العالمين العربي والإسلامي؛ بحيث أحصتها ومسحتها جميعها وعبّرت بها عن معاني القرآن الكريم. النّظرة السّطحيّة المتفائلة لهذه الحيثيّات قد توحي بنزوع غربيّ صادق نحو الاستئناس بالإسلام ودراسته والتعرّف عليه

عن قرب، وبسعي جدّي إلى تدعيمه وتعزيزه في صفوف الشّعوب الإسلاميّة غير النّاطقة بالعربيّة، بيد أنّ هذا الاستنتاج ـ على وجاهته الظّاهريّة ـ يستبطن عملًا سياسيًّا عدائيًّا مريبًا وراءه نيّات خبيثة وغايات استعماريّة هدّامة وغير بريئة وذلك لعدّة اعتبارات:

أوّلاً: إنّ اللّغة العربيّة في القرآن الكريم ليست مجرّد قناة تبليغ يمكن استبدالها بأخرى، بل هي جزء لا يتجزّأ من معانيه ـ منطوقًا ومفهومًا ـ بدونها يفقد صفته وإعجازه وقداسته ومرجعيّته وطاقته التّشريعية؛ فلا تستقيم به صلاة ولا يُتعبّد بتلاوته ولا يُستنبط منه حكم...

ثانيًا: إن الترجمة في المطلق خيانة للنصّ الأصلي مهما بلغت درجة دقّتها وأمانتها ووفائها، حتى ولو أُنجزت بأيادٍ أمينة ونيّات صادقة لغايات سامية؛ وذلك لاختلاف اللّغات ـ لا لفظًا ورسمًا فحسب ـ بل سَعَةً ودقّةً وإحاطةً وبلاغةً وطاقةً تعبيريّة وقدرةً على التّجريد مصداقًا للمثل السّائر (التّرجمان خائن خوّان)... **ثالثًا:** إنّ هذا السّلوك لم يكن ديدن رسول الله وصحابته والفاتحين الأوائل، فقد بلّغ عليه الصّلاة والسّلام القرآن كما نزل عليه للعرب والعجم، وكان صحابته رضوان الله عليهم يعتبرون اللّغة العربيّة جزءًا لا يتجزّأ من الكتاب والسنّة، ويحملونها للشعوب المفتوحة كما يحملون الإسلام، ويعتبرون التّعريب من مقتضيات الأسلمة...

رابعًا: أنّ ترجمة معاني القرآن الكريم ارتبطت تاريخيًّا وسياسيًّا بانحطاط المسلمين، وانفصال الطّاقة العربيّة عن الطّاقة الإسلاميّة، وتبلور العداء الفارسي الشيعي للعرب السنّة مع تأسيس الإمبراطوريّة الصّفوية، كما ارتبطت أيضًا بانخراط الغرب النّصراني بعد الحروب الصّليبيّة في احتواء الإسلام فكريًّا عبر دراسة الثقافة الإسلاميّة من منطلق الرّد عليها وانتقاصها وإثارة الشّبهات حولها كنواة للتبشير والاستشراق والغزو الثّقافي للمسلمين...

خامسًا: إنّ الانتعاشة الأخيرة التي شهدتها حركة التّرجمة لمعاني كتاب الله قد تزامنت مع حالة متقدّمة من الإسلاموفوبيا والعداء الهستيري للإسلام والمسلمين والحملة الشرسة على اللّغة العربيّة ـ لفظًا ورسمًا ـ بالتّوازي مع الحرب الأميركيّة على الإرهاب ومشاريعها المسمومة المستهدفة للمسلمين ـ أرضًا وبشرًا وعقيدةً ومقدّرات ـ على غرار الدّمقرطة والشّرق الأوسط الجديد وصولاً إلى صفقة القرن...

إن ترجمة معاني القرآن الكريم إذًا هي ظاهرة غير صحيّة، مجانبة لواقع كتاب الله العربي المبين، مخالفة لسيرة الرّسول وصحابته، محفوفة بالمزالق التقنيّة، وُلدت من رحم الانحطاط والهبوط الفكري، ونشأت في مهد الصّليبيّة والشّعوبيّة، وشبّت وترعرعت في أحضان الاستعمار والاستشراق الكولونيالي، ونضجت واشتدّ عودها في دهاليز التّحالف

المسيحي الصّهيوني الصّفوي. وحسبنا تانك النسبة والهويّة اللّقيطتان المشبوهتان وتلك الولادة القيصريّة وذاك التّاريخ المشبوه المريب وهذا الحاضر الغارق في الدّماء والحروب لنضع الظاهرة برمّتها موضع الشكّ، ونوجّه إليها أصابع الاتّهام، ونخضعها لقراءة سياسيّة نقديّة مستنيرة ـ كمًّا وأصحابًا ودقّةً وتوقيتًا وعلاقةً بالمشاريع الاستعماريّة ـ عسانا نفهم هذا الاحتفاء المريب بكتاب الله، والعطف المفاجئ على المسلمين، الأعاجم وهذا الإصرار الغريب على ترجمة القرآن الكريم إلى جميع اللّغات المحكيّة في العالم...

المدوّنة في الميزان

وحتّى لا يكون كلامنا من باب التنظير الفجّ أو الإغراق في نظريّة المؤامرة، فسننطلق من استنطاق المنجز فعليًّا، أي من استقراء المدوّنة الحاصلة لتلك الترجمات ـ كمًّا وأصحابًا ودقّةً وتوقيتًا وعلاقةً بالمشاريع الاستعماريّة ـ وإنّ أوّل ما يلفت انتباهنا منذ النظرة الخارجيّة لهذه المدوّنة هو تعدّد الترجمات إلى اللغة الواحدة: فمعاني القرآن الكريم تُرجمت أكثر من ٨٠٠ مرّة إلى ٧٤ لغة ولهجة محكيّة عالميًّا، منها ١٠٠ مرّة إلى الأورديّة، و٩٥ إلى الفارسيّة، و٨٠ إلى الإنجليزيّة، و٦٥ إلى التركيّة، و٣٥ إلى الفرنسيّة، و٣٠ إلى البنغاليّة، و٢٢ إلى الإسبانيّة، و١٧ إلى الإندونيسيّة والألمانيّة والأذريّة والرّوسيّة، و١٥ إلى الصينيّة والإيطاليّة، و١٠ مرّات إلى العبريّة، و٨ مرّات إلى الأمازيغيّة.

هذه الملاحظة المركّزة هي حجر الزّاوية في تحليلنا، من رحمها الخصب تنسلُّ سائر الاستنتاجات؛ لكن وبحكم ورودها مادّة خامًا فإنّ استنطاقها يحتاج إلى إثرائها وتدعيمها. فمن المفيد جدًّا للتحليل أن نعرف:

أوّلًا: إنّ أغلب هذه الترجمات صادر بشكل فوضويّ دون ضابط ولا رقيب ولا مراعاة لحرمة الكتاب، وذلك عن دوائر غير إسلاميّة، منها ما هو معروف بعدائه التقليديّ المبدئيّ الصريح والمعلن للإسلام (الصهاينة)، أو في شكل مبادرات (فرديّة) من أطراف إمّا مشبوهة أو غير مؤهّلة أو منتسبة إلى هرطقات محسوبة على الإسلام (بهائيّة ـ قاديانيّة ـ أحمديّة...) ولا نستثني من الشبهة حتّى مجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ودونكم الترجمة العبريّة الأخيرة التي أصدرها...

ثانيًا :إنّ أغلب المترجمين يجهلون لغة الضّاد لسان القرآن الكريم جزئيًّا أو كليًّا؛ ممّا اضطرّهم إلى تهميش النصّ الأصليّ في أعمالهم والاستناد إلى كوكتيل من الترجمات بلغات مختلفة؛ ممّا يُوسّع الهوّة بين الأصل العربيّ والنّسخ المترجمة، ويُراكم من الأخطاء، ويفتح الباب أمام الدسّ والتحريف...

ثالثًا: إنّ الأقليّات الشيعيّة غرب الهند وجنوب الصحراء الأفريقيّة لم تُترجم لها المصاحف العثمانيّة، بل القرآن الشّيعي المحرّف المسمّى (قرآن فاطمة) وقد دسّ فيه غلاة الباطنيّة (سورة الولاية) من بنات أفكارهم

وأضافوا (وجعلنا عليًّا صهرك) إلى سورة الشرح، وقرؤوا (إنّ علِيًّنا للهدى) [الليل: ١٢] ـ كما قرؤوا (وما كنت متّخذ المضلِّيْن عضدًا) بصيغة التثنية، وفسّروهما بأبي بكر وعمر... إلخ. وما لم يقدروا على تحريفه لفظًا ورسمًا حرّفوه تفسيرًا وتأويلًا على غرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ حيث فسّروا (بقرة) بأنّها أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها... إلخ. والإشكال أنّ هذا (التأويل) سينعكس على اللّفظ والمعنى أثناء الترجمة...

رابعًا: إنّ تلك الترجمات قد اتّسمت ـ كلّها ـ في أحسن الحالات بالتحريف الشّديد الذي لا يرتقي إلى الاقتباس، وفي أسوئها بالمسخ والتشويه والمغالطات الفظيعة المتعمّدة، وسنتناول فيما يلي بعض العيّنات المثيرة للتقزّز والاشمئزاز...

اليهود والتّرجمة

بالإضافة إلى التّرجمات العبريّة، فإنّ معظم ترجمات معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللّغات العالميّة كانت بإمضاء يهود صُرحاء. وغني عن التّذكير بأن الحديث عن الحياد والموضوعيّة والنّزاهة والأمانة والدقّة في تعامل اليهود مع القرآن والإسلام والمسلمين أمر يتجاوز الطّوباويّة إلى الغباء السياسي: فالدسّ على القرآن والإسلام هو ديدن اليهود منذ فجر الدّعوة، فقد كانوا على عهد رسول الله ﷺ ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ولا غرابة أن يكون ذلك ديدنهم اليوم وهم يتصدَّون بشراسة لبوادر الصّحوة الإسلاميّة: فهم يموِّلون الترجمات المغرضة لمعاني كتاب الله ويتجشّمون مشقّة توزيع آلاف النّسخ منها ـ بالمجّان ـ لتشويه صورة الإسلام وتحريف شرائعه، ودونكم هذه العيّنات المقزّزة: فـ(هارون بن شيمش) صاحب التّرجمة العبريّة الثالثة ترجم ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بما يُفهم منه أنّ الرسول ﷺ أقلّ الأنبياء مرتبةً وقيمةً وشأنًا، وعمد في المواطن التي يخاطب الله فيها بني إسرائيل ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى تحويل الخطاب إلى صيغة المفرد حتى لا تنطبق الصّفات القبيحة إلاّ على فرد واحد منهم...كما قام بتعديل بعض الآيات بما يخدم الرّوايات اليهوديّة: فالبقرة التي وصفها الله تعالى بأنّها

﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ حوّلها إلى حمراء انسجامًا مع إحدى الأساطير الصهيونيّة المرتبطة ببناء الهيكل المزعوم، وقد اتّسمت ترجمته عمومًا بالتّحريف الشّديد إذ افتتحها بمرثيّة لزوجته وآبائه، كما عمد إلى ضغط كل خمس آيات في آية واحدة، بما يجعل منها مجرّد اقتباس ونسخة مزيدة منقّحة. أمّا (أندريه شوراكي) صاحب الترجمة الفرنسيّة الثامنة، فقد تعمَّد التّلاعب بحدود السّور وترتيبها: فسورة الفاتحة لم يورد في البداية إلاّ نصفها متوقّفًا عند ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ ثمّ أورد بقيّتها في آخر الترجمة مضيفًا إليها بداية سورة البقرة... وقد تعمَّد أيضًا تخيُّر الألفاظ

التي تشوّه القرآن وتحرّفه: فعوض أن يُترجم لفظ (الطّلاق) بمقابله الفرنسي(Divorce) ترجمه بلفظ (Repudiation) التي تعني الطّرد التعسّفي ليوحي أن الإسلام يهين المرأة... كما سعى ما أمكن له إلى السّخرية من الإسلام وإخراج بعض آياته إخراجًا كاريكاتوريًّا هزليًّا، ومن ذلك أنّه ترجم لفظة (فلك) في قوله تعالى: ﴿فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ ـ باللّفظ الفرنسي (Felouque) أي السفينة الصّغيرة حتى تبدو الآية غير منطقيّة ومثيرة للسخرية (اللّيل والنّهار والشمس والقمر في سفينة صغيرة تسبح بهم في الفضاء)... وقد طال عبث شوراكي شخص الرّسول ﷺ إذ عمد إلى ترجمة النداء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ بأداة النّداء الفرنسيّة (Ohé) التي تُستعمل لتنبيه الحيوانات وحثّها على السّير... وتصل صفاقة شوراكي ذروتها حين يتجاوز حدود اللّياقة والأدب مع الذّات الإلهية جلّت وعلت: فقد تعمّد ترجمة (رحمته) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ـ باللّفظ الفرنسي (Matrice) الذي يعني رحم المرأة (هكذا) ولكم أن تتخيّلوا المعنى الذي أصبحت تفيده الآية ومدى الاستهانة بالذّات الإلهية والاستهتار بمشاعر المسلمين... هذه الأمثلة المقزّزة هي مجرّد عيّنات ممّا يمكن أن يحصل عندما يوكل أمر ترجمة معاني كتاب الله إلى أعداء الأمّة الحاقدين على الإسلام أو إلى المتطفّلين على اللّغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة، وقد أمكن لنا اكتشافها لأنّها وردت بلغات حيّة معروفة، أمّا الافتراءات التي خطّتها نفس تلك الأيادي القذرة بلغات محدودة ولهجات قبليّة فلا يعلمها ويحصيها إلا الله تعالى...

مصداقيّة القرآن في الميزان

على ضوء هذه المعلومات تتحرّك فينا ماكينة الشكّ المنهجيّ والحسّ السياسيّ: فلئن كانت الترجمة إلى لغات متعدّدة مبرّرة ـ على الأقل نظريّا بحكم اختلاف الألسن ـ فإنّ تعدّدها وتكرارها في نفس اللغة الواحدة أمر يبعث على الحيرة والرّيبة، فتلك العمليّة منظور إليها من زاوية التذييل الآنف لها بالضرورة مضاعفات سلبيّة تمسّ بمصداقيّة القرآن وقداسته وحُجِيَّتِه، وتهدّد بجديّة وحدة الإسلام والمسلمين بما هو النصّ المرجعيّ المؤسّس للديانة والباعث للأمّة. فلئن كانت الغاية المنطقيّة من تعدّد الترجمة إلى نفس اللغة هي التنقيح والتعديل بغاية التجويد فإنّ تكرار تلك العمليّة عشرات المرّات (١٠٠ ـ ٩٥ ـ ٨٠ ـ ٦٥ ـ ٣٥...) بشكل متزامن دون أدنى تنسيق هي عمليّة أبعد ما تكون عن السيرورة الطبيعيّة للتنقيح نشدانًا للأمثل والأقرب من النصّ الأصليّ، بل هي عبارة عن إغراق متعمَّد ومدروس للشّارع الإسلاميّ والعالميّ بفوضى من الترجمات المتباينة ـ شكلًا ومحتوًى، روحًا ومعنًى ـ ممّا يُولّد الارتباك والحيرة، ويزرع بذور الشكّ والرّيبة، ويكرّس الاستهانة والاستخفاف بالنصّ القرآنيّ، وينفي عنه

لدنيّته، وينزع من القلوب احترامه وتقديسه، ويغري به متنًا وتفسيرًا. فالتعدّد يفترض التباين والاختلاف، ويؤدّي حتمًا إلى التناقض والتعارض والتشويه، كما يفترض الخطأ والسّهو وسوء الفهم والتقدير ونقص الدقّة في التعبير بحكم الاختلاف في خصائص اللّغات والتفاوت في قدرات المترجمين ـ فالترجمة خيانة في نهاية الأمر ـ وهذا باب مُشرَع على مصراعيه أمام الطعن في المصداقيّة المفترضة لذلك الكمّ الهائل من الترجمات، طعن سرعان ما ينتقل إلى القرآن نفسه. فأن يوجد في باكستان ١٠٠ رواية للقرآن الكريم، وفي إيران ٩٥، وفي الدول النّاطقة بالإنجليزيّة ٨٠، وفي تركيا ٦٥... لا يقرّب دستور الإسلام من المسلمين الأعاجم ـ كما يُدّعى ويُرَوَّج له ـ بل يؤدّي إلى تمييعه وتعويمه، ويكرّس الافتراءات التي أُلصقت به من أنّه نصّ محرَّف مليء بالمتناقضات، متأثِّر بأخطاء الرواة وأهواء الجامعين ونزوات السّاسة والنوازع المذهبيّة، فلم يخلُ ـ شأنه شأن أي كتاب عاديّ ـ من الزيادة والنقصان والصنصرة والتصحيف؛ وهذا من شأنه أن يوفِّر الأجواء ويهيِّئ العقليّات لما يخطِّط له التحالف المسيحيِّ الصهيونيِّ من ضربٍ لوحدة النصِّ القرآنيِّ ووضوحه عبر توظيف الترجمة،

أوّلًا: للحيلولة دون اتصال المسلمين الأعاجم بالنسخة الأصليّة للقرآن الكريم بما هي كتابهم المقدّس وأداة تعبُّدهم ومصدر تشريعهم الأساسيِّ...

ثانيًا: لتحريف كتاب الله بين تلك الشُّعوب؛ وبذلك تتيسّر عمليّة تنقيحه وصنصرته وإخضاعه ـ كما أصحابه المسلمين ـ لمشروع الدّمقرطة...

ثالثًا: لتكريس الضبابيّة والغموض وتعدّد الرّوايات المفضي إلى تعدّد المصاحف. فالمذاهب ثمّ الديانات وصولًا إلى خلق مُسوِّغ مذهبيٍّ دينيٍّ جديد؛ لتمزيق المسلمين وتفتيتهم، ينضاف إلى المسوِّغين العرقيّ واللغويّ...

قداسة القرآن في الميزان

إنّ الثّالوث (لغة ـ إعجاز ـ قداسة) في القرآن الكريم متكامل إلى حدّ التماهي، فبين أضلاعه تقوم علاقة تبادليّة متشابكة بحيث تفضي إلى بعضها البعض: فاللغة العربيّة هي منشأ الإعجاز القرآنيّ، والإعجاز هو بدوره منشأ القداسة، أي أنّ قداسة القرآن الكريم هي في نهاية الأمر رهينة اللغة العربيّة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾. من هذه الزّاوية، فإنّ الترجمة الفوضويّة المغرضة لا تؤدّي إلى تعويم القرآن وامتهانه وتعدّده فحسب، بل تُفضي إلى إلغائه وإعدامه بسلبه الصفة التي تجعل منه كتاب تعبّد ومصدر تشريع ألا وهي القداسة؛ لأنّ هذه الأخيرة متولّدة أساسًا عن اتحاد معنى الوحي مع اللفظ والتركيب والأسلوب والحرف والرسم العربيّ واقترانهما بشكل يفضي إلى النظم المعجز: فاللغة العربيّة في القرآن الكريم جزء لا يتجزّأ

من المعنى بدونها يفقد إعجازه وقداسته ويصبح كتابًا عاديًّا لا تستقيم به صلاة ولا تصحّ عبادة، كما يفقد ـ وهذا الأهمّ ـ مرجعيّته التشريعيّة كدستور تُستمدّ منه الأحكام والقوانين. فالاجتهاد هو بالأساس فعل في اللّغة العربيّة؛ لأنّ المراد من خطاب الله هو ما دلّ عليه الكلام العربيّ بالفهم العربيّ للألفاظ والأساليب العربيّة. أمّا الترجمة فهي ـ بالكاد ـ تفسير بلغة أجنبيّة لا يرقى لأن يكون مصدر تشريع؛ لأنّ تغيير اللغة الأصليّة للقرآن لا ينقل إلاّ جزءًا بسيطًا من منطوقه فحسب، فضلًا عن مفهومه. فاللّغة والحضارة وجهان لعملة واحدة بحيث لا يمكن التعبير عن حضارة ما إلاّ بلغتها، ويتأكّد هذا مع النّصوص العقائديّة الدينيّة، وهل أكثر اختزالًا للحضارة الإسلاميّة من القرآن الكريم؟؟ وبذلك يتجلّى الوجه القبيح للترجمة: فهي عمليّة سحب للقرآن من بين أيدي المسلمين الأعاجم وتحريف لمعانيه وطمس لتشاريعه وحيلولة دون فهمه وتفعيله وتفجير طاقته، وهي بالتّالي تصفية جسديّة له ككتاب مقدَّس يختزل عقيدة وشريعة ويوحّد أمّة، وهذه خدمة لا تُقدّر بثمن للجهود الغربيّة المبذولة في عولمة العقيدة الرّأسماليّة واجتثاث الإرهاب/الإسلام وتجفيف منابعه بوصفها رافدًا فكريًّا ثقافيًّا حضاريًّا للمناورات السياسيّة والجبهات العسكريّة المشتعلة في العالم الإسلاميّ...

وحدة المسلمين في الميزان

وتتجاوز المضاعفات الخطيرة للترجمة القرآنَ نفسَه لتطال أيضًا الكيان العقائديَّ والسياسيَّ للمسلمين؛ بحكم أنّه النصّ المؤسّس للمبدأ الإسلاميّ الذي قامت عليه دولة الخلافة الإسلاميّة. فهذه العمليّة تندرج في إطار تفكيك العالم الإسلاميِّ الثريِّ بالمذاهب والأعراق واللغات قبل إعادة تركيبه مجزّأً وفق مصالح الكافر المستعمر، وذلك: **أوّلًا:** عبر الفصل بين العرب والعجم وفكّ الرّابط العقائديّ الذي يجمعهم (القرآن العربيّ)، **ثانيًا:** عبر تفتيت العالم العربيّ بتشجيع الأقليّات العرقيّة والإثنيّة المكوّنة لنسيجه البشريّ على الانفصال والحيلولة دون انصهارها مع العنصر العربيّ في بوتقة العقيدة الإسلاميّة. فبثّ النزعة القوميّة في تلك الأقليّات وإحياء لغاتها ولهجاتها الأُحفوريّة وترجمة كتاب الله إليها هو من باب تزويدها بمقوّمات الانفصال و(أكسسواراته) قبل تجنيدها وتوظيفها وقودًا لحرب الأمّة وإنهاك جسدها؛ ذلك أنّ المشاريع الاستعماريّة المستهدفة للمسلمين قد تكسّرت كلّها على صخرة العقيدة الإسلاميّة، فهي بمثابة الملاط والإسمنت المسلّح الذي شدَّ ومازال لبنات العالم الإسلاميّ والبوتقة التي انصهرت فيها تلك الفسيفساء من الأعراق واللغات والإثنيّات رغم التقسيم الاستعماريِّ المصطنع والقسريّ. وأمام استحالة انتزاع هذه العقيدة من صدور المسلمين؛ فلا أقلّ من تحويلها من عامل بناء وقوّة وتوحيد ونهضة ورقيّ إلى معول

هدم وتفرقة وضعف وتفكّك وانحطاط وتخلّف بفرقعتها من الدّاخل إلى إسلامات (اقليميّة ـ وطنيّة ـ عرقيّة ـ مذهبيّة ـ طرقيّة..) متباينة في مواصفاتها ـ عقيدةً وشريعةً وطقوسًا ومقدّساتٍ ـ متناحرة متعادية متقاتلة فيما بينها. هذا المطلب يبدو عزيز المنال مادام النصّ المرجعيّ المؤسّس للعقيدة مُوَحَّدًا؛ فلا مفرّ إذًا من المبادرة بضرب وحدة القرآن الكريم لخلق تعدّديّة مرجعيّة تفضي إلى شكل من التعدّديّة الدينيّة من قبيل: لكلّ وطنٍ إسلامُه وقرآنُه، ولكلّ مذهب إسلامه وقرآنه، وكذا لكلّ عرقيّة وإثنيّة وأقليّة لغويّة أو لهجيّة؛ وذلك عبر آليّات عديدة لعلّ أشدّها خبثًا ومكرًا فرض مذهب فقهيّ ورواية قرآنيّة لكلّ قطر وخاصّة الترجمة الفوضويّة المغرضة لكتاب الله؛ وبهذا يتّضح لنا بجلاء أنّ هذه الترجمة قد وُظّفت لتكريس المشاريع الأميركيّة المستهدفة للإسلام والمسلمين (الدمقرطة ـ التجزئة والتقسيم والتفتيت ـ عولمة العقيدة الرّأسماليّة) بل إنّها أُخضِعت لتهيئة المسلمين للقبول بصفقة القرن، ودونكم الترجمة العبريّة الأخيرة (العاشرة). وقبل الخوض فيها نؤطّر المسألة سياسيًّا، ونضعها في سياقها التّاريخيّ...

المأزق الإسرائيلي

إن مشكلة كيان يهود ليست في الوجود ـ فهذا متيسِّر، وقد تحقق فعلًا سنة ١٩٤٨م ـ ولكن المأزق (الإسرائيلي) الفعلي يتمثل في الثبات والاستمرار والدّيمومة. فالاستعمار إذا بقي جسمًا غريبًا منبوذًا لا يعترف به أصحاب الأرض، فإن مصيره لا محالة إلى زوال ولو استوطن المنطقة أجيالًا متعاقبة، ودونك الصّليبيون في المشرق. هذا الدرس التاريخي السياسي لم يكن ليغيب عن دهاقنة الإمبريالية والصهيونية الذين فطنوا إلى أن المشروع الصهيوني على أرض فلسطين إذا تحقق بالحديد والنار فإن مآله الفشل الذّريع؛ لأن المهم ليس اغتصاب الأرض بل الاستقرار فيها وخلق أجواء أمنية ملائمة للنهب والتهويد، وإن الطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو أن تهضمهم المنطقة ويسلّم أهلها بهذا الاغتصاب ويزكّوه ويرضَوا به؛ إلاّ أنّ ما تحقّق طيلة العقود الستّة الأولى من الصّراع لا يعدو أن يكون اعترافًا شكليًّا منتَزعًا بالحديد والنّار والخيانات والقرارات الأمميّة الجائرة محسوبًا على الأنظمة العلمانيّة المـُنصَّبة على رقاب العرب، وهذا لا يُلبّي احتياجات (إسرائيل) الأمنيّة؛ لأنّه حبرٌ على ورق؛ فالعمق الشّعبي الإسلامي مازال رافضًا لاسيما مع تمادي المستوطنين في غطرستهم؛ لذلك يجب العمل على انتزاع الاعتراف من أفواه الإسلاميّين أصحاب الحق الشّرعيين حتّى يكتسب مصداقيّة ويكون قابلاً للتجسّد على أرض الواقع؛ خاصّةً وقد فقدت (فتح) مصداقيّتها وافتضحت عمالتها ولم تعد مؤهّلة للتّنازل باسم الفلسطينيّين فضلًا عن العرب والمسلمين. من هذا المنطلق سعى اليهود وحلفاؤهم إلى توريط آخر قلاع الصّمود

والنّزاهة، أي الحركات الإسلاميّة ـ وأكثرها شعبيّة (حماس) ـ فدمجوها سنة ٢٠٠٦م في العمليّة السّياسية لتصبح طرفًا في السّلطة القائمة على اتّفاقات أوسلو وترث عنها كلّ تنازلاتها، ثمّ أخضعوها للضغوطات السّياسيّة والعسكريّة لتنتهي إلى ما انتهت إليه (فتح) من التّدرج في الاعتراف بـ(إسرائيل) وترويض أتباعها، وقد تحقّق ذلك سنة ٢٠١٧م مع (وثيقة حماس) التي تنصّلت فيها الحركة من مرجعيّتها الإسلاميّة وتبرّأت من (تهم) التطرّف واللاَّساميّة، ورضيت بالعمل تحت مظلّة (فتح) وقبلت بدويلة على أراضي ١٩٦٧م في اعتراف ضمني بكيان يهود على أراضي ١٩٤٨م. هذه التنازلات الخيانيّة التي انخرطت فيها (حماس) ألحقتها في أعين الفلسطينيّين بحركة (فتح) وأفقدتها بالتالي مصداقيّتها وأهليّتها لتمثيل الشعب وسائر العرب والمسلمين في الصّراع مع كيان يهود؛ إلاّ أنّها لم تنفِ عن الصّراع مرجعيّته الإسلاميّة، ولم تجرّد الإسلاميّين من القوامة على فلسطين ومقدّساتها، بل جرَّدت (حماس) من الصفة الإسلاميّة، وبقي الإسلام والإسلاميّون معقد آمال الشعب الفلسطيني والأمّة الإسلاميّة في استعادة الأقصى وتطهير أولى القبلتين من دنس يهود. وبالتالي وجدت (إسرائيل) نفسها في المربّع الأوّل لهواجسها الأمنيّة، فكلّ المناورات السياسيّة والعسكريّة التي قامت بها مع صنائعها وأزلامها لم تثبّط همم المسلمين ولم تقتل فيهم الأمل في تحرير فلسطين وتحقيق وعد الله تعالى؛ لذلك يجب الانتقال إلى الإحباط العقائديّ، أي إلى اختراق المرجعيّة الإسلاميّة للصّراع وجرّ العقيدة الإسلاميّة نفسها للتطبيع؛ بما يُفضي إلى إطفاء جذوة الأمل والثقة في نبع الخيرية الإسلاميّة الدفّاق في الأمّة ويدفع المسلمين قسرًا إلى الإذعان للأمر الواقع (الإسرائيليّ). فمع استحالة انتزاع العقيدة الإسلاميّة من صدور المسلمين وحرفهم عن التسليم الطّوعي لها وإقصائها من مرجعيّة الصّراع؛ فلا أقلّ من ركوبها وتوظيفها وتطويعها لخدمة مشروع التحالف المسيحي الصهيوني في أرض المسرى والمعراج؛ وهذا يقتضي إخضاع القرآن الكريم للدّمقرطة ومحاربة الإرهاب عبر تنقيته من آيات السّيف والجهاد والآيات (اللاَّساميّة) التي تهاجم اليهود وتفضح إجرامهم، والآيات التي تقرّ بأحقّية المسلمين بالأرض المباركة ومقدّساتها، ثمّ استنطاقه بما يجيز شرعًا التفريط فيها ليهود، أي انتزاع الاعتراف والتطبيع على القرآن الكريم وصياغته وحيًا لدنيًّا مقدّسًا؛ عساهم يحقّقون مبتغاهم ألا وهو اعتراف الأمّة الإسلاميّة بتلك الجريمة وقبولها بها وتسليمها للأمر الواقع (الإسرائيليّ) ليتحقّق ليهود هاجس الأمن والأمان والاستقرار...

ترجمة صفقة القرن

هذا المطلب العزيز المنال يستحيل إخضاع النسخة العربيّة الأصليّة للقرآن الكريم لمقتضياته، فهي منقوشة في صدور الرّجال قبل

سطور المصاحف العثمانيّة؛ ولكن يمكن له ـ نظريًّا ـ أن يتحقّق في لغة أخرى عبر التّرجمات المغرضة لمعاني كتاب الله. على هذا الأساس ودون سابق إنذار أو حاجة ملحّة وبشكل متزامن ومتوازٍ مع صفقة القرن، أطلقت وزارة الشؤون الإسلاميّة بالمملكة العربيّة السعوديّة حملة لترجمة معاني كتاب الله إلى ٧٤ لغة ولهجة محكيّة في العالم بإشراف وإنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومن بين أبرز تلك الترجمات نجد واحدة إلى اللّغة العبريّة، وقد أنجزها الدّكتور (أسعد نمر بصولي) وهو فلسطيني مسلم مقيم بأميركا منذ ٢٠ سنة، كما راجعها أيضًا الدّكتور الفلسطيني المسلم (تيسير حسن محمّد العزّام)..إلاّ أنّ الباحث الفلسطيني (علاء الدّين حمّاد أحمد) رصد في هذه الترجمة أكثر من ٣٠٠ خطأ تتراوح بين أخطاء معنويّة معرفيّة في ترجمة الألفاظ، وأخرى في ترجمة المتشابه، وأخرى مطبعيّة بزيادة أو نقصان حرف أو أكثر مع تعمّد إدخال «الإسرائيليّات» المزيّفة والمحرّفة وخلطها بالقرآن الكريم من قبيل أنّ الذّبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، وأنّ سيّدنا إبراهيم له ولدان (إسحاق ويعقوب) دون إسماعيل، وهي أخطاء تمسّ العقيدة الإسلاميّة نفسها وتتماشى مع الرّوايات اليهوديّة. وأوّل خطأ رصده الباحث يتعلّق بترجمة الاسم (القرآن الكريم) حيث أُسقطت عنه صفة (الكريم) وأعطي صفةً أخرى، كما ترجم (أهل الكتاب) بالنّصارى فحسب وأُسقط اليهود من السياقات التي جُمعوا فيها مع النّصارى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾، هذا إلى جانب حذف اسم النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم من قائمة الأنبياء المرفقة بالتّرجمة. ومن بين الأخطاء التي شكّلت صدمة للباحث اعتماد المترجم مصطلح (الهيكل) بدل (المسجد الأقصى) في الآية الأولى من سورة الإسراء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ وكذلك اعتماد لفظ (الحكم) بدل (الفتح) في الآية ٢٨ من سورة السجدة ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨﴾، وفي نفس الفترة وبشكل مريب أطلقت الإمارات طبعة جديدة للمصحف الشريف استُبدِل فيها اسم (سورة الإسراء) باسم (سورة بني إسرائيل) وحتى نفهم هذه الخطوة الوقحة تجاه كتاب الله لابدّ لنا من النّبش في الذّهنيّة اليهوديّة لنعرف كيف ينظرون إلى الإسلام وإلى القرآن وإلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم: إنّ المترجمين اليهود ينطلقون من مصادرة عقائديّة ملخَّصها أنّ القرآن الكريم (كتاب مليء بالمتناقضات، تلقّفه محمّد من أفواه القساوسة والحاخامات بعد أن نهل من التّوراة والإنجيل والتلمود، وهو لم يضِفْ شيئًا عمّا جاء في التّوراة إلاّ في الأمور التّفصيليّة) وبذلك فإنّ الإسلام ليس إلاّ (يهوديّةً عربيّة تلائم العرب بمُتغيّراتهم). وقد لخّص (أندري شوراكي) هذه النّظرة بقوله: «إنّ القرآن في

نسخته الأصليّة كُتب بالعبريّة ثم تُرجم إلى العربيّة ترجمةً سيّئة» بهذه الافتراءات تكتمل معالم الحلّ اليهودي للقضيّة الفلسطينيّة كاشفةً عن رسالة سياسيّة عقائديّة موجّهة إلى المسلمين فيها استنطاق للعقيدة الإسلاميّة بالمشروع الصّهيوني في فلسطين وتحميلٌ لها به عسى ذلك أن يساعد المسلمين على هضم صفقة القرن والقبول بها، أمّا فحوى الرّسالة (نحن اليهود نشاطر المسلمين في الاحتكام إلى المرجعيّة الإسلاميّة في صراعنا من أجل فلسطين؛ ولكنّنا أكثر منهم وفاءً إلى تلك المرجعيّة: فقد عُدنا بها إلى صيغتها الأولى ونصّها الأصلي في لغته التي أُلِّف بها قبل ترجمته إلى العربيّة. وقد وجدناه ناطقًا صراحةً بالمشروع الصّهيوني في فلسطين، يعترف بالهيكل ويُقرّ بإعادة بنائه مكان المسجد الأقصى، كما يبشّر بالحكومة العالميّة التي يُنظِّر لها إخواننا الماسون (متى هذا الحكم). وإن كنتم في ريبٍ من هذه المقالة، فقد نطق بها وأثبتها مسلمان فلسطينيّان ترجمةً ومراجعةً وهما من أصحاب الحقّ بكلّ المقاييس والاعتبارات؛ وبهذا يسقط الحاجز النّفسي العقائدي الذي يحول دون التّطبيع، فالرّضا بالأمر الواقع (الإسرائيلي) ليس خيانةً للأمانة ولا تفريطًا في المقدّسات بل هو عودةٌ إلى خيمة جدّنا إبراهيم... ثمّ أنتم المسلمون لا خيار لكم، فصفقة القرن مفروضة بالحديد والنّار ولا تقبل المناقشة، وهي فرصة لا تُعوَّض فلا تضيّعوها؛ وإلاّ فإنّ مصير مسلمي الصّين والهند ينتظركم). وقد لخّص رئيس الوزراء (الإسرائيليّ) (بنيامين نتنياهو) هذا المنزع في الحجر على الإسلام والمسلمين بقوله «سنصنع لهم إسلامًا يناسبنا، إسلامًا جديدًا يمكّننا من الوصول إلى أهدافنا، إسلامًا يبيح القتل وسفك الدّماء ونشر الرّذيلة والفوضى... سنقوم بتغذية الطّائفيّة ثمّ نقوم بتسليحهم فيبدأ الاقتتال، وبعدها يتمّ تقسيم العالم العربيّ على أساس طائفيّ دينيّ؛ فنضمن استمراريّة القتال الدّاخليّ، ونضمن التخلّف وعدم النموّ... والأهمّ من هذا وذاك أنّهم سيحاربون جيوشهم بدلًا منّا وعوضًا عنّا؛ ممّا يوفّر علينا الكثير من الجنود والأموال».

هذه الخطة من القيام بكبر ترجمة معاني القرآن على هذه الطريقة الماكرة لا بد من وعي المسلمين عليها، وتفويت أهدافها، فهم بها لا يريدون تمرير مخططاتهم الخبيثة على المسلمين كصفقة القرن فحسب، بل أكثر من ذلك بكثير، إنهم يريدون تبديل دين الله، يريدون القضاء على وحدة المسلمين في عقيدتهم وفي تشريعاتهم، وفي وحدتهم السياسية، هذا وقد وصف الله وتعالى مكرهم بقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴿٤٦﴾﴾. وعلى المسلمين أن يفوّتوا عليهم مكرهم بتتبعه وردِّه والأخذ عليه باليد وتحقيق قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلاموية:
نموذج الغرب الكافر للمسلمين الذي يتبناه ويدعو إليه أردوغان

عبد الستار أبو تقي - الأرض المباركة فلسطين

يحرص دهاقنة السياسة في دول الغرب الكافر، أثناء حربهم اللئيمة على الإسلام، على تشويه صورته الحقيقية في أذهان الناس حول العالم، من خلال تصويرهم، تزويرًا وتدليسًا، أن من يعمل على نصرة دين الله اليوم، بتطبيق الإسلام في خلافته، إرهابيًا راديكاليًا أصوليًا متطرفًا... مستخدمين أدوات مختلفة في ذلك، كالملاحقة المادية لكل من يدعو إلى الإسلام السياسي، وكالتضليل الفكري الذي يشوه المفاهيم الصحيحة عن الإسلام، وكالتخويف وبث الكراهية ضد الإسلام في أرجاء العالم، أو ما يسمى بـ(الإسلاموفوبيا-Islamophobia)، تساعدهم في ذلك الأنظمة العميلة في بلاد المسلمين، حتى يظل المسلمون حائرين تائهين خائفين، لا يعرفون طريقًا لخلاصهم.

ومن جملة تلك المفاهيم التي يروج لها الغرب في ضرب الإسلام وأمة الإسلام، مصطلح «**الإسلاموية**» أو ما يطلقون عليه عندهم **Islamism**. وهذه المقالة تهدف إلى بيان هذا المفهوم لديهم، وكيف أن الأنظمة المأجورة في بلادنا تتبناه وتدعو إليه، خدمة للغرب الديمقراطي المجرم، وضربًا للإسلام، وإقصاء له عن الحياة والسياسة والحكم. مثال ذلك أردوغان تركيا، الذي يظن بسطاء من أبناء المسلمين أنه قائد إسلامي مِغوار، يخدم الدين ويدافع عنه!!

ماذا يعني مصطلح الإسلاموية (Islamism) في الفكر السياسي الغربي؟.

إن الناظر في تعريفات وتصريحات سياسيي ومفكري الغرب لمصطلح الإسلاموية (Islamism) والذي أنتجوه وصدَّروه إلينا ليحاربوا به الأمة، يخلص إلى أنهم يقصدون به الأمور التالية: فبحسب الموسوعة العالمية ويكيبيديا، فإن الإسلاموية تمثل «**حركة سياسية تدعو إلى تطبيق مبادىء الشريعة الكاملة**

في الحياة والسياسة، وإن الإسلاموية هي عين مصطلح (الإسلام السياسي) أو (الأصولية الإسلامية)، وإنها الجماعات السياسية التي تعمل على إقامة دولة الشريعة الإسلامية (الخلافة) المتطرفة، والتي تسعى لإقامة دولة واحدة للمسلمين عابرة للحدود، والتي ستعمل على إزالة تأثير الغرب السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري من بلاد المسلمين» أما الكاتب أوليفر روي (٢٠٠٧م) فيعتبر «**أنها تمثل كل من يريد أن يؤسلم بيئته في كل مفاصل الحياة**» أما مجلس العلاقات السياسية الأميركي الإسلامي (٢٠١٥م) فيعتبرها «**نوع من الحركة السياسية التي تهدف إلى تطبيق قوانين الشريعة في الدولة والمجتمع**» أما توني بلير، رئيس وزراء بريطانيا السابق (٢٠١٨م) فيعتبر أن الإسلاموية «**تتجسد في الحركات الإسلامية العنيفة المتطرفة، سبب مشكلة العالم والإرهاب فيه**» وهو ما يؤكده بوريس جونسون رئيس وزراء بريطانيا الحالي، الذي يصف الإسلاموية «**بالفيروس الذي يجب أن يقفوا متحدين من أجل عزله والقضاء عليه**» (٢٠١٣م). أما الكاتب بسام طيبي (٢٠١٢م) فيصفها بأنها «**نوع من أنواع تسييس الدين، وأنها حالة من الأصولية الدينية**» ويوافقه ماجد نواز (٢٠١٥م) الذي ينعتها «**بالأيدولوجية الدينية التي تهدف إلى فرض الإسلام وشريعته على المجتمع**»؟!. أما مدير مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، في افتتاحيته لمؤتمر (ما بعد الإسلام السياسي: الشروط، السياقات والآفاق، ٢٠١٨م) فيقول: «**إن حركات الإسلام السياسي، التي تنادي منذ عقود بالدولة الإسلامية، وبأن الإسلام هو الحل، دخلت في أزمة مع الشعوب العربية؛ لأن الأخيرة تطالب بالحرية والعدالة والديمقراطية وتداول السلطة، وهذه الأزمة من أسبابها الحركات الإسلامية، وبالتالي فإن السياسي قد فشل لصالح ما بعده**»؟!!.

وهكذا يظهر أن هذا التوصيف، المقصود والمضلِّل والماكر، لمصطلح الإسلاموية (Islamism) في العقلية الغربية، يهدف إلى شيء واحد: تشويه الإسلام السياسي، والزعم أنه فشل، ووصم العاملين لعودة نظام الإسلام في الحكم كما كان بالإرهاب والتطرف والأصولية، كما يهدف إلى تدجين المسلمين وتخويفهم من العمل للخلافة، التي تنقذهم وتعيد مجدهم وهيبتهم، خصوصًا بعد أن أصبحت الخلافة مطلبًا للأمة التي ارتفع وعيها على وجوبها شرعًا في حياتها. فتصريحات ترامب تكاد لا تنتهي عن «**الإرهاب الإسلامي الراديكالي**» وأنه في حرب على الخلافة، وهذا بوتين روسيا (٢٠١٧م) يؤكد أن «**موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة**»، أما الرئيس الفرنسي ماكرون (٢٠١٩م) فيحذر من خطر «**إعادة إقامة دولة خلافة في سوريا**»

بل ويعتبره «**خطرًا إنسانيًا يجب منعه، ومن مسؤولية تركيا أمام المجتمع الدولي**». أما توني بلير (٢٠١٨م) فيدعو صانعي القرار في الغرب «**لأن يصارعوا حركات الإسلام السياسي وفكرها الديني الاستبدادي**»... كل هذا يشير إلى مدى القلق والهاجس الذي يسيطر على فكر سياسيي الغرب أعداء الإسلام، من حركة الاسلام السياسي القوية، باتجاه استئناف خلافتها.

أما ما يدعو له سياسيو ومفكرو الغرب، كبديل عن الإسلام السياسي الذي يرعبهم، فهو ببساطة إسلام عبادات وطقوس، إسلام فردي لا علاقة له بالتشريع والسياسة والحكم والخلافة، فهم يريدون الإسلام هوية فردية للمسلمين، في بيوتهم وأخلاقهم وصلاتهم وصومهم، أما الدولة والمجتمع والعلاقات والقوانين والأحزاب والسياسة، في بلاد المسلمين، فيريدون أن تكون هويتها علمانية بحتة، تحكمها القوانين الغربية الليبرالية التي تديم الاستعمار والهيمنة الغربية في بلادنا، وتمنع الأمة من النهوض والوحدة في كيانها السياسي الإسلامي الجامع - الخلافة. قال بوريس جونسون رئيس وزراء بريطانيا (٢٠١٣م) «**يجب أن نفرق بحزم بين الإسلام كدين وبين فيروس الإسلاموية الذي يقود الإرهاب**» فالإسلاموية عنده تعني أربعة أشياء يجب محاربتها: «**الخلافة، وحدة الأمة الإسلامية، تطبيق الشريعة، والجهاد**»، فالرجل يرى أن «**الإسلام هو المشكلة لأنه لا يتوافق مع الليبرالية العلمانية الغربية**»!!

وقبل الكشف عن أردوغان تركيا، الذي يتبنى الإسلاموية، مثل زعماء الغرب، ويدعو لها، ويضلل الأمة، نرد على من يزعم أن لا سياسة في الإسلام، وأن الإسلام السياسي فشل، فنقول:

أولًا: في غياب الإسلام السياسي (الخلافة) عن الساحة الدولية منذ مائة عام، والغرب الحاقد هو من يرسم ويصيغ أفكار ومفاهيم الأمة تحت حراسة وبطش الأنظمة المأجورة في بلاد المسلمين وإعلامهم المضلِّل المأجور وتواطؤ علماء السلاطين. وما (الإسلاموية) إلا إحدى تلك المفاهيم الغربية المعلَّبة والمفروضة على الأمة؛ لترسيخ فكرة أن الإسلام ليس فيه سياسة ولا دولة، وأنه دين فردي مثل البوذية والسيخية والزرداشتية...!!

ثانيًا: إن فكرة فشل الإسلام السياسي (الإسلاموية Islamism) التي يروج لها الغرب، ليست فكرة حقيقية، تشهد عليها البيِّنات، بل هي كذبة وخرافة كبيرة، ومشروع وهدف عند أعداء الدين يراد فرضه بالتضليل والترويض، والعصا والجزرة، وبإثارة الفتن بين المسلمين حتى ينفضُّوا عن مشروع الخلافة.

ثالثًا: ولأن الغرب المجرم هو من يفرض الفكر الذي يريده اليوم على أمة الإسلام، فالمروِّجون لفشل الإسلام السياسي، من أبناء المسلمين،

من المشوَّهين فكريًا والمضبوعين بثقافة الغرب، خوفًا وطمعًا، يقفون في صف أعداء الدين، ويتحدثون عن الإسلام بمنطق الكفار ولسانهم، فيزعمون أن الفكر السياسي في الإسلام هو صنيعة بعض علماء المسلمين عبر التاريخ، إرضاء لبعض حكام المسلمين، ولكنه ليس من جنس الإسلام!!. هؤلاء يقلدون الغرب، ويتطاولون على الإسلام والعاملين له، ويتحدثون عن الإسلام قياسًا على المسيحية، وعلى ما حصل في أوروبا من تجبر وتسلط رجال الدين والملوك هناك؛ ما قاد إلى فكرة فصل الدين عن الحياة عندهم، كحل وسط، كما يزعمون!! ...نقول لهؤلاء المفتونين بثقافة الغرب: كفاكم انبطاحًا ونفاقًا. المسيحية ليست نظام سياسة شامل كالإسلام... أنتم ببغاوات تربيتم في بيت الطاعة الغربي، وتخشون نقمته منكم إن خالفتموه؛ لذلك تنعقون بما يُملي عليكم، من أنه نهض وتقدَّم بعد أن أخذ بالديمقراطية العلمانية الفاسدة، والتي أشقته في الحياة وأحطَّت به!! ويلكم كيف تحكمون؟! أنحن أحق بالسياسة أم الغرب الليبرالي، وعقيدتنا الإسلامية أساس الفكر السياسي في حياتنا؟؟ ألا ترون كيف أن العمل السياسي الحزبي عند الغرب رأس سنام حضارته، وبها يزهو ويفتخر؟!.. أنتم لست جهلة بسياسية الإسلام، لكنكم خنتم ربكم ودينكم وأمتكم، خدمة لغرب مهيمن مسيطر!!.

رابعًا: يهدف الغرب في تركيز مفهوم الإسلاموية (أن الإسلام السياسي ليس من الإسلام، وأنه مشروع فاشل) إلى شيء واحد: منع المسلمين وتخويفهم من التفكير والعمل لنصرة دينهم التي لا تكون إلا بالعمل السياسي الواجب لتطبيق الإسلام في دولته التي ستحمل الإسلام إلى العالم بالدعوة والجهاد ، وكما كانت، وتُنهي هيمنة الغرب الرأسمالي، ونهبه لبلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ فالغرب يخشى أن يعي المسلمون وجوب وحدتهم في خلافتهم؛ لذلك يضللهم ويخوفهم بمصطلحات الإرهاب والتطرف والأصولية، ليجعلهم في موقف ضعيف من الدفاع عن أنفسهم، وليظل عملهم للإسلام فرديًا، لا يهدد وجوده في الساحة الدولية.

خامسًا: الإسلام ليس دينًا فرديًا، بل نظام متكامل للحياة، لا يطبَّق إلا في دولته، التي ساست العالم قرونًا طويلة، في كل مفاصل الحياة، وعلى رأسها الحكم والإدارة، والعلاقات الدولية والاقتصاد، فسادَ المسلمون بها، وعَزُّوا وسَعِدوا، لا ينكر هذا إلا الغرب الكافر، وأذنابه من الحكام، وعلماء السوء. وهذه حقيقة شرعية تاريخية ثابتة، لا يجحدها إلا كل عميل، خائن لربه ودينه وأمته.

سادسًا: عندما تيقَّن الغرب الكافر وأذنابه الحكام أن الأمة بدأت بالتململ بقوة، تقودها

الحركات السياسية المبدئية فيها، **كحزب التحرير**، وأنها الآن أقرب من أي وقت مضى، من إنجاز بناء مشروع خلافتها المسلوبة منها، أصبح يحاول، بقضِّه وقضيضه، وصمَ تلك الحركات بالرجعية، والاستبداد الديني، والتشدد، والتطرف، والإرهاب؛ ليصرف الناس عنها، ويخوفهم من العمل معها. وعندما لمس فشله في ذلك، عمد إلى استخدام فريق من الحركات الإسلامية، التي يقبل بها ويسميها «معتدلة»، فورَّطها بالعمل السياسي والمشاركة السياسية، مع الأنظمة العميلة له في المنطقة (خصوصًا في بلاد الثورات)، حتى يُدجِّنها ويُفشِّلها ويُظهر، تضليلًا من خلالها، أن الإسلام السياسي فاشل، وأن البديل الوحيد المتاح للمسلمين هو القبول بالواقع المزري الذي يعيشونه في دول الضرار، لسان حالهم يقول: لا طاقة لنا بالغرب، ولا نريد أن نغضبه علينا!!.

سابعًا: ولعل أبرز فرية عند من ينادون بفشل الإسلام السياسي ادِّعاؤهم أن من يدْعون إلى إعادة الحكم بالإسلام في خلافته، ليس لديهم نموذج إسلامي سياسي عصري، في الحكم والاقتصاد والاجتماع والعلاقات الدولية... يكون بديلًا عن الأنظمة الليبرالية الغربية المطبقة في بلاد المسلمين. ويستشهدون على زعمهم هذا بالحركات الإسلامية، كالإخوان المسلمين، عندما صاروا في حكم مصر، بعيد الثورة في (٢٠١١م) وقبل أن يكونوا فيه، ثم يخلص هؤلاء إلى أن كل الحركات الإسلامية فاشلة، بل وينسبون هذا الفشل إلى الإسلام السياسي، وحتى الإسلام نفسه!!، ثم ينادي هؤلاء باستمرار أنظمة الغرب الليبرالية في بلادنا، والتي صنعها لنا على عين بصيرة، لدوام استعماره من خلال وكلائه، بعد إقصاء الخلافة من المشهد الدولي. نقول لهؤلاء المضلِّلين المفترين: لقد وضع **حزب التحرير** دستورًا للأمة، منذ عشرات السنين، بأدلته الشرعية، وبصياغة قانونية سهلة واضحة مفهومة، أثناء سعيها للخلافة وإعادة الحكم بما أنزل الله؛ لتتصور واقع الدولة الإسلامية وشكلها وأنظمتها، وما ستقوم بتطبيقه من أنظمة الإسلام وأحكامه، ويقع في (١٩١) مادة بعنوان «مشروع دستور دولة الخلافة» تغطي كل جوانب الحياة السياسية في الخلافة، كنظام الحكم (الخليفة، المعاونون، الولاة، الجيش، الأمن الداخلي، الخارجية، الصناعة، القضاء، الجهاز الإداري، بيت المال، الإعلام، مجلس الأمة)، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، وسياسة التعليم، والسياسة الخارجية. وهذا الدستور موجود بين يدي الأمة وعلمائها ومفكريها وسياسييها، لا ينكره إلا مكابر عدو للإسلام، وهذا الدستور ينفي فراغًا سياسيًا مُدَّعًى ممن لا يريدون أن يعود الإسلام سياسة في الحياة والدولة والمجتمع، وينفي غياب النموذج الإسلامي الذي يدَّعيه الجاحدون

المدلسون، تلامذة العلمانية الغربية.

ثامنًا: إن الغرب المجرم الذي ترعبه الخلافة القادمة، بإذن الله، يأمر أذنابه الحكام في بلاد المسلمين لأن يطمسوا عمل الإسلام السياسي الذي يقوده **حزب التحرير** في كل أرجاء العالم، في ظل ضجيج يصم، وتخويف يزلزل، وإعلام صاخب، وتغافل مكشوف؛ ليصرف الأنظار والعقول عنه، وعن مشروعه الواجب الذي يرفع المسلمين ويوحدهم كما كانوا، ويقطع يد الغرب عن بلادهم ومقدراتهم، بل ويحمل خير الإسلام إلى العالم كما كان. لكن **حزب التحرير** يسير بالأمة إلى موعود ربها، رغم كل تلك العقبات، وهو صاحب الإسلام السياسي وأبوه، ولقد جهز للأمر عدته، فدعا أبناء الأمة، وفصل لهم مشروعه العظيم، ووضع لهم دستورًا شاملًا لتطبيق الإسلام في الخلافة، منذ أول يوم تقوم فيه.

وإذا كانت بعض الحركات الإسلامية الملتوية وغير المبدئية، قد فشلت وأُفشلت، لكن الإسلام السياسي لم يفشل، بل فشل المنحرفون عنه المتنكرون له. وكلما تخاذل وسقط هؤلاء، التفَّت الأمة أكثر وأكثر حول **حزب التحرير**، الذي بات متفردًا صلبًا جاهرًا بالحق، لا تلين له قناة، يَشهد ويُصدِّق على ذلك عمله السياسي المبدئي والمتجذر والمتنامي، الذي يرعب الغرب، فبات يتحدث عنه ويحذر منه. إن عمل **حزب التحرير** في الأمة، أكبر وأعظم من أن يطمس، **والحزب** يحمد الله أن الأمة باتت تلمس وتعي حقائق التغيير بشكل أوضح، وكيف يكون خلاصها، وأن أباطيل الغرب وحكام المسلمين إلى خسران، وأن استخدام بعض أبناء المسلمين في ترويض وتحريف وإفشال الإسلام السياسي إلى زوال.

كيف يحارب أردوغان الإسلام بتبنيه الإسلاموية الغربية؟

لقد استقر اليوم، والحمد لله، في وجدان الأمة ووعيها، أن الأنظمة في بلاد المسلمين عميلة للكافر المستعمر، وهذا عامل مهم في سعيها للوصول إلى دولة المسلمين الجامعة التي ستقوم، قريبًا بإذن الله، على أنقاضها، وهو أيضًا خسارة كبيرة للغرب الذي وقف خلفها ردحًا طويلًا من الزمن. وعلى الرغم من أن أميركا لم تتخلَّ بالكامل عن الأنظمة المكشوفة، في تمرير سياساتها الاستعمارية في بلادنا، كما يحصل في مصر والسعودية وغيرها، إلا أنها باتت تستخدم، بشكل أكبر، أنظمة وقيادات، لم تحترق ورقتها بالكامل عند الأمة، مثل تركيا وإيران، بل وتعطيهم دورًا محوريًا، في تنفيذ سياساتها، كون هذه تستطيع -إلى الآن- تضليل كثير من أبناء الأمة، من أنها أنظمة (شريفة)، وأنها (مقاوِمة)، وتقف ضد سياسة أميركا في المنطقة، وتتخذ سياسات سيادية، تخدم الأمة!!.

والمدقق في الحالة التركية يجد أنها لا

تختلف عن أخواتها في المنطقة في الارتماء في أحضان أميركا، وتنفيذ أجندتها الاستعمارية، لكنها تتستَّر حتى يسهل عليها خداع المسلمين بشكل أكبر وأسهل. وحتى نستطيع أن نقيس ونزن ما تفعله تركيا أردوغان، لا بد لنا أن نكشف أن أردوغان يقود سياسات لا تختلف عن باقي الدول الإسلامية (المكشوفة) إلا في شيء واحد، وهو التدليس أنه يناوىء ويناهض أميركا!!.

فكل دول العالم الإسلامي، وعلى رأسها تركيا، قامت على أنقاض الخلافة، تكريسًا لفرقة المسلمين، وهي دول لا تحكم بالإسلام، بل تحاربه وتحارب عودته، وسجونها تعجُّ بكل من يقول ربي الله، وكلها توالي الغرب في فكره الرأسمالي، وتتخذ ما يسمى بالشرعية الدولية (قانون الغاب الرأسمالي) قانونًا يجري عليها، داخليًا وخارجيًا، وكلها تركت الغرب يستعمر بلادنا، نهبًا وسلبًا، تاركة الأمة ترسف في فقر مدقع. وكل هذه الدول تركت أميركا تقرر لنا شؤوننا، فلا يتحرك الحكام إلا بأمرها، فهم ارتبطوا معها باتفاقيات سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية، جعلت لها سبيلًا على كل شيء في حياتنا، ناهيك عن وقوف هذه الأنظمة مع أميركا في حربها على الأمة بذريعة مكافحة الإرهاب. كما أن هذه الأنظمة تدعم كيان يهود، وتتفق مع أميركا على تصفية قضية فلسطين، وتسليم البلاد والعباد فيها بالكامل لهم، وتتآمر مع أميركا على تفتيت بلاد المسلمين (كما حصل في السودان، وتيمور الشرقية في إندونيسيا) وتدعم أميركا في منع التغيير في بلاد الثورات، كمصر، وسوريا، واليمن، وغيرها.

بعد هذه العجالة في بيان إجرام الأنظمة في بلاد المسلمين، نتساءل: هل سياسات ونظام أردوغان تركيا يختلف عن واقع الأنظمة المكشوفة في بلاد المسلمين، أم يحاكيها في عمالتها ورضوخها؟؟ والجواب: لا يختلف، إلا في مواقف أردوغان الكلامية وجعجعاته الإعلامية التي تنطلي على بسطاء أبناء الأمة، فيظنون أنها دليل سيادة وحكم (رشيد) في تركيا؟! ولعل هؤلاء المضلَّلين من أبناء المسلمين، يقيسون أردوغان على استبداد السيسي وابن سلمان الواضح، فيرونه قديسًا!!...ولعلهم يفرحون عندما يخرج عليهم بتصريحاته النارية حول فلسطين وسوريا والسعودية، دون أي فعل حقيقي!!، ولعلهم يرَون فيه رائحة العثمانيين والخلافة التي كانت!! لكننا نسألهم مرة أخرى: هل ما يقوله أردوغان ويفعله غيَّر شيئًا من حال الأمة المزري؟؟! هل نصر فلسطين، مثلًا، في شيء خلاف التصريحات؟ هل طبَّق الإسلام في بلده تركيا؟ هل دعا إلى وحدة الأمة كما أوجب الشرع؟ هل منع ظلمًا وقع على مسلم في زوايا العالم؟!... لا، لم يفعل شيئًا من ذلك ولا غيره، سوى الاستمرار في عنترياته الإعلامية

المفضوحة.

ولربما قال قائل دفاعًا عن أردوغان: الرجل أفضل من غيره، ونراه، على الأقل، يندد ويشجب، وأن مسحته إسلامية، وهو بذلك يخدم الإسلام قدر استطاعته. نقول لهؤلاء: كفاكم استخفافًا بعقولكم، فأنتم لم تألفوا مواقف حكام المسلمين الحقيقية، وكيف تكون، فأصبحتم ترون أشباه الحكام أبطالًا!! انظروا في سياسة أردوغان التي يقودها داخليًا وخارجيًا، انظروا في أسس نظامه ومبادىء دولته التي تقوم عليها، وانظروا في علاقاته الدولية وعلى أي أسس تقوم... ولا تنظروا إلى معسول كلامه، وظاهر بعض أفعاله. إن أردوغان يمثل بلدًا وسياسة نظام، ويجب أن تحكموا عليه على هذا الأساس، فإن فعلتم، فستجدون الحقائق الصاعقة التالية عن تركيا، وستعلمون حينها أن أردوغان لاعب سياسي ماهر يضلِّل الأمة خدمةً لأميركا:

أولًا: إن حزب العدالة والتنمية التركي الذي يرأسه أردوغان حزب علماني بامتياز، يلبس عباءة الإسلام، والناظر في أدبيات حزبه (وعلى صفحته الإلكترونية) يصل إلى هذه الحقيقة بسهولة. فهو يصف نفسه بأنه «**يشكل الأرضية لوحدة وتكامل الجمهورية التركية؛ حيث العلمانية، والديمقراطية، ودولة القانون**»، وأنه حزب يعتبر «**مبادىء وإصلاحات، أتاتورك العظيم (هادم الخلافة) أهم وسيلة للارتقاء بالرأي العام التركي فوق مستوى الحضارة المعاصرة**» وأردوغان هذا لا يكاد يضيع فرصة إلا ويؤكد أن حزبه حزب علماني، بل وأنه حامي العلمانية في تركيا، ويقدم رسوم الطاعة والولاء لصنم عدو الله، مصطفى كمال، هادم الخلافة، لعنه الله. بل بلغ به الأمر أنه ألغى زيارة كانت مقررة في ٣١-٥-٢٠١٠م إلى الأرجنتين، لأن هذه الأخيرة قررت، في آخر لحظة، إلغاء حفل تدشين نصب تذكاري لوثن مصطفى كمال؟!!.

ثانيًا: على يد حزب العدالة والتنمية، فإن تركيا اليوم بلد لا يطبق الإسلام، وكل قوانينه وتشريعاته غربية بامتياز، وهو مرتع لتيارات الإفساد والتخريب، فالخمور مباحة، وأنشطة الدعارة والعهر مقنَّنة وميسَّرة، والربا منتشر، وكل شيء في أجهزة الدولة يماثل دول أوروبا!!. قال بن علي يلدريم (٢٠١٤م)، رفيق أردوغان ورئيس وزراء تركيا الأسبق مفتخرًا: «**كان هناك مصنعان للخمر في مدينة تكيرداغ قبل أن نحصل على السلطة، لكننا رفعنا العدد إلى ١٨ مصنعًا**»!! وأردوغان هذا، والذي وصفه القرضاوي بـ»السلطان»، يعلن بنفسه أنه «**من الضروري الاعتراف بالمثليين وحرياتهم** بعد اعترافه بهم رسميًا في ٢٠١٤م، وصدور أول عدد لمجلة لهم هناك!!.

ثالثًا: حزب العدالة والتنمية (الإسلامي) يعتبر حليفًا لأميركا في المنطقة، وينفذ

سياساتها. والإدارة الأميركية تصف تركيا، بقيادة حزب أردوغان، بالدولة الاستراتيجية. فقد صرح أوباما (٨-٧-٢٠١٠م) مدافعًا عن حكومة أردوغان «**إن تركيا دولة حليفة في حلف شمال الأطلسي (الناتو)**»، وطالب بإدخالها في الاتحاد الأوروبي، وحمَّل أوروبا مسؤولية اقترابها من العالم الإسلامي، إن هي استمرت في المماطلة في عدم انضمامها إليه. أما ترامب (١٣-١١-٢٠١٩م) فأكد أن تركيا «**تمثل حليفًا رائعًا لمنظمة حلف شمال الأطلسي**» مضيفًا (٣-١٢-٢٠١٩م) أن «**أميركا تتمتع بعلاقات كبيرة مع تركيا**». وكانت صحيفة يني شفق التركية (٣٠-١-٢٠٠٤م) قد ذكرت أن بوش الابن قرر جعل أردوغان العمود الفقري للمشروع الأميركي في المنطقة، بعد أن أصبح رئيسًا لوزراء تركيا في ٢٠٠٣م، وأنه طلب منه إرسال وعاظًا وأئمة أتراك لدول العالم لينشروا الإسلام «العلماني المعتدل» الذي يؤمن به أردوغان!!. أما ما يحصل ظاهريًا أن تركيا تخالف أميركا، كما بدا في قضية الصواريخ الروسية، وموضوع تدخل تركيا في سوريا، فلا يعدو تضليلًا إعلاميًا، وضغوطًا أميركية على التابع التركي، ولا يغيِّر من واقع أن تركيا في المشهد العام تسير في ركابها.

رابعًا: إن نظرة أميركا الحقيقية لحكومة أردوغان هي أنها تعتبرها نموذجًا يقتدى به من دول المنطقة، فقادة حزب العدالة والتنمية يعتقدون أنهم يستحقون أن يدخلوا في الاتحاد الأوروبي الصليبي، وأنهم ينتمون إليه، وهذا أقصى أمانيهم، على الرغم من أن الأوروبيين يتمنَّعون، ويضعون العراقيل أمامها؛ لأنهم يريدون لتركيا أن تقدم تنازلات أعظم وأكبر في الابتعاد عن هويتها (الإسلامية)، والتي هي في الأصل علمانية، في كل تشريعاتها وقوانينها، فهل من يرى نفسه أوروبيًا يمكن أن يخدم الإسلام، أو ينصره في شيء؟؟!!. ورحم الله زمان دولة الخلافة العثمانية، التي كانت تدك فيه أسوار فيينَّا، وتلاحق فيه القادة الأوروبيين في عقر دارهم. ومرة أخرى، هل يملك المتسول الذليل على أعتاب أوروبا أي سياسة ورؤية يمكن أن تخدم الأمة الإسلامية؟! إن هذا التهافت المخزي لحزب العدالة التركي (الإسلامي) على أوروبا أدّى إلى تشويه ومسخ الهوية الإسلامية لكل الأحزاب التي تسمي نفسها إسلامية، وهو أمر سيؤدي بالضرورة إلى وضع الأحزاب العلمانية والأحزاب الإسلامية، في نفس البوتقة من وجهة نظر الغرب، ما يؤدي إلى تمييع دور هكذا حركات، وسيقود فيما بعد إلى تفتيتها وتدميرها.

خامسًا: ومن جهة أخرى، فإن حكومة أردغان تولي شطرها نحو البلدان العربية والإسلامية، في محاولة للقيام بدور الزعامة لتلك البلدان. ومن أجل هذه الغاية، يحاول أردوغان الظهور بمظهر القائد القوي

والبراغماتي أمام الغرب، فهو من جانب يحاول استقطاب إيران، في محور إقليمي تركي إيراني يخدم أميركا كما يحصل في سوريا مثلًا، من أجل منع سقوط نظام بشار، وبتعاون وثيق مع الروس الذين يدكُّون سوريا ليل نهار. ومن جانب آخر، يبعث برسالة لأميركا أنه يمكن الاعتماد عليه للقيام بأعمال سياسية عسكرية في المنطقة، كتدخله في ليبيا في مساعدة واضحة لأميركا ضد الوجود الأوروبي هناك. ومن جانب ثالث يقوم أردوغان باستقطاب الجماعات الإسلامية (السنية) (المعتدلة) إلى تركيا، ليضبطها كما يحصل مع حماس غزة، والإخوان المسلمين في مصر بعد الثورة، وهو يفعل ذلك بإذن من أميركا، من أجل التأثير على دول المنطقة، ومن أجل رفع شعبيته في تركيا والمنطقة، على حد سواء.

سادسًا: وأما فيما يتعلق بالنقاشات التي تدور عن هوية حزب العدالة والتنمية العثمانية!! و(أجداده) العثمانيين، فأردوغان لا يترك مناسبة رسمية إلا وينفي صلته بماضي تركيا المجيد (دولة الخلافة) مؤكدًا على هويته الأتاتوركية العلمانية، فقد أكد أردوغان (كانون الثاني، ٢٠٠٩م) في كلمة له في جامعة جون هوبكينز الأميركية: «**إن حزبنا ليس حزبًا إسلاميًا أبدًا، وليس هناك تيار عثماني جديد داخل الجمهورية التركية**» أما المظهر الإسلامي الخارجي لأردغان وزوجته المحجبة، وقراءته للقرآن، وحرسه العثماني الشكل، فهو لا يعدو شكلًا دعائيًا للاستهلاك الشعبي، يساعده في كسب الغالبية من الأتراك المتدينين، من أجل ترويج سياسات حزبه التضليلية، والتي باتت في مهب الريح مؤخرًا، بعد أن بدأ رجال حزبه ينفضون عنه، ويشكِّلون أحزابًا أخرى، وبعد أن بدأ أردوغان يفقد زخمه في الشارع التركي، مع خسارته الأخيرة في مدن حزبه الرئيسية، كأنقرة واسطنبول، لصالح العلمانيين الصريحين هناك، ما يشير إلى وعي أكبر في تركيا تجاه (إسلامية) أردوغان!! وهذا أردوغان نفسه يخبرنا عن إمكانية عودة الخلافة في تركيا، في مقابلة متلفزة له مع تركي الدخيل على قناة العربية (١٧-٢-٢٠١٧م) فيؤكد أن «**تركيا لا تريد أن تصبح خلافة إطلاقًا**».

(انظر: https://www.youtube.com/watch?v=WC٦٣AtRv-E_)

وهكذا تكون (الخلافة) التي تلصق بأردوغان الواجهة التي من خلالها يمرِّر أردوغان سياسات أميركا في المنطقة، بعد أن يراه الناس (صوريًا) صلاح دين جديد، وعربي أكثر من العرب!!. إن أردوغان ليس إنه لا يريد فقط الخلافة، بل ويحارب عودتها، فأجهزته الأمنية المجرمة تلاحق من يعمل لإقامة الخلافة في تركيا وتزجُّ بهم في السجون، يساندها الأجهزة الإعلامية والكتَّاب والمثقفون العلمانيون. كما أنه لا يتورع عن ملاحقة

وقتل المسلمين الأكراد، بل ويلاحقهم داخل العراق، فهل هذا صنيع من يريد خلافة تجمع وتحمي المسلمين؟!. إن الخلافة العثمانية التي تلصق بأردوغان وينفيها قولًا وفعلًا، بسياساته العلمانية الصريحة في تركيا، يمكن أن يأتي يوم وتستخدم خدمة للغرب الكافر، فقيام خلافة حقيقية للمسلمين على منهاج النبوة، كما بشر ﷺ يمكن أن تجابَه بإعلان أردوغان عن خلافة مزيفة، تربك المسلمين وتضلِّلهم!!.

سابعًا: على يد أردوغان، فإن أبناء تركيا يُسخَّرون ويستخدمون لخدمة أعداء المسلمين، وهم بالآلاف اليوم في أفغانستان، إلى جانب القوات الأميركية، وهم كذلك في سوريا لمنع سقوط نظام بشار الوحشي أمام الثوار، بدل نصرتهم، جنبًا إلى جنب مع الروس المجرمين، وهم أيضًا في قطر والسودان وغيرها؟!. وعلى يد أردوغان، فإن تركيا (لمن لا يدري) مهد لإحدى أكبر القواعد العسكرية الأميركية في المنطقة (قاعدة إنجرليك) والتي تستعمل للتجسس على المسلمين، والفتك بهم في غير مكان، فأميركا تستعملها بحسب تقرير لمنظمة اتحاد علماء الولايات المتحدة الأميركية (٢٠٠٨م) لتخزين نحو ثلث سلاحها النووي المتوزع على مستوى أوروبا، وقدّرت عددها في القاعدة المذكورة بنحو ٩٠ صاروخًا، ناهيك عن سماح أردوغان لأميركا بنصب الدرع الصاروخي لحلف شمال الأطلسي على الأراضي التركية. فكيف تفسَّر مواقف أردوغان هذه؟؟!!. والجواب ببساطة: أردوغان وحزبه جزء من منظومة الغرب في الحرب على الإسلام، أما تهويشاته الإعلامية فلبسطاء المسلمين.

ثامنًا: ولعل من أكبر الأدلة على أن أردوغان لا يتحرك في مواقفه السياسية على أساس الإسلام، مثله مثل باقي حكام المسلمين العاجزين، موقفه من مسلمي الإيغور في غرب الصين، الذين يبادون حرفيًا على يد النظام الصيني، والعالم كله يرى ويسمع ويشهد بذلك. فقد مدح أردوغان سياسة الصين تجاههم، أثناء زيارته لها في ٢٠١٩م، بل إنه صرح أن المسلمين الإيغور «**يعيشون بسعادة هناك**» وأكد (٣-٧-٢٠١٩م) عن استعداده «**لتعزيز الثقة السياسية المتبادلة والتعاون الأمني مع الصين للتصدي للتطرف**» وهو بذلك يسلمهم للصين التي لا ترقب فيهم إلًّا ولا ذمة!!... نعم هذا هو البطل أردوغان يا مسلمين.

تاسعًا: نختم بأبرز الأفلام السياسية لأردوغان، وهو ما تعلق بـ(إسرائيل). ففي الظاهر يحرص أردوغان أن يطلق التصريحات النارية عن يهود وإجرامهم وسياستهم!! طبعًا دون أي فعل مادي ينصر أو يرفع الظلم عن أحد في فلسطين، أما واقع العلاقة بين البلدين فهي قوية جدًا، لا تؤثر فيها الملاسنات الأردوغانية. ومن أمثلة تلك العلاقة:

١. معدل التجارة البينية بين الدولة التركية

والكيان اليهودي قوية جدًا، فقد كانت تقدر (في ٢٠١٥م) بـ ٤ مليار و٣٧٠ مليون دولار، بحسب معهد الإحصاء التركي، وارتفعت إلى ٦ مليار دولار (في ٢٠١٩م). قال نتنياهو (٦-٢-٢٠٢٠م) ساخرًا من أردوغان وتصريحاته الساخنة أنه «**اعتاد أن ينعته بهتلر كل ٣ ساعات. والآن يفعلها كل ٦ ساعات، لكن نحمد الله أن التجارة (بين تركيا وإسرائيل) منتعشة**»! وأضاف (٦-٢-٢٠٢٠م) أن السياحة بين البلدين في أعلى مستوياتها، وأنه «**الإسرائيلي الوحيد الذي لا يسافر إلى تركيا**».

٢. أردوغان ويهود يعقدان باستمرار صفقات تسلح بمئات الملايين من الدولارات. مثال ذلك ما نقلته القناة العاشرة بالتلفزيون (الإسرائيلي) في ١٦-٢-٢٠١٠م، استنادًا إلى مصادر تركية أنه «**من المنتظر أن يتسلم الجيش التركي، في غضون الأسابيع القليلة القادمة، ست طائرات عسكرية بدون طيار، من إنتاج هيئة الصناعات الجوية (الإسرائيلية)، في صفقة تقدَّر قيمتها بنحو ٢٠٠ مليون دولار**». ومن أبرز الصفقات بين البلدين صفقة أبرمها أردوغان بـ ٥٠٠ مليون دولار قامت بموجبها (إسرائيل) بتطوير ٣٠ طائرة تركية فانتوم تابعة للسلاح الجوي التركي، وتحديث F - ٤ فانتوم تركية وطائرات F - ٥ بتكلفة ٩٠٠ مليون دولار، في تعاون عسكري أمني مكشوف.

٣. أردوغان تركيا يجري مع يهود والأميركان مناورات عسكرية مستمرة، تحت مسميات «**مناورات نسر الأناضول**» و«**مناورات عروس البحر الآمنة**» تؤكد التحالف الاستراتيجي الدائم بينهما.

٤. أعطت حكومة أردوغان أراضي على الحدود السورية التركية لشركة (إسرائيلية) لتنظيفها من الألغام، ما يدل على شراكة استراتيجية بين البلدين (صحيفة راديكال التركية، ٢٤-٥-٢٠٠٩م).

٥. وأخيرًا وعلى الرغم من مجازر يهود التي لا تنتهي في فلسطين، فإن أردوغان لا يفعل شيئًا سوى التنديد، دون أن نسمعه يقطع علاقة أو حتى يسحب سفيرًا، وحتى إنه أكد بعد مجزرة أسطول الحرية التي قتل فيها تسعة أتراك مدنيين على يد يهود (٣١-٥-٢٠١٠م) أن «**مواصلة العلاقات مع اليهود أولى من قطعها**» ولم ينسَ في عز موقفه الغاضب أن يذكر بصداقته بيهود حين قال: «**لقد كنا دائمًا على صداقة وتعاون تاريخيين مع شعب إسرائيل والموسويين. من هنا أريد أن أخاطب شعب إسرائيل: نحن كنا دائمًا في وجه اللاسامية، لقد رفعنا صوتنا عاليًا في وجه الظلم الذي وقع على الموسويين، ساهمنا في أن يعيش شعب إسرائيل في سلام، وأمن في الشرق الأوسط.**» فأين ذهبت كل التصريحات النارية يا أردوغان من أن تركيا «**لن تسكت ولن تقف مكتوفة الأيدي**»؟ أم أنه التهويش

الإعلامي والاستعراضات الكلامية الفارغة؟؟!!... إن أردوغان ليس لديه مشكلة مع (إسرائيل)، وهو مع حل الدولتين الأميركي المزعوم، وقد حرَّض حماس علنًا على الاعتراف بـ (إسرائيل)!!.

الخلاصة: إن الحقائق السياسية والاقتصادية التي ذكرناها آنفًا عن تركيا أردوغان تظهر بجلاء أن سياسته لا تختلف عن سياسات القيادات المكشوفة في المنطقة، اللهم إلا في صوتها العالي وجعجتها الفارغة، وتخفِّيه بشعارات مضلِّلة زائفة تخدم مصالح أميركا المستعمرة في المنطقة. لقد تحمَّس كثير من أبناء الأمة لأردوغان وتأملوا منه الكثير، على أمل أن يعود لأيام العز القديمة، وأن يشكل قيادة للأمة الإسلامية، ظنًا منهم أنه قائد غيور؛ ولكنه، للأسف، طعن الأمة في ظهرها، كما فعل كل حكام المسلمين، ومال نحو ما يسمى الإسلام العلماني المعتدل، مشروع الغرب ونموذجه للمسلمين!!.

إن أردوغان يتبنى الإسلاموية، مشروع الغرب، ويؤمن بها ويطبقها في بلاده... يؤمن أن الإسلام السياسي مشروع انتهى، بل ويحاربه، فلا دولة خلافة في قاموسه تطبق أنظمة الإسلام وتنصر الدين وتحمل الإسلام للعالم كما فعل أجداده؟؟ بل دولة علمانية في كل تشريعاتها وقوانينها ومؤسساتها، تحاكي دول الغرب الرأسمالي الديمقراطي، ودين فردي يحمله الأفراد إن شاؤوا كسائر الأديان، في عباداتهم وطقوسهم، دين يرضي الغرب بالتأكيد، ويديم سياساته الاستعمارية في بلاد المسلمين، دين ينكر وينفي سياسية الإسلام في المجتمع والدولة، ويقصيه عن الحكم... إن عودة الخلافة الجامعة الواجبة، أعظم أمر يرعب الغرب الكافر، وهو التهديد الوحيد لوجوده اليوم!!

لكننا نقول ما يقوله الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾.

نسأل الله تعالى أن يتبصر المسلمون أمرهم، وأن يعوا التضليل الذي يمارَس عليهم في الدول التي يحيَون فيها، وأن يجعلهم هذا ينفضون أيديهم من كل الأنظمة المكشوف حالها، والمتنكرة إلى الآن، وأن يعملوا للخلاص الكبير بتغييرها، والعيش في دوحة دولتهم الجامعة، دولة الخلافة، التي تحميهم، وترفعهم، وتعيدهم سادة للدنيا من جديد، إنه سميع مجيب. ■

دَارَت بِنا دُوَلُ الأَيَّامِ يا رَجَبُ

أبو حنيفة - الأرض المباركة فلسطين

دَارَت بِنا دُوَلُ الأَيَّامِ يا رَجَبُ ... أَنتَ المُعَظَّمُ فِيكَ الأَمرُ وَالطَّلَبُ.
أَسمِع أَنينَكَ يا آذارُ مُنفَجِرًا ... وَاحَرَّ قَلباهُ مِمَّا جَابَهُ العَرَبُ!
والتُّرْكُ تَغرَقُ في أَوحالِ فِتنَتِهِ ... يا جُرمَ مَن وَهبَ الكُفَّارَ ما يَهِبُ!
فالليلُ أسفَرَ عِن عِلمانِ دَولَتِهِ ... وَالعُربُ أَسكَرَها الأَنسابُ والطَّرَبُ.
ذَاكَ الحُسَينُ رَصاصَ الغَدرِ أَنفَذَهُ ... غَدرًا تَفَرقَعَ أَوطانًا لَها نُصُبُ.
وَابنُ اللئِيمَةِ خِبٌّ في جَرِيمَتِهِ ... مِنَ السِّفاحِ زَنِيمٌ ما لَهُ نَسَبُ.
قَد قَوَّضُوا صَرحَ عِزٍّ ظَلَّ مُرتَفِعًا ... قَرنًا قُرونًا وَأَلفًا ما لَها حِسَبُ.
واليومَ تَحمِلُها الأَيَّامُ في رَجَبٍ ... حَملًا يُؤَرِّقُ مَن بِالعِزِّ يَحتَسِبُ.
يا أُمَّةً وَهَنَت هَانَت وَما وَثَبَت ... قَرنًا مِنَ الرِّمَمِ الأَجداثِ تُرتَكَبُ.
فَالقُدسُ هائِمَةٌ والشَّامُ تَحتَرِقُ ... والرافِدَينِ بِلادٌ هَدَّها النَّصَبُ.
والمُسلِمونَ بِأَرضِ الصِّينِ ما لَهُمُ ... مِن ناصِرٍ رَجُلٍ يَنتابُهُ الغَضَبُ.
والمُؤمِنونَ بِأَرضِ الهِندِ يا وَجَعِي ... سَلِ المَساجِدَ كَيفَ النَّارُ تَلتَهِبُ؟
ماذا أَعُدُّ وهَل لِلعَدِّ من حَدٍّ ... جُرحٌ تَفَجَّرَ إِيلامًا فَلا نَضَبُ.
ماذا أُجيبُكِ يا أُمَّاهُ في حَلَبٍ ... كَيفَ السَّبيلُ لِساني شَلَّهُ العَتَبُ.
والقُدسُ تَصفَعُني في كُلِّ نائِبَةٍ ... هَذِي يَهودُ بَنو الخِنزيرِ تَنقَلِبُ.
بَنو قُرَيظَةَ واسَعداهُ مِن أَوسٍ ... وَالخَزرَجِيُّ أَميرٌ ثَوبُهُ الغَضَبُ.
نَادَت عَلَيَّ مِنَ الإِيغورِ مُسلِمَةٌ ... يا ابنَ العقِيدَةِ إِنِّي مِنكَ مُنتَسِبُ.
أَم فَرَّقتنا حُدودٌ صاغَها أَشِرٌ ... كَلبٌ عَقُورٌ وَنَبَّاحٌ لَهُ ذَنَبُ.
هِيَ المُصيبَةُ يا أُختاهُ واحِدَةٌ ... في كُلِّ مِصرٍ مِنَ الأَمصارِ يَنتَحِبُ.
لَكِنَّ نَفسِي تَتوقُ اليومَ مُرتَقَبًا ... نَصرًا يُواطِئُ يَومَ الفَتحِ مُرتَقَبُ.
هِيَ الخِلافَةُ مَهما ضَاقَتِ السُّبُلُ ... هِيَ الوَحِيدَةُ أُمُّ الحَربِ تَقتَرِبُ.
هِيَ الأَبِيَّةُ حِصنُ الدِّينِ سامِقَةٌ ... هِيَ الأَمِينَةُ كَهفٌ ليسَ يُحتَجَبُ.
وَاليَومَ يَنتَفِضُ التَّحريرُ يُعلِنُها ... يَومُ البَلاغِ حَقِيقٌ جَدَّهُ الطَّلَبُ.
فانفُضْ غُبارَكَ لا تَركَنْ لِزائِلَةٍ ... وَارْأَب بِنَفسِكَ أَن تَهوِي وَتنتَكِبُ.
حِزبٌ تَحَرَّرَ بِالأَفكارِ مُرتقِيًا ... قَادَ المَسِيرَةَ لا تُثنِيهِمُ الخُطُبُ.
وَاللَّهِ سَوفَ نَعُدُّ السَّيرَ في ثِقَةٍ ... نَبنِي خِلافَةَ رُشدٍ وَاجِبًا يَجِبُ.
وَاللَّهِ سَوفَ نَرُدُّ القُدسَ عاصِمَةً ... تَهوِي إِليهَا جُنودُ اللَّهِ وَالكُتُبُ.
تِلكَ النُّبوءَةُ وَعدُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ... وَالنَّصرُ قابَ مِنَ القَوسَينِ يَقتَرِبُ.
فَيا عَزيزًا تَوَلَّى أَمرَ صَفوَتِهِ ... مِنكَ الثَّوابُ وَمِنَّا السُّؤْلُ وَالطَّلَبُ.
وَقَد أَوَينا لِرُكنِ اللَّهِ مُلتَجَأً ... إِنَّا بِرُكنِكَ يا اللَّهُ نَحتَجِبُ.■

المحور السادس:

كورونا وتعاليم الإسلام

- **فيـــروس كورونـــا... المســـلمون وشـــعوب العالـــم يفتقـــدون لتعاليـــم الإســـلام لإنقاذهـــم منـــه.**
- **أجوبة أسئلة واستفسارات حول مرض كورونا من حزب التحرير.**
- **شيء من أخبار طاعون عمواس.**

بسم الله الرحمن الرحيم

فيروس كورونا... المسلمون وشعوب العالم يفتقدون لتعاليم الإسلام لإنقاذهم منه

تفشى فيروس كورونا عالميًا وفي بلاد المسلمين، ومن الطبيعي أن تتولَّى الدول بنفسها عملية مكافحته واتخاذ الإجراءات اللازمة الملزمة للأفراد. أما بالنسبة إلى ما يجب أن يتبع شرعًا وكيفية التعامل مع هذا الوباء من ناحية القيام بالالتزامات العبادية من صلاة وصوم وحج وعمرة في فترة انتشاره... فهذه يجب أن تترك للأحكام الشرعية وليس للدول القائمة في بلاد المسلمين والتي تفصل الدين عن الدولة. والإجراء الصحيح الذي كان على هذه الأنظمة العلمانية أن تتخذه أن تضع وزارات الشؤون الدينية أو دوائر الإفتاء بواقع خطر هذا الفيروس لتقوم هي، وليس الدولة، بتحديد المطلوب التصرف به شرعًا. وهذه المؤسسات عليها بالتالي بعد فهم الواقع من الدولة أن تتبنى الإجراءات الواجب القيام بها، وتلك التي يجب تجنبها؛ وذلك بالرجوع إلى النصوص الشرعية المتعلقة بها والأحكام الشرعية المستنبطة من المجتهدين وتطبيقاتها عبر التاريخ الإسلامي. هذه المؤسسات الدينية، (والتي لا نقرُّ بوجودها كوزارات ودوائر ومؤسسات من ضمن النظام العلماني القائم في بلاد المسلمين) عليها هي أن تحدد طبيعة هذه الإجراءات، من حيث إقفال المساجد أو عدم إقفالها، ومن حيث القيام بصلوات الجماعة في المساجد أو منعها أومنع صلاة الجمعة، أو إقفال الحرم أو منع العمرة... ومن ثَمَّ تقترح البدائل المختلفة وتطلع الدولة عليها لاعتمادها كونها هي التي ستشرف على تنفيذها؛ وبهذا تكون هذه المؤسسات قد قامت بما عليها في هذه الجائحة، والدولة قد أشرفت على تنفيذه وليس العكس.

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، فالدول التي تحكم المسلمين، والقائمون على مصالح المسلمين الدينية المعيَّنون من قبل هؤلاء الحكام لم يلتفت منهم أحد إلى ما يأمر به الإسلام، بل كانت إجراءاتهم هي نفس إجراءات دول الغرب تجاه شعوبهم، فأصبح الإعلام واحدًا في العالم، فأقفلت المساجد والكنائس على السواء، وغاب العلماء عن المشهد، مع أن بلاد المسلمين والحمد لله لم يصبها ما أصاب دول أوروبا وأميركا على نفس الدرجة، وبالتالي لم يكن من داعٍ لاتخاذ نفس إجراءات تلك الدول.

بيد أن الغرب هذا بدوله وشعوبه وإعلامه وعى على أهمية تعاليم الإسلام في هذا المرض وإجراءاته وراح يتكلم بها ويسأل عنها بينما في بلاد المسلمين فإن الإمعات من الحكام وتابعيهم من العلماء الموظفين اتخذوا قراراتهم خارج ما يأمر به الشرع، وهي قرارات لم تفرق بين مناطق لم يصلها الوباء مطلقًا، ومناطق قد وصلها بشكل متفاوت، ومن رحمة الله أن بلاد المسلمين لم يصلها الوباء بشكل مقلق، فأخذ الحكام القرار العام بإقفال المساجد ومنع صلاة الجمعة، ووقف المشاعر بشكل عام ومفتوح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من غير تفريق، مع تهويل من المخالفة... وكم كان المنظر مؤلمًا أن نرى أن حكام المسلمين يتحكمون ويتبعهم الموظفون الدينيون الرسميون كالمفتين وهيئات كبار العلماء ودوائر الأوقاف في هذه المسألة،

ويتصرفون كعادتهم كما تريد الدول لا كما يريد الله سبحانه وتعالى، وكم كان مؤلمًا أن نرى الحرم المكي والحرم المدني خاليين بهذا الشكل. وكم هو محزن أن نسمع بإيقاف العمرة وأن هناك تفكيرًا بإيقاف موسم الحج.حتى وصل الأمر إلى أن يتم تداول الكلام عن الإفتاء بإيقاف الصوم في رمضان بحجة أنه يضعف المناعة ويجعل الحلق جافًا... صحيح إن الدول هي التي تقود عملية مواجهة الانتشار، وهذا ما حصل في الدولة الإسلامية من قبل، ولكن الفرق بين السابق واللاحق كالفرق بين السماء والأرض. فالدولة الإسلامية تتصرف لأنها هي الراعي الحقيقي للأمة الحريصة عليها، وهي التي تقود جوانب الحياة كلها وتشرف عليها من غير فصل... تجاه هذه الإجراءات، فقد كان المسلمون منزعجين من هذه التصرفات، وبدا لهم وكأن هناك من لا يريد بالمسلمين خيرًا ويريد هذا الإقفال وهذا التعطيل للشعائر بشكل جماعي وعن قصد.

نعم، إنه في الوقت الذي نجد فيه أن الغرب، كأفراد وكحالة عامة، يصحو على الإسلام وتعاليمه العابرة للزمان والمكان، فينتبه إلى أقوال الرسول ﷺ في مرض الطاعون ويتقيد بها وتفتح نفوس الكثيرين منهم للدخول في الإسلام، نرى أن الدوائر الدينية الرسمية غائبة مغيبة لا تصدر تعميمًا ولا تقوم بتقديم دروس جماعية ولو عبر الإنترنت أو التلفزيونات (عن بعد) تضع فيها المسلمين في أجواء إيمانية حارة، ويتم الالتجاء فيها إلى الله في دعاء مسموع، ولا تقدم البرامج التوعوية على حسن التصرف تجاه ما يحدث... أو يقدمون الفتاوى الشرعية لمعالجة مختلف الحالات التي تقع بين المسلمين... بل هي لم تفعل من ذلك شيئًا؛ فقبع المشايخ في بيوتهم، وتركوا للإعلام المرتهن المجترِّ أن يأخذ كل وقتهم...

إن هذا الظرف الذي يمر به المسلمون اليوم هو من أكثر الظروف خصوصية؛ إذ لم يمر عليهم طيلة حياتهم مثل هذا الوباء، وهو ظرف أكثر ما يكون الناس فيه بحاجة إلى ربهم. وهم يؤمنون أنه ابتلاء من الله، ولا يرفعه إلا الله، والمطلوب أن يلتجئوا إليه فرادى ومجتمعين، مع أخذهم بالأسباب المادية... إن هذا الوباء عام ويحتاج إلى أجواء إيمانية عامة، وإلى الدعاء الجماعي العام، وإلى التضرع الجماعي العام، وإلى التوبة والاستغفار الجماعي العام... بينما الإجراءات المتخذة منعت وجود الأجواء الإيمانية العامة للتضرع والدعاء والاستغفار واللجوء إلى الله ليرفع أو يمنع عنهم بلاء هذا الوباء.

إن المسلمين بعامة، ومعهم شعوب العالم بعامة يفتقدون لتعاليم الإسلام لإنقاذهم مما هم فيه. هذا ما يجعل المسلمين يشعرون بوجوب إقامة دولة إسلامية لترعى شؤونهم بالإسلام. نعم، لو كان للمسلمين دولة إسلامية لأشرفت على الأمر من أوله إلى آخره؛ كون خليفة المسلمين هو صاحب الأمر الراعي لكل شؤون المسلمين. وهذا ما حدث في أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طاعون عمواس، فقد كان نعم الراعي، والمسلمون كانوا نعم المؤمنون في تقبل المصاب.

اللهم عجِّل لنا فرجك، واكشف عنا هذا الوباء، وأرحنا من بلاء هؤلاء الحكام بإقامة دولة خلافة راشدة يرعى فيها شؤون المسلمين خليفةٌ راشدٌ مثل الخليفة عمر بن الخطاب... اللهم آمين.■

في أجواء الفراغ الذي خلفه غياب علماء المسلمين وهيئاتهم الدينية والمفتين... وعدم استنباطهم للأحكام الشرعية أو إصدارهم للفتاوى المتعلقة بانتشار وباء كورونا، وما الواجب الشرعي الذي على المسلمين أن يفعلوه... في أجواء هذا الفراغ، أصدر أمير حزب التحرير حفظه الله جواب سؤال خاص بهذا الوباء، وبسبب تعطش المسلمين لمعرفة أحكام الشرع في كثير من المسائل المتعلقة بانتشاره، وما المتوجب عليهم شرعًا، انهالت على الحزب تساؤلات ملحة تتعلق بصلاة الجمعة والجماعات وغسل الميت المصاب... وهذه التساؤلات تكشف عن عظيم حرص المسلمين لمعرفة أحكام دين الله في أحلك الأوضاع. وهذا بشير على خيرية هذه الأمة وهذه الدعوة حتى آخر الزمان... وتعميمًا للفائدة، ننقل إليكم، في مجلة الوعي، أجوبة أمير حزب التحرير حفظه الله ليطلع عليها المسلمون، وخاصة أنها تجيب عن تساؤلات تهمهم في دينهم، وتسد ثغرة لديهم. وإليكم ما ورد فيها:

(أجوبة الاستفسارات التي وردت حول جواب السؤال عن مرض كورونا:

إلى أصحاب التساؤلات حول **جواب السؤال عن مرض كورونا**... هذه أجوبة تساؤلاتكم:

١- بالنسبة للفرق بين الوباء والطاعون أو بين الكورونا والطاعون، فلا فرق من حيث العدوى، فالطاعون والكورونا مرضان فيهما إمكانية العدوى كما خلقهما الله القوي العزيز، بغض النظر عن كون المرض يُنقل بالبكتيريا أو الفيروس، فمن حيث إمكانية العدوى فهي موجودة؛ فلذلك لا يختلف الحكم من حيث إمكانية العدوى... وهو ما سُلط الجواب عليه.

٢- بالنسبة إلى التساؤل حول ما جاء في الجواب من عدم تصنيع البشر للكورونا المرض الحالي، والقول بأن هذا يعتمد على تقارير غربية فلا يجب أن يُركن إليها... فليس هذا الأمر دقيقًا، لأن النواحي العلمية يمكن أخذها من أي جهة إذا حصلت الطمأنينة برجحان صحتها؛ ولذلك لا شيء في الاعتماد على تقارير غربية حول عدم تصنيع البشر للكورونا التي نقلت المرض، بل هي موجودة بصورة طبيعية دون تصنيعها من البشر كما ورد في الجواب **حيث رجحنا الوجود الطبيعي على القول بأن البشر صنعوها لأهداف لديهم**... خاصة وأن المرض منتشر في الدول المتهمة بذلك مثل الصين وأميركا...

وقد ذكرنا في جواب السؤال ما يلي: [-وهكذا اندلعت حرب كلامية بين أميركا

والصين بسبب تفشي الفيروس التاجي Covid١٩ (SARS-CoV٢)... وكل من الدولتين تكيل التهم للأخرى بأنها هي العامل المباشر في انتشار هذا الداء، **ومع أن كلا النظامين المطبقين في الصين والولايات المتحدة لا يُستبعد عنهما أن يكونا وراء نشره،** إلا أنه بعد البحث يترجح عدم وجود دليل ملموس على أن الولايات المتحدة أو الصين، هي من نقلت الفيروس أو صنَّعته ثم شرعت في نقله إلى دول أخرى...] وهذا مفصَّل في جواب السؤال، وهو منشور في الصفحة ويمكن الرجوع إليه.

٣- إن صلاة الجمعة تكون في المسجد وبعض الفقهاء يجيز كونها في الفضاء العام، أي في مكان عام لا يمُنع المصلي من دخوله، وأما في المكان الخاص «البيوت» فالأرجح أن لا تقام الجمعة ولا تصح، وإن لم يكن المسجد أو الفضاء ميسورًا فتؤدى في البيوت ظهرًا أربع ركعات، وتأثم الدولة إن منعت صلاتها في المساجد أو في الفضاء العام؛ وذلك لأن النصوص تفيد هذا الأمر، ويفهم هذا من قوله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فيسعى المسلم للصلاة دون أن يُمنع ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ فالسعي لها فرض؛ لأنه اقترن بترك المباح... أي لا تكون الصلاة في مكان خاص كالبيوت، حيث جواز المنع... ولهذا ورد في الجواب أن إقفال الحكام المساجد ومنع الصلاة فيها هو أمر لا يجوز، وفيه إثم كبير لهؤلاء الحكام. **وعليه فإذا منع الحكام أداء صلاة الجمعة في المسجد، ولم يكن هناك مكان متاح للصلاة إلا البيوت، فتصلى في البيت ظهرًا أربع ركعات، وتأثم الدولة التي تقفل المساجد إثمًا كبيرًا كما ذكرنا في الجواب.**

٤- أما السؤال: (إذن تسقط صلاة الجمعة والجماعة اليوم بسبب الخوف من بطش الحكام كما فهمت والله أعلم)... إن هذا يحتاج إلى تفصيل، فقد جاء في جوابنا: (ولا تجب على الخائف لما روي عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى... فإن الخوف كما جاء في المغني لابن قدامة ٤٥١/١: [(٨٨١) فَصْلٌ: وَيُعْذَرُ فِي تَرْكِهِمَا الْخَائِفُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْعُذْرُ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**» وَالْخَوْفُ، ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ؛ خَوْفٌ عَلَى النَّفْسِ، وَخَوْفٌ عَلَى الْمَالِ، وَخَوْفٌ عَلَى الْأَهْلِ. فَالْأَوَّلُ، أَنْ يَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ سُلْطَانًا يَأْخُذُهُ أَوْ عَدُوًّا... ونحو ذلك، مِمَّا يُؤْذِيهِ فِي نَفْسِهِ...) وكذلك جاء في (المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي): (... ومنها أن يخاف ضررًا في نفسه أو ماله أو مرضًا يشقُّ

معه القصد. والدليل عليه ما روى ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**»...) أي يعذر المسلم إذا كان مُلاحَقًا ظلمًا بشخصه من سلطان ظالم، فإذا تيقَّن أو غلب على ظنه أن أعوان السلطان في الجامع ينتظرون قدومه للقبض عليه وإلحاق الأذى به، فهو معذور من أداء الجمعة في هذا المسجد وعليه أن يبحث عن جمعة في غيره، فإن تعذَّر بعد بذل الوسع فيصلي في مكان خاص الظهر أربعًا... فإن كان السائل قد فهم من جوابنا هذا الفهم فهو صحيح، والله أعلم وأحكم.

٥- الحديث «**لَا عَدْوَى...**» أخرجه البخاري، فهناك من يفسره بنفي العدوى... ولكن الأرجح أنه خبر في معنى الطلب، فإن كان المسلم مريضًا بمرض معدٍ أي فيه إمكانية العدوى كما خلقه الله سبحانه، فإن المسلم في هذه الحالة معذور عن الذهاب لصلاة الجمعة والجماعة خشية أن يعدي غيره من المصلين... وهو كذلك من الأعذار كما جاء في الحديث السابق «**الْعُذْرُ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ**».

٦- حديث «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**» أخرجه البخاري، فهو بالنسبة للمسافر أو المريض أي المعذور عن صلاة الجماعة أو الجمعة، فهذا يصلي حسب ما يوجبه الشرع عليه، ويكون له أجر بإذن الله كما لو صلى صلاة المقيم أو الصحيح، ولذلك لا تنطبق هنا على صحيح الجسم أو المقيم الذي لا يذهب لصلاة الجمعة دون عذر.

٧- أما الاعتراض على قولنا أقل العدد في صلاة الجمعة ثلاثة وقوله عند الشافعي أربعون... فهذا بحث آخر ويضاف إليه أنها عند المالكية اثنا عشر... فليس هنا تعارض، بل الموضوع متعلق بعدم غلق المساجد ليصلي فيها المسلم الجمعة والجماعة بالعدد الشرعي؛ علمًا أن هناك رأيًا فقهيًا صحيحًا أن الثلاثة يصلون الجمعة كما ذكرنا في الجواب.

٨- أما موضوع الأخذ بالأسباب فهو صحيح ولكن دون مخالفة للشرع، والأخذ بالأسباب هنا أن المريض لا يذهب لصلاة الجمعة والأصحاء يذهبون... فقد ذكرنا في الجواب ما يكفي لبيان عدم قفل المساجد ليتمكن الأصحاء من الصلاة، وتُتخذ الإجراءات لعدم حضور المرضى بمرض مُعدٍ الصلاة، وهو بيِّن واضح... ولا يقال إن الأصحاء قد يكونون مرضى بالكورونا ولكن الأعراض غير ظاهرة، وإذن يمنع الجميع من المساجد، أي يمنع سكان الكرة الأرضية من المساجد...! فهذا كلام لا تقوم به حجة ولا حتى غلبة ظن!! بل المريض مرضًا معديًا يقينًا يمنع، ويلحق به من تتوفر فيه هذه بغلبة الظن، ويصلي الآخرون...

٩- أما قول السائل إن فيروس كورونا لا

عمود فقري له، وكأنه يقصد مثل الإنسان، فنعم هو ليس كذلك... ولكن يبدو أن ترابط النتوءات في هذا المخلوق جعل المصدر الإنجليزي يطلق عليه (backbone) ومعناها الطبي بالعربية (العمود الفقري) لشبه هذا الترابط بترابط الفقرات في العمود الفقري عند الإنسان... وقد أبقيناها هكذا... ولم نكن نظن أنها ستكون موضعًا للتساؤل!

١٠- بالنسبة لتغسيل الميت... فالحكم الشرعي هو كما يلي:

أ- الراجح أن وجوب تغسيل الميت المسلم هو على الكفاية... ومن الأدلة على ذلك:

- يقول ﷺ في المحرم الذي وقصته ناقته: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ**» أخرجه البخاري عن ابن عباس. ويقول النبي ﷺ لمن غسَّلن ابنته: «**اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا**» أخرجه مسلم عن أم عطية.

- وواضح من الحديثين أن من قام بالغسل هم عدد من المسلمين فيهم الكفاية، وأن الرسول ﷺ اكتفى بذلك... ثم إن الرسول ﷺ داوم على هذا الحكم في كل ميت من المسلمين في حياته ﷺ، ولم يستثنِ من تغسيل الميت إلا الشهيد في المعركة كما جاء في شهداء بدر وأحد... أي أن تغسيل الميت فرض على الكفاية.

ب- وقد أخذ بهذا كثير من الفقهاء:

- جاء في المبسوط للسرخسي (اعْلَمْ بِأَنَّ غُسْلَ الْمَيِّتِ وَاجِبٌ وَهُوَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتَّةُ حُقُوقٍ**» وَفِي جُمْلَتِهِ أَنْ يُغَسِّلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ وَلَكِنْ إذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ).

- وقال الإمام الشافعي في الأم: (حق على الناس غسل الميت والصلاة عليه ودفنه «وهذا» لا يسع عامتهم، وإذا قام بذلك منهم من فيه كفاية أجزأ إن شاء الله تعالى).

- وجاء في الشرح الكبير لابن قدامة: [(فصل في غسل الميت) (مسألة) (غسل الميت ودفنه وتكفينه والصلاة عليه فرض كفاية) لأن النبي ﷺ قال في الذي وقصته راحلته «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ**» متفق عليه].

ج- إذا تعذر تغسيل الميت لسبب من الأسباب كانعدام الماء أو يكون الميت قد احترق جسده، ولو غُسِّل بالماء لتفسخ... أو توفي بمرض معدٍ كالجذام والطاعون والكورونا وغيرها من الأمراض بحيث لو غُسِّل لربما انتقل المرض إلى مُغَسِّلِهِ... فإننا لا نريد التبني في ذلك بل يقلد المسلم الرأي الفقهي الراجح الذي يطمئن به، وأنقل لكم بعض الآراء الشرعية عند الفقهاء:

- **فالحنفية** يرَون أن من تعذَّر غسله بالماء، إن كان بسبب انعدام الماء فإنه يُيَمَّم بالتراب، كما نص على ذلك في العناية: (٢٦١/١٦) فقال:

(مَنْ تَعَذَّرَ غُسْلُهُ؛ لِعَدَمِ مَا يُغْسَلُ بِهِ فَيُيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ)... وأما إن كان تعذر غسله بسبب تعذُّر مسِّه، فإنه يصبُّ عليه الماء صبًّا، كما قال ذلك في مراقي الفلاح (٢٢٤): (والمنتفِخ الذي تعذر مسُّه يُصبُّ عليه الماءُ)...

- ويرى المالكية أن من تعذر غسله بالماء لانعدامه يُمِّم... وإن كان التعذر بسبب قروح في جسده أو حروق أو جَرَبٍ أو جُدريٍّ؛ بحيث لو غُسِّل بالماء أدى إلى تزلعه وتفسخه، فإنه يصب عليه الماءُ صبًّا بالقدر الذي يحفظه من التفسخ والتزلع. فإن تَعذر صَبُّ الماء عليه يُمِّمَ... كما جاء في الشرح الكبير للشيخ أحمد الدردير على مختصر خليل...

- **أما الشافعية** فيرون أن تعذر غسل الميت بأي سبب من الأسباب؛ كفقد الماء أو خشية اهتراء جسد من احترق، فإن الميت لا يغسل بل ييمَّم. بل إنهم نصوا على أنه إذا خيف على الغاسل من غسل الميت ضرر فإنه يُيَمَّم وجوبًا. قال النووي رحمه الله في المجموع: (إذَا تَعَذَّرَ غُسْلُ الْمَيِّتِ لِفَقْدِ الْمَاءِ أَوْ احْتَرَقَ بِحَيْثُ لَوْ غُسِّلَ لَتَهَرَّى لَمْ يُغَسَّلْ بَلْ يُيَمَّمُ، وَهَذَا التَّيَمُّمُ وَاجِبٌ لِأَنَّهُ تَطْهِيرٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِإِزَالَةِ نَجَاسَةٍ؛ فَوَجَبَ الِانْتِقَالُ فِيهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ الماء إلى التيمم كغسل الجنابة وَلَوْ كَانَ مَلْدُوغًا بِحَيْثُ لَوْ غُسِّلَ لَتَهَرَّى أَوْ خِيفَ عَلَى الْغَاسِلِ يُمِّمَ...)

- **أما الحنابلةُ** فلهم روايتان الأولى: (عند تعذر غسل الميت مع الدَّلك لمانع صُبَّ عليه الماء صَبًّا من غير دَلْكٍ، وإلا انتقل إلى التَّيمم...)

وفي الرواية الأخرى (أن من تعذر غسله فإنه لا ييمم ويصلى عليه من غير غسل ولا تيمم، بناء على أن المقصود من الغسل هو التنظيف، وهو لا يتحقق بالتيمم).

- وقال الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي في شرح عمدة الفقه: (ومن به مرض معدٍ يضر، هذا بالنسبة للضرر على الميت، وقد يضر بالحي المغسِّل، كأن يكون به مرض معدٍ يعني بالاستقراء وشهادة أهل الخبرة أنه لو تولَّى أحد تغسيله يستضر فحينئذ ييممّ...).

وكما ترى فهنا رأيان: إذا تعذر تغسيل الميت يُيَمم ويُصلى عليه ويُدفن... أو إذا تعذر تغسيل الميت فلا يُيمم بل يُصلى عليه ويُدفن... وكما قلنا في بداية الجواب أن على المسلم أن يقلد الرأي الذي يطمئن بصحته.

١١- أما أننا لا نتبنى في العقائد والعبادات فهذا صحيح إلا في العقيدة الأساسية والعبادات المتعلقة بوحدة الأمة مثل الصيام والعيد عند رؤية الهلال في أي بلد، وكذلك هنا بالنسبة لغلق المساجد فالواجب أن تبقى مفتوحة في الأوقات المطلوبة كما بينَّا في الجواب. ■

١٨ شعبان ١٤٤١هـ

١١ نيسان/أبريل ٢٠٢٠م)

بسم الله الرحمن الرحيم

شيء من أخبار طاعون عمواس

جاء في (البداية والنهاية-الجزء السابع) لابن كثير، شيء من أخبار طاعون عمواس الذي توفي فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشراف الصحابة وغيرهم.

أورده ابن جرير في هذه السنة، قال محمد بن إسحاق: عن شعبة، عن المختار بن عبد الله البجلي، عن طارق بن شهاب البجلي قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدث عنده، فلما جلسنا قال: لا تحفوا، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرتفع هذا البلاء، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى: من ذلك أن يَظنَّ من خرج أنه لو قام مات، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزَّه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجرَّاح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: «أن سلام عليك، أما بعد، فإنه قد عرضت لي إليك حاجة، أريد أن أشافهك بها، فعزمتُ عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إليَّ»

قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، فقال: «يغفر الله لأمير المؤمنين» ثم كتب إليه: «يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إليَّ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيَّ وفيهم أمره وقضاءه، فخلِّني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي».

فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: «لا، وكأن قد».

قال: ثم كتب إليه: «سلام عليك، أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضًا عميقة، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة».

قال أبو موسى: فلما أتاه كتابه دعاني. فقال: «يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلًا حتى أتبعك بهم» فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت إليه وقلت: والله لقد كان في أهلي حدث. فقال: «لعل صاحبتك قد أصيبت؟» قلت: نعم. فأمر ببعير فرحل له، فلما وضع رجله في غرزه طعن. فقال: «واللهِ، لقد أصبت»، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورُفع عن الناس الوباء.

وقال محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن شهر بن حوشب، عن رابة، رجل من قومه: وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، وكان قد شهد طاعون عمواس. قال: لما اشتعل الوجع، قام أبو عبيدة في الناس خطيبًا، فقال: «أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة منه حظه»، فطعن، فمات.

واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيبًا بعده، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع

رحمة بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذ يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب ظهر كفه، ثم يقول: ما أحب أنَّ لي بما فيك شيئًا من الدنيا.

فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص، فقام فيهم خطيبًا، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال. فقال أبو وائل الهذلي: كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ، وأنت شر من حماري هذا. فقال: واللهِ ما أردُّ عليك ما تقول، وأيمُ الله لا نقيم عليه. قال: ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا، ودفعه الله عنهم. قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص، فوالله ما كرهه.

قال ابن إسحاق: ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، أمَّر معاوية على جند دمشق وخراجها، وأمَّر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها. وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا: لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم يُرَ مثلهما، وطال مكثُه، وفنيَ خلق كثير من الناس، حتى طمع العدو، وتخوَّفت قلوب المسلمين لذلك. قلت: ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام، فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء، وطابت قلوب الناس بقدومه، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام، ولله الحمد والمنة.

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة، قال: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إني قد وليت عليكم، وقضيت الذي عليَّ في الذي ولَّاني الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجنَّدنا لكم الجنود، وهيَّأنا لكم الفروج، وبوَّأنا لكم ووسَّعنا عليكم ما بلغ فيئكم، وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمَّينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم. فمن علم منكم شيئًا ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله. قال: وحضرت الصلاة، فقال الناس: لو أمرت بلالًا فأذن؟ فأمره فأذَّن، فلم يبقَ أحد كان أدرك رسول الله ﷺ وبلال يؤذن إلَّا بكى حتى بلَّ لحيته، وعمر أشدُّهم بكاء، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره ﷺ.

وذكر ابن جرير في هذه السنة: من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد أن عمر بن الخطاب بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام وتدلُّكه بعد النورة بعصفر معجون بخمر، فقال في كتابه: إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه، كما حرم ظاهر الإثم وباطنه، وقد حرَّم مسَّ الخمر فلا تمسُّوها أجسامكم فإنها نجس، فإن فعلتم فلا تعودوا. فكتب إليه خالد: إنا قتلناها فعادت غسولًا غير خمر. فكتب إليه عمر: إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء، فلا أماتكم الله عليه، فانتهى لذلك.

قال سيف: وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضًا، فمات بشرٌ كثير وجمٌّ غفير، رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين. ■

المحور السابع:

الأبواب الثابتة

- **أخبار المسلمين في العالم.**
- **مع القرآن الكريم:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾
- **رياض الجنة: الإعجاز النبوي في أحاديث الطاعون.**
- **بحجة كورونا يريدون تعطيل شعائر العبادة في رمضان.**
- **كلمة ثانية: أزمة فيروس العالمية: الغرب ينتبه إلى أحقية تعاليم الإسلام.**
- **غلاف ثانٍ: خبراء: لن يبقى العالم كما هو بعد انتهاء الأزمة.**

صحيفة إسبانية: نصائح النبي محمد لمواجهة كورونا مذهلة

في إشارة إلى اهتمام متزايد في الغرب بالموروث الإسلامي الخاص بالنظافة الشخصية والعامة ومواجهة الأوبئة، نشر موقع صحيفة "ABC" الإسبانية تقريرًا ألقى فيه الضوء على "نصائح النبي محمد المذهلة" في مواجهة الأوبئة، والمنطبقة على الإجراءات التي ينصح بها اليوم للحد من تفشي فيروس كورونا المستجد، وأثار التقرير أصداء واسعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لا سيما بين المسلمين، ويأتي هذا التقرير أيضًا بعد تقرير في السياق ذاته نشره موقع مجلة "نيوزويك" الأميركية قبل أسبوعين، واعتبر الكاتب الإسباني "خوسه مانويل نيفز" أنه من المذهل أن النبي محمد، الذي عاش قبل أكثر من ١٣٠٠ عام، والذي كان أميًا ولا يتمتع بأي تدريب علمي بحسبه "كان يعرف بالفعل، خطوة بخطوة، ما يجب فعله أثناء الوباء".

كيسنجر يدق ناقوس الخطر... جائحة كورونا ستغيّر النظام العالمي للأبد.

أدلى وزير خارجية أميركا الأسبق المفكر الاستراتيجي والخبير في السياسة الدولية، اليهودي الأصل هنري كيسنجر دلوه في تداعيات فيروس كورونا العالمية، فذكر في مقال بصحيفة وول ستريت جورنال داقًا ناقوس الخطر محذرًا القيادة الأميركية من أن يأخذ منها أحد مركز القيادة، ومما جاء في مقاله: "تتماسك الأمم وتزدهر عندما يمكن أن تتنبأ مؤسساتها بالكارثة، وتوقف تأثيرها وتستعيد الاستقرار". مضيفًا: "الحقيقة هي أن العالم لن يكون كما كان بعد الفيروس التاجي" ودعا المسؤولين إلى الحفاظ "على ثقة الجمهور في قدرة الأميركيين على إدارة أنفسهم... وإطلاق مشروع موازٍ للانتقال إلى نظام ما بعد الفيروس التاجي" للاستمرار في قيادة العالم. فـ"تأثيرات الفيروس التي تذوب في المجتمع لا تعترف بالحدود". ويقصد أن تداعيات التفكك الاجتماعي سيصيب دول العالم من غير فرق. ومتوقعًا في حال عدم إيقاف تاثير الفيروس والتغلب عليه فسينتج ذلك "اضطرابات سياسية واقتصادية قد تستمر لأجيال لا يمكن لأي دولة، ولا حتى الولايات المتحدة، أن تتغلب على الفيروس في جهد وطني محض. يجب أن تقترن معالجة ضرورات اللحظة في نهاية المطاف برؤية

وبرنامج تعاونين عالميين. وإذا لم نتمكن من القيام بالأمرين معًا، فسوف نواجه أسوأ ما في كل منهما". وأوضح أنه "من خلال استخلاص الدروس من تطوير خطة مارشال ومشروع مانهاتن، تلتزم الولايات المتحدة ببذل جهد كبير في ثلاثة مجالات... دعم المرونة العالمية تجاه الأمراض المعدية، السعي لشفاء جراح الاقتصاد العالمي، وحماية مبادئ النظام العالمي الليبرالي."

ورأى أن "ضبط النفس ضروري من جميع الجوانب... في كل من السياسة الداخلية والدبلوماسية الدولية، ويجب تحديد الأولويات" وختم قائلًا: "نحن نعيش فترة تاريخية، التحدي التاريخي للقادة هو إدارة الأزمة وبناء المستقبل، الفشل يمكن أن يحرق العالم".

الوعي: إن كيسنجر في هذا التصريح إنما يدق ناقوس الخطر لدولته خوفًا عليها من فقدانها لمركزها قي قيادة العالم، وينصحها للمحافظة على مركزها بنصائح تمس القشرة لا اللب، فلو لم تكن الرأسمالية تعاني من أزمة وجود وفشل حضارة لما تكاثرت التصريحات والتحليلات التي تنذر بقرب انهيار النظام الدولي جراء هذا الفيروس، فالفشل في معالجة الفيروس هو فشل حضارة وليس فشل علاج فيروس. وفي عالم المنافسة الدولية الذي لا يرحم، فإن الغرب وعلى رأسه أميركا سيزداد سقوطًا ولكن كل ما سيسفر عنه أنه قد تنجح الصين في جعل النظام الدولي الجديد ثنائي القطبية، ولكن العالم كنظام حياة لهم لن يتغير منه شيء. الحل منوط بأن يقوم نظام عالمي جديد بمفاهيم جديدة صحيحة عن الحياة، ولا يوجد إلا المبدأ الإسلامي من يستطيع أن يملا هذه الثغرة.

إقبال الأميركيين على شراء السلاح أكثر من إقبالهم على شراء مواد التعقيم

يسيطر الهلع على الشعب الأميركي من فيروس كورونا المستجد، وقد تجلى الهلع ليس في شراء مواد الحماية من مواد التعقيم والكمامات والقفازات الطبيَّة والمواد الغذائية فحسب، بل بما هو أهم من ذلك، ألا وهي الأسلحة النارية. فقد بيعت ٢,٨م مليون قطعة من السلاح بنسبة ٣٦٪ زيادة عن مبيعات الأسلحة في شهر يناير (كانون الأول) وتُعد من أكبر عمليات البيع التي تشهدها الولايات المتحدة منذ أربعة أعوام، والمثير في تلك الزيادة أن أغلب المشترين هم أشخاص يمتلكون سلاحًا ناريًّا للمرة الأولى في حياتهم. ورصدت بعض الصحف الأميركية أن بعضًا من المشترين كانوا من رافضي اقتناء السلاح الناري، لكنّهم خضعوا للتوجه العام ولحالة الذعر المسيطرة على الغالبية. وهذا ما رفع أسهم شركات السلاح الأميركية. والملاحظ أن غالبية الواقفين في الطوابير المتراصة أمام متاجر الأسلحة أنهم ذوو ملامح آسيويَّة. وقد صرَّح العديد منهم بأنهم جاؤوا لشراء السلاح خوفًا من رد الفعل العنصري الذي يتوقعونه بسبب ربط انتشار الفيروس لدى غالبية الأميركيين بالمواطن

الآسيوي، كون الفيروس قد انطلق من الصين الآسيويَّة، وقد تعرض البعض منهم في الآونة الأخيرة لهجمات متفرقة، تنتهي بمقولة تكاد تكون ثابتة: "لا نريد كورونا في بلادنا". كما أن القيادة الأميركية ذاتها لم تستخدم كثيرًا مصطلح فيروس "كورونا"، أو المصطلح العملي "كوفيد-١٩" بل استخدم ترامب ووزير خارجيته، مايك بومبيو "الفيروس الصيني" أو "فيروس ووهان". هذا ويفضل المشترون الأسلحة الأتوماتيكية متعددة الطلقات ويرون أنها الأنسب للدفاع عن النفس وحماية عائلاتهم من هجماتٍ يبدو أنهم متأكدون من أنها سوف تحدث في لحظةٍ ما. ويزداد الطلب على السلاح مع كل زيادة تسجلها الولايات المتحدة في عدد المصابين بالفيروس. من هنا فإن الأميركيين يخشون بعضهم بعضًا أكثر من خشيتهم من كورونا. وهناك توجه عام لدى الأميركيين وهو أنهم لا يثقون أن الدولة ستحميهم، والتقارير المختلفة تفيد أن رضى الأميركيين عن الكونجرس وإدارته لمشكلات البلاد لم يتجاوز ٣٠٪ في آخر ١٠ سنوات. في فبراير ٢٠٢٠م كانت النسبة ٢٣٪.

إيطاليا تسجل أدنى مستوى بانخفاض المواليد منذ ١٦٠ عامًا

سجلت أحدث البيانات استمرار تنامي الأزمة السكانية في إيطاليا على ضوء التراجع غير المسبوق في أعداد المواليد منذ توحيد البلاد بالتزامن مع ارتفاع قياسي في الوفيات وزيادة أعداد المسنين والمقيمين الأجانب.

وذكر المعهد القومي للإحصاء [إيستات] في تقرير له أن إجمالي عدد المواليد الذين أضيفوا إلى سكان إيطاليا في العام الماضي تراجع إلى ٤٨٨ ألف مولودًا بما يقل بنحو ١٥ ألفًا عن عام ٢٠١٤م [بمعدل ٨ في الألف] مسجلًا أدنى مستوى تاريخي منذ أكثر من ١٦٠ عامًا. وكشف التقرير عن تراجع معدل الإخصاب الطبيعي إلى ١,٣٥ طفل في المتوسط للمرأة في عمر الإنجاب مقابل معدل بلغ ١,٣٩ طفل للمرأة العام الماضي، و١,٤٢ في عام ٢٠١٠ بينما ارتفع متوسط عمر المرأة الايطالية عند الانجاب الى ٣١,٦ سنة. في المقابل بلغت الوفيات مستوى الذورة لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لتصل إلى ٦٥٣ ألف حالة وفاة [بمعدل ١٠,٧ بالألف] بزيادة مفاجئة بلغت ٥٤ ألف وفاة تعادل ارتفاعًا قدره ٩,١ بالمئة عن عام ٢٠١٤م وتركزت معظمها في الشريحة العمرية بين ٧٥ و٩٥ سنة. وفي السياق نفسه، أشار التقرير إلى انخفاض معدل العمر المأمول عند الميلاد لدى الإيطاليين في العام الماضي من ٨٠,٣ سنة إلى ٨٠,١ سنة للرجال، ومن ٨٥ سنة إلى ٨٤,٧ سنة للنساء مقارنة

بعام ٢٠١٤م. وبناء على هذه البيانات انخفض إجمالي سكان إيطاليا المسجَّل في الأول من يناير/ كانون الثاني ٢٠١٦م [بمعدل ٢,٣ في الألف] إلى قرابة ٦٠,٧ مليون نسمة، فيما تراجع عدد المواطنين الإيطاليين إلى ٥٥,٦ مليون، وزيادة المقيمين الأجانب إلى أكثر من خمسة ملايين مقيم فباتوا يمثلون ٨,٣ بالمئة من إجمالي السكان.

الوعي: كان هذا التقرير قبل تفشي فيروس كورونا ، وهذا من الأمارات الدالة على فشل المبدأ الرأسمالي وعقمه وذبول مجتمعاته.

هل يسرِّع فيروس كورونا تفكك الاتحاد الأوروبي

كشف فيروس كورونا هشاشة الاتحاد الأوروبي وهو يكاد يعصف به، ومع انتشار فيروس كورونا، وتفشيه بشكل كبير جدًا في عدد من الدول الأوروبية كإيطاليا وإسبانيا من دون أي تحرك من دول الاتحاد الأخرى للإنقاذ، زادت وتيرة الحديث عن إمكانية خروج دول من الاتحاد كما فعلت بريطانيا وبالتالي تفككه.

- فقد صرح رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي أن الاتحاد الأوروبي قد ينهار بسبب تلك الجائحة، منتقدًا غياب خطة موحدة لمواجهة وباء كورونا، ودعا الاتحاد "إلى عدم ارتكاب أخطاء فادحة" في عملية مكافحة فيروس كورونا المستجد، وإلا "فإن التكتل الأوروبي بكامله قد يفقد سبب وجوده".

وحذر الرئيس السابق للمفوضية الأوروبية جاك دولور الذي شغل سابقًا منصب وزير الاقتصاد الفرنسي وترأس المفوضية الأوروبية بين ١٩٨٥ و١٩٩٥من أن "المناخ الذي يبدو سائدًا بين رؤساء الدول والحكومات وغياب التضامن الأوروبي يمثلان تهديدًا قاتلًا للاتحاد الأوروبي". وقد خرج عن صمته مطلقًا تحذيرًا قائلًا (الجرثومة عادت من جديد).

- رفضت ألمانيا ودول أوروبية أخرى مناشدة تسع دول من دول الاتحاد الأكثر تضررًا من أجل الاقتراض الجماعي من خلال سندات كورونا للمساعدة في تخفيف الضربة الاقتصادية للوباء، وقد تعامل الاتحاد الأوروبي مع مناشدة إيطاليا بإعطائها إمدادات طبية لمواجهة الجائحة التي تهدد وجودها وكأنها دولة أفريقية.

- جراء تفشي الوباء، قامت الدول الأوروبية تباعًا في غلق حدودها على بعضها. وبالرغم من

أن المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، قالت إن دول الاتحاد الأوروبي يجب أن لا تنعزل عن بعضها البعض وألا تُوقف حرية الحركة بينها، وبالرغم من تكرر الموقف نفسه من رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لين؛ فإن كلًّا من ألمانيا والدانمارك قامت بإغلاق حدود بلادها

- وافق قادة الاتحاد الأوروبي رسميًا، وعبر قمة هاتفية، على تبادل المعلومات الحقيقية حول المعدات اللازمة في معالجة الفيروس، لكن يبدو أن المكالمات الهاتفية لم تكن مجديةً، فبعد انتهاء إحدى المكالمات قررت فرنسا وألمانيا منع تصدير الكمامات الطبية للخارج، ووضع قيود صارمة على بيعها خارج الأراضي الوطنية. وتبعتهما رومانيا. ثم أعلنت المجر أن ١٢٠ ألف كمامة تم تعطيل وصولها لها واحتجازهم في ميناء هامبورج.

- لم يتوصل الاتحاد الأوروبي إلى إيجاد سياسة مالية مشتركة. فقد أعلن البنك المركزي الأوروبي أنه لن يكون خط الاستجابة الأول في تقديم الدعم المالي. كذلك أعلن أن الاستجابة الأولى يجب أن تكون سياسية ثم وطنية، ثم بعد ذلك يمكن مناقشة أمر خفض الفائدة أو تقديم دعم مالي للدول والسوق الأوروبية المشتركة.

- حذر رئيس مجموعة اليورو ماريو سنتينو، وزراء المال الأوروبيين من خطر "تفكك" منطقة اليورو نتيجة فيروس كورونا، وقال: "لا شك في أننا سنخرج جميعًا من الأزمة مثقلين بديون أكبر بكثير". وقال: "لكن هذا التأثير وتداعياته الطويلة يجب ألا يصبح مصدر تفكك.

- في حوار مع صحيفة "بيلد" الألمانية، عبر وزير الخارجية والاقتصاد الألماني السابق، الاشتراكي الديموقراطي زيغمار غابرييل، عن خشيته من أن يرى "أوروبا تتفكك".وأضاف "إن لم نكن مستعدين الآن لتقاسم ثروتنا لا أعلم ماذا سيحصل لأوروبا".

- أما رئيس البنك المركزي الهولندي كلاس نوت فتوجه إلى مارك روتي قائلًا "المنزل يحترق. يجب بذل جميع الجهود الآن لإخماد النار".

الوعي: إن أزمة فيروس كورونا ليست هي الأزمة الأولى التي تحدث بين أعضاء الاتحاد الأوروبي ولا يتوقع أن تكون الأخيرة، وهذا الاتحاد ينتظر يوم فرطه، فهناك علاقات متوترة بين أعضائه (دول الشمال الغنية مثل ألمانيا وهولندا... تمنع مساعدة دول الجنوب المثقلة بالديون مثل إيطاليا واليونان وإسبانيا...) وقد كان تجاوب الدول الغنية كارثيًا فيما يتعلق بالمساعدة على تغلبها على فيروس كورونا... إن أصدق ما يقال في الاتحاد الأوروبي إنه فعلًا يمثل قارة عجوزًا تنتظر يوم وفاتها، ولن يستطيع مبدؤها الرأسمالي أن ينقذها بل سيكون سبب سقوطها... عسى أن يكون التغيير الكوني القادم يؤذن فيه الله بإقامة الخلافة، فتكون هي المستفيد الأول مما يحدث هناك.

قال الله تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه

عطاء بن خليل أبو الرشته

أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي آمنوا بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله سبحانه كما بيَّناه سابقًا.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي التزموا الأحكام الشرعية وطبَّقوها على وجهها المبين في كتاب الله سبحانه وسنَّة رسوله ﷺ.

﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ هذا في باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته، فالصلاة والزكاة داخلتان في قوله سبحانه ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وذكرهن بعد ذلك للتنبيه على عظم فضلهما.

٤. في الآية الرابعة خطاب من الله سبحانه للمؤمنين أن يتَّقوا الله، أي يقوا أنفسهم عذاب الله بإقلاعهم عن الربا.

ثم يبيِّن الله سبحانه في آخر الآية أن الإسلام الذي تؤمنون به يوجب عليكم ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي قوا أنفسكم عذاب الله.

﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ أي اتركوا الربا الذي لم تقبضوه فلا تأخذوه بل رأس مالكم فقط، ومفهومه أن الذي قبضوه قبل التحريم لا يطالبون به.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ أسلوب في العربية لإثارة المخاطب وحثِّه على تنفيذ ما يطلب منه، فالخطاب بدئ للمؤمنين وانتهى بتذكيرهم أن الإسلام الذي آمنوا به يوجب عليهم ترك الربا، كما تقول لمن تريد إثارة نفسه (إن كنت رجلًا فافعل ذلك) وأنت مدرك أنه رجل، فكأنك تذكره برجولته وتقول له إن الرجولة توجب عليك فعل كذا.

٥. ثم بعد ذلك بيان وبلاغ من رب العالمين أنكم بين أمرين:

أ. أن تلتزموا أمر الله وتتوبوا عن الربا ولا تعودوا إليه، فإن لكم رؤوس أموالكم دون ربًا وتكونون بذلك لا تَظلمون ولا تُظلمون، فلا تَظلمون غرماءكم بأخذ الزيادة ولا تُظلمون من قبلهم فلا يردون إليكم رأس مالكم أو يماطلونكم به.

ب. أو تتيقَّنون وتعلمون أنكم بأخذكم الربا تكونون في حالة حرب مع الله سبحانه ورسوله ﷺ. وهو تهديد عظيم لآكلي الربا وبيان بليغ لفظاعة جريمة الربا، ومن يقدر على حرب الله ورسوله؟!

روي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يد لنا بحرب الله تعالى ورسوله، وكانوا قد طلبوا رباهم إلى بني المغيرة فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في بني عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وإخوة له كان لهم ربًا على بني المغيرة من بني مخزوم كانوا يداينون بني المغيرة في الجاهلية، وبعد الإسلام طلبت ثقيف ما كان لهم من ربا على بني المغيرة وكان مالًا عظيمًا، فقال بنو المغيرة: والله لا نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى ورسوله ﷺ عن المسلمين. فعرف شأنهم معاذ بن جبل ويقال عتاب بن أسيد - وكان واليًا من قبل رسول الله ﷺ بعد فتح مكة - فكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك فأنزل الله تعالى الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ

ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ فكتب رسول الله ﷺ بذلك: "**أن أعرض عليهم هذه الآية فإن فعلوا فلهم رؤوس أموالهم، وإن أبوا فآذنهم بحرب من الله ورسوله**"[1].

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها لما نزلت قالت ثقيف المقولة التي ذكرناها أولًا: لا يد لنا بحرب الله تعالى ورسوله ﷺ.

٦. بعد أن بيَّن الله سبحانه في الآية السابقة التحريم القاطع للربا وأن ليس لأهله إلا رؤوس أموالهم لا يظلمون ولا يظلمون، بعد ذلك ذكر الله سبحانه حالة تترتَّب على المطالبة برأس المال، فقد يكون المدين في حالة إعسار ولا يستطيع دفع رأس المال الذي اقترضه من الدائن.

هذه الحالة عالجتها الآية الكريمة بإمهال المدين المعسِر حتى يصلح حاله ويستطيع السداد، ثم يندب الله سبحانه الدائنين أن يصنعوا خيرًا من الإمهال فيضيفوا له عفوًا عن المعسر برأس المال أو جزء منه، وعندها يكون لهم حسن العاقبة في الدنيا والآخرة بما يحصلوا عليه من خير وأجر.

ولقد كان المدين المعسِر في الجاهلية يُباع أي يُسترق بسداد دينه، فكانت رحمة الله سبحانه بهذا الإسلام العظيم أن يمهل المدين المعسِر إلى يسار من أمره حتى يسدِّدَ دينه، ليس هذا فحسب بل حثَّ الدائنين على الصدقة على المعسر زيادة على الإمهال بوضع دينه كله أو بعضه عنه فالحمد لله رب العالمين.

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾ كان هنا تامة أي إن وجد مدين معسر فأمهلوه حتى يصبح في يسر يستطيع معه السداد.

﴿عُسۡرَةٖ﴾ أي ضيق الحال من جهة عدم المال ومنه جيش العسرة.

﴿مَيۡسَرَةٖۚ﴾ من اليسر واليسار أي وجود مال.

وباعتبار كان تامة يكون الإمهال ليس خاصًا في مدين الربا فقط عند مطالبته برأس المال إن كان معسرًا بل في كل مدين ما دام معسرًا فيمهل إلى اليسر.

ولو كانت خاصة بالمدين في رأس مال الربا فقط وليس في كلّ مدين لكانت الآية (وإن كان ذا عسرة) وفي هذه الحالة يكون اسم كان ضميرًا عائدًا على المدين المطالب برأس مال الربا، ولكن الآية ليست كذلك بل ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾ أي إن وجد مدين معسر وهذه تنطبق على كلّ مدين وصفه أنه معسر.

---

١ الدر المنثور: ١٠٧/٢، تفسير الطبري: ١٠٧/٣

ويؤكد القولَ السابقَ أن (ذو عسرة) نكرة في سياق الشرط فهي لفظ عام تعم كل مدين.

وهي وإن نزلت في الذين يتعاملون بالربا إلى أن جاء الإسلام فأبطله وأوجب رأس المال وحرم الربا كما قال الكلبي في روايته إنها نزلت حين قالت بنو المغيرة لبني عمير: نحن اليوم أهل عسرة فأخِّرونا إلى أن ندرك الثمر فأبَوا أن يؤخِّروهم، فنزلت وهذه تكملة قصة الربا الذي كان بين بني المغيرة وبني عمير التي ذكرناها في تفسير الآية السابقة، أي أنها نزلت في المطالبة برأس مال الربا الذي كان بينهم.

إلا أن العـبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكما قلنا فإنَّ ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لفظ عام، ولذلك فهي تنطبق على إمهال كل مدين معسِر سواء أكان في رأس مال الربا أم في غيره.

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ الفاء داخلة على جواب الشرط ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ ونظرة أي إمهال، وهي مبتدأ خبره محذوف أي فعليكم نظرة.

والإمهال هنا للوجوب وذلك لأن قوله تعالى بعده ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يفيد أن الأمر الأول ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ هو على الوجوب بدلالة ذكر ﴿تَصَدَّقُواْ﴾ بعده، وذلك لأن الأمر بشيء ثم اتباعه بتطوع في جنس هذا الشيء يكون قرينة على أن الأمر الأول للفرض كأن تقول (اكتب هذه الصفحة ثم تطوع بأخرى) فإن ذلك يعني أن الأمر الأول (اكتب هذه الصفحة) على الإلزام أي فرض بدلالة التطوع بعده كما هو مثبت في بحث القرائن في الأصول. والصدقة على المعسر فوق إمهاله هي إعفاؤه من الدين أو جزء منه.

ولا يقال إن ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ هو الإمهال، لا يقال ذلك لأنها عطفت عليه، وهذا يعني أنها زيادة عليه أي إمهال وشيء آخر كما تقول: أدِّ الزكاة وتصدق، فالمطلوب أداء الزكاة وشيء زائد فوقها أي صدقة تطوع زيادة.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جواب (إن) محذوف، أي إن كنتم تعلمون الخير الكثير والأجر الكبير الذي أعده الله سبحانه لمن يفرِّج عن المعسِر ويضع عنه شيئًا من دَيْنه، فإنكم ستسارعون إلى ذلك وهذا هو تقدير جواب (إن) الشرطية المحذوف.

أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق رِبْعِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْيَسَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ظِلِّهِ**» وفي رواية «**يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**».

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "**من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرِّج عن معسر**".

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "**من أنظر**

معسرًا أو وضع له وقاه الله من فيح جهنم"[٢].

ومن الجدير ذكره أن واقع المعسِر الذي يجب إمهاله فيه بعض الآراء الفقهية، والراجح لديّ أنه الذي لا يملك فضل مال زائد عن حاجاته الأساسية وهي المأكل والملبس والمسكن، لأن أعسر فلان: افتقر، فالمعسر الفقير والفقير من لم يكن عنده مال يكفي حاجاته الأساسية فإن زاد فليس فقيرًا وبالتالي ليس معسرًا وعليه فيجب إمهاله ما دام ماله لا يزيد عن حاجاته الأساسية.

وليس المقصود بالمعسِر الذي لا فضل مال لديه زائد عن حاجاته المعتادة، وحاجاته المعتادة هي المتعلقة بعيشه المعتاد مثل سيارته وخادمه وملابسه المتنوعة وطعامه وشرابه المتعدد، وهذه أكثر من حاجاته الأساسية وهي المطعم المحافظ على حياته والملبس الساتر لعورته والمسكن الذي يأوي إليه، وأما تنوع طعامه ولباسه فبالقدر الضروري الذي يمكنه من العيش، فإن ملك أكثر من حاجاته الأساسية كما ذكرنا من سيارة أو مسكن آخر أو أرض أو أي نوع من المال الزائد عن حاجاته الأساسية، فإن مطالبته بالدين دون إمهال تجوز في مثل هذه الحالات.

وله أن يقيم الدعوى القضائية عليه ويتقاضى دينه من تلك الأموال.

٧. وهذه الآية الأخيرة تذكير من الله سبحانه لنا باليوم الآخر والرجوع إلى الله فيه والحساب والعقاب حيث الجزاء العادل، فمن قدم خيرًا يجد خيرًا، ومن قدم شرًا يجد شرًا

﴿ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ ﴾ غافر/آية١٧﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾ أي قوا أنفسكم العذاب في ذلك اليوم بابتعادكم عن السيئات في الدنيا وإكثاركم من الحسنات.

ولعل الحكمة من وضع هذه الآية الكريمة بعد آيات الربا بيان عظم جريمة الربا، وأن الربا يؤدي إلى غضب الله وإلى جهنم، ومن أراد أن يتقي غضب الله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ ومن أراد أن يتقي عذاب يوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ من أراد فليترك الربا الجريمة الفظيعة ولا يدخل في حرب مع الله سبحانه ورسولهﷺ حتى يلقى الله سبحانه في ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبًا، وهو سبحانه عنه راضٍ، فيوفَّى أجره عند مليك عادل مقتدر. وهذه الآية هي آخر ما نزل من القرآن العظيم.

وأخرج البخاري في صحيحه قال: بَاب مُوكِلِ الرِّبَا ... ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: "آخر آية نزلت في القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى

٢ أحمد: ٣٢٧/١

ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾" قال ابن جريج: يقولون إن النبي ﷺ مكث بعدها تسع ليال وبدأ يوم السبت ومات ﷺ يوم الاثنين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين.

وأخرج ابن مردويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾.

وذكر القرطبي قال: روى أبو صالح عن ابن عباس قال: "آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ فقال جبريل للنبي ﷺ: **يا محمد ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة**"[٣].

وذكر القرطبي في رواية أخرى أنه ﷺ قال: "**اجعلوها بين آية الربا وآية الدين**"[٤].

ولا يتعارض هذا مع ما أخرجه البخاري عن ابن عباس: آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا.

وما أخرجه أحمد عن عمر أنه قال: من آخر ما نزل آية الربا.

وما رواه ابن ماجة وابن مردويه عن عمر أنه قال: من آخر القرآن نزولًا آية الربا، فإن الجمع بينها: إن آيات الربا نزلت ثم نزلت بعدها آخر آية وهي ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾ فلا تعارض، فَفَهْمُ الأحاديث على وجهها يكون بأنَّ آخر آية نزلت: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾، ومن آخر ما نزل آية الربا كما ذكر ذلك صراحة في رواية الإمام أحمد وابن ماجة وابن مردويه.

وأما ما ورد في البخاري بلفظ: آخر ما نزل آية الربا فهي تحمل على الروايات الأخرى: من آخر ما نزل، وتفهم كذلك على أن آيات الربا نزلت ثم نزلت بعدها آية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾ فيصدق القول إن آخر ما نزل آية الربا وآية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾.

وخلاصة ما سبق أن آخر آية نزلت هي: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾ ووضعت بأمر رسول الله ﷺ في موضعها في القرآن الكريم بعد آية الربا وعلى رأس ثمانية ومائتين من القرآن الكريم. ■

---

٣ تفسير القرطبي: ٣٧٥/٣

٤ تفسير القرطبي: ٣٧٥/٣

أحاديث الرسول ﷺ عن الأوبئة والحجر الصحي... وحي سبق العلوم البشرية

- روى البخاريُّ في صحيحِهِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» والمـُمْرِضُ هوَ الذي لهُ إبِلٌ مَرْضَى، والمصحُّ منْ لهُ إبلٌ صِحاحٌ، فيكونُ الرسولُ ﷺ قدْ نهى صاحبَ الإبلِ المريضةِ أنْ يوردَها على الإبلِ الصحيحةِ، وذلك حتى لا تقع العدوى.

- وقد سُئِلَ أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» رواهُ البخاريُّ.

- هذا وقد روى البخاري قصة عمر بن الخطاب في الطاعون الذي رواه عن أسامة بن زيد فقالَ: نَعَمْ. خرج عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، إلى الشَّأْمِ، حتَّى إذَا كانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأجْنَادِ، أبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأَصْحَابُهُ، فأخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لي المـُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وأَخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قدْ وقَعَ بالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قدْ خَرَجْتَ لأمْرٍ، ولَا نَرَى أنْ تَرْجِعَ عنْه، وقَالَ بَعْضُهُمْ: معكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأَصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَا نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ علَى هذا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لي الأنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الـمُهَاجِرِينَ، واخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لي مَن كانَ هَا هُنَا مِن مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِن مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ منهمْ عليه رَجُلَانِ، فَقالوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بالنَّاسِ ولَا تُقْدِمَهُمْ علَى هذا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ في النَّاسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ علَى ظَهْرٍ فأصْبِحُوا عليه. قَالَ أبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ: أفِرَارًا مِن قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِن قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أرَأَيْتَ لو كانَ لكَ إبِلٌ هَبَطَتْ واديًا له عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُما خَصِبَةٌ، والأُخْرَى جَدْبَةٌ، أليسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ - وكانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إنَّ عِندِي في هذا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إذَا سَمِعْتُمْ به بأَرْضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذَا وقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُمْ بهَا فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه قَالَ:

فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ.

- في الحَديثِ خُروجُ الإمامِ بِنفْسِهِ لِمُشاهَدةِ أحْوالِ رَعِيَّتِه. وفيه أنَّ مِنْ هَدْيِ الصَّحابةِ رَضِيَ الله عنهم تَلَقِّيَ الأُمَراءِ والمـُشاوَرةَ مَعهمْ، والاجْتِماعَ بالعُلَماءِ، وتَنْزيلَ النَّاسِ مَنازِلَهم. وفيه اجْتِنابُ أسْبابِ الهَلاكِ. وفيه أنَّ مِنْ هَدْيِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عدَمَ القدومِ على أرضِ الوَباءِ إذا سُمِعَ بِهِ فيها، وألَّا يُخرَجَ منها خَوفًا منه .

- وروى مسلمٌ عَنْ عَمْرو بن الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قالَ: إنهُ كانَ في وفدِ ثقيفٍ رجلٌ مجذومٌ، فأرسلَ إليهِ النبيُّ ﷺ: **«إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ».**

- وفي البخاري عنهُ ﷺ: **«فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنْ الأَسَدِ».**

- وروى أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون»،** قلت: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: **«غدة كغدة البعير، المقيمُ بها كالشهيد، والفارُّ منها كالفارِّ من الزحف»** وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الفارُّ من الطاعون كالفارِّ من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف»** رواه أحمد.

هذا الحديث يبين أن الأمراض والأوبئة للصابر عليها احتسابًا أجره الكبير، ويبين أن الشرع وضع للمسلمين قواعد الحماية الصحية، وأرشدهم إلى التصرف المناسب الذي ينجي المسلمين جميعًا، المصاب منهم وغير المصاب. وفي هذا حجر صحي للمصابين، وأمرهم أن يحتسبوا الأجر الكبير عند الله (أجر الشهيد) والهروب منه كَبيرةٌ من الكَبائِرِ ولا بُدَّ لها من تَوبَةٍ؛ لأنَّه قد يكونُ مُصابًا بالمَرَضِ فيَنقُلُه إلى مَكانٍ آخَرَ، ويَنشُرُ الوَباءَ فيَتَسبَّبُ في ضَرَرٍ بالغٍ للنَّاسِ مع ما في ذلك من الهُروبِ من قَدَرِ اللهِ مع سُوءِ الظَّنِّ باللهِ سُبْحانَه. هذا وقد جَعَلَ اللهُ للصَّبْرِ والاحتِسابِ أجْرًا عَظيمًا ،كما حذَّرَ من الانتِقالِ من مَكانِ الوَباءِ فعالَجَ الموضوع من جِهَةِ الطِّبِّ، ومن جِهَةِ الوازِعِ الإيماني... وفي هذا تشريع لنظام الحَجْرِ الصِّحيِّ؛ لتَحْجيمِ الوَباءِ. والإيمان بهذا يعطي اطمئنانًا للجميع بأن الأمر مقدَّر من الله. وأمرهم أن لا يتساهلوا به.

- روى أحمد والنسائي عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلّ، فِي الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ: إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا. وَيَقُولُ الْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ: إِخْوَانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مِتْنَا عَلَى فُرُشِنَا. فَيَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ، فَإِنْ أَشْبَهَتْ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَهُمْ»**

هذه الأحاديث النبوية، والتي هي وحي من الله تعالى، فيها إعجازٌ نبويٌّ تجلى في كشف وجود أمراض معدية، وفيها كيفية التصرف الشرعي الواجب تجاهها، وقد تجلَّى هذا الإعجاز النبويُّ أكثر ما تجلى في أنه ظهر سابقًا للطب في هذا الزمان في منع الشخص المقيم في أرض الوباء من أن يخرج منها حتى وإن كان غير مصاب... إن منع الناس من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون أمرًا واضحًا ومفهومًا؛ ولكن منع من كان في البلدة المصابة بالوباء من الخروج منها، حتى وإن كان صحيحًا معافى فهو أمر غير واضح العلة، بل إن المنطق والعقل يفرض على الشخص السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفرَّ منها إلى بلدة أخرى سليمة، حتى لا يصاب بالعدوى، ولم تعرف العلة في ذلك إلا متأخرًا، في العصور التي تقدم فيها العلم والطب، والذي جاء تفسيره أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملًا للميكروب، وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضًا، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثاره، كالحمى الشوكية، وحمى التيفود، والسل... بل وحتى الكوليرا والطاعون قد تصيب أشخاصًا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض، بل على العكس فقد يبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم ، ويكون مع ذلك ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء .

وهناك أيضًا فترة الحضانة، وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب وتكاثره في الجسد حتى يبلغ أشده، وفي هذه الفترة لا يبدو على الشخص أنه يعاني من أي مرض، ولكن بعد فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر - على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله - تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه .ففترة حضانة الإنفلونزا مثلًا هي يوم أو يومان، بينما فترة حضانة التهاب الكبد الفيروسي قد تطول إلى ستة أشهر، كما أن ميكروب السل قد يبقى كامنًا في الجسم عدة سنوات دون أن يحرك ساكنًا، ولكنه لا يلبث بعد تلك الفترة أن يستشري في الجسم .فمن الذي أدرى محمدًا ﷺ بذلك كله؟ ومن الذي علمه هذه الحقائق، وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب؟! إنه الوحي الإلهي الذي سبق كل هذه العلوم والمعارف؛ ليبقى هذا الدين شاهدًا على البشرية في كل زمان ومكان، ولتقوم به الحجة على العالمين، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بيِّنة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

بحجة كورونا يريدون تعطيل شعائر العبادة في رمضان

يأتي رمضان هذا العام على غير الوجه الذي اعتدنا أن نستقبله فيه، وعلى المسلمين أن يتنبَّهوا كثيرًا للأجواء الكئيبة التي يحاول من لا يريدون الخير لشهر الخير أن يكون المسلمون عليها، إنهم يحاولون أن يغيروا الوجه المألوف في عبادته بأن تكون مظاهر العبادة العامة الجماعية فيه خاوية: فتقوم وزارات الشؤون الدينية بأمر من حكوماتها في مختلف بلاد المسلمين بفتاوى معلَّبة، بالإضافة إلى استمرار إغلاق المساجد ومنع صلاة الجماعة فيها وتعطيل صلاة الجمعة من قبل... تقوم بحظر صلاة التراويح فيه التي كانت تضيق المساجد الكبرى عنها فتمتد صفوف الصلاة فيها إلى خارجها وتقفل لها الطرقات من حولها، وحظر الاعتكاف وجميع أشكال أنشطة الإفطار الجماعي، وحظر العمرة الخاصة في رمضان التي يحرص عليها المسلمون فيكون عديد المعتمرين أكثر من عديد الحجاج، لحديث الرسول ﷺ: «**فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً معي**». بل أكثر من ذلك يأتي الإعلام التافه ليخترع جدلًا حول فريضة الصوم نفسها، وهي هل يجوز للمسلم أن يفطر بسبب فيروس كورونا باعتبار أن حفظ الأنفس وصيانتها مقدم على أداء العبادات... وهكذا يهدف من لا يريد الخير للمسلمين أن يزيلوا عن رمضان صفة العبادة الجماعية، والاستعاضة عنها بالانكفاء في البيوت والاستسلام للمسلسلات التافهة، وجعل الفنانين والفنانات هم نجوم هذا الشهر الكريم، وهذا المنع والحظر إنما يخرج بقوانين من الدولة ويعطى صفة الإلزام... إن هؤلاء الذين بيدهم أمر المسلمين ويصدرون أوامر الحظر والمنع يسيرون دائمًا بالاتجاه المعاكس لما يشرعه الله، ولقد جاء هذا الفيروس وكأنه فرصة ينتظرونها ليأخذوا مثل هذه القرارات؛ حيث إن كل مظهر من مظاهر وحدة المسلمين كانت تؤرقهم، وكانوا لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا تجاهها حتى لا تكون الأمور مكشوفة ضدهم، كانوا يحاولون أن يلعبوا بميلاد القمر في أول كل رمضان من كل عام حتى لا يكون المسلمون على يوم صوم واحد ولا على يوم عيد واحد... إننا نذكر المسلمين أن دينهم دين أمة لا دين أفراد، ودين وحدة لا دين اختلاف، ودين دولة ودستور وقوانين ولا يجوز حصره بالعبادات ولا بالأخلاق...

إن على المسلمين أن يعوا تمامًا أن حكامهم ذئاب، وأينما يوجهونهم لا يأتون بخير. إن جائحة كورونا مرت في عهد الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب، وقد تعامل معها وكبارَ الصحابة تعاملًا إيمانيًا وملتزمًا بالأحكام الشرعية في الحجر الصحي... ولم يمنعهم هذا من إقامة كل شعائر العبادات ومنها الجهاد، على الوجه الذي لا يخالف أحكام الشرع... إن على المسلمين أن يأخذوا أمرهم بيدهم بحيث يكونون محتاطين من المرض، ولكن من غير أن تعطل لهم عبادة. وإذا كان للمرض ضرورات، فإن كل ضرورة تقدر بقدرها. فلا حظر عام، وفي الوقت نفسه لا إطلاق عام... وهنا ياتي دور العلماء الربانيين لا العلماء الرسميين علماء السلاطين... ■

أزمة فيروس العالمية: الغرب ينتبه إلى أحقية تعاليم الإسلام

في تقرير للباحث الأميركي كريج كونسيدين نُشر في ٢٠٢٠/٠٣/٢١م، بمجلة "نيوزويك"، ونشرته «الخليج أونلاين» نقل فيه عن الدكتور أنتوني فوسي عالم المناعة، والدكتور سانجاي جوبتا المـراسل الطبي، قولهما: إن «التزام النظافة الصحية والحجر الصحي أو ممارسة العزل الاجتماعي عن الآخرين أملًا في الحيلولة دون انتشار الأمراض المعدية تُعد أكثر التدابير فاعلية لاحتواء تفشي وباء فيروس كورونا المستجد" وسأل هذا الباحث سؤالًا: «هل تعلمون من الذي أوصى بالتزام النظافة والحجر الصحي الجديد أثناء تفشي الأوبئة؟» وأجاب بنفسه قائلًا إنه: «نبي الإسلام مُحمد، قبل ١٤٠٠ عام". ورأى الكاتب أنه «على الرغم من أنَّ نبي الإسلام ليس خبيرًا تقليديًا بالمسائل المتعلقة بالأمراض الفتاكة، فإنه كانت لديه نصيحة جيدة لمنع ومكافحة تطور الأوبئة مثل فيروس كورونا المستجد" وقال إن النبي محمد قد أوصى بعزل المصابين بالأمراض المُعدية عن الأصحاء، وحثَّ البشر على التزام عادات يومية للنظافة قادرة على حمايتهم من العدوى، مستعرضًا عددًا من الأحاديث النبوية المتعلقة بالنظافة، منها، والكلام له مترجَمًا: «محمد قال: إذا ما سمعتم بانتشار الطاعون بأرض ما، فلا تدخلوها، أما إذا انتشر الطاعون في مكان خلال وجودك فيه فلا تغادر هذا المكان» وقال أيضًا: المصابون بأمراض مُعدية يجب إبقاؤهم بعيدًا عن الآخرين الأصحّاء» وتابع: «في حال مرِض شخص ما، فإن النبي محمد "بالفعل سيُشجعهم على السعي للحصول على العلاج الطبي والأدوية". واستشهد بالحديث النبوي الشريف والقول كذلك له مترجَمًا: «قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا؛ فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، إلا داءً واحدًا»، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال، "الهرم". وقال الكاتب إنَّ نبي الإسلام كان حكيمًا في الموازنة بين الإيمان والعقل. ووفقًا للتقرير، فإنَّ منع الناس من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون أمرًا واضحًا ومفهومًا، ولكنَّ منع من كان فيها من الخروج منها إن كان صحيحًا معافًى كان أمرًا غير واضح التبرير في ذلك الوقت؛ حيث كان يُفترض بالشخص السليم الذي يعيش في بلدة الوباء أن يفرَّ منها إلى بلدة أخرى سليمة حتى لا يصاب بالعدوى، ولم تُعرف العلة في ذلك من أن حامل الميكروب قد لا يكون مريضًا أو تظهر عليه أعراض المرض إلا في العصور المتأخرة التي تقدم فيها العلم والطب.

الوعي: هناك وعي جماعي دولي بدأ يتولد في الفترة الأخيرة، وهو أن ما من أزمة عالمية تحدث اليوم إلا وحلها في الإسلام. ففي الأزمة المالية العالمية التي حدثت سنة ٢٠٠٨م، نُقل عن باحثين مختصين غربيين أن النظام المالي الإسلامي يمنع الوقوع بمثل هذه الأزمة أصلًا وهو يملك حلًا لها، ونادى بعضهم بـ»أسلمة وول ستريت». وها هي أزمة فيروس كورونا العالمية التي جعلت المسؤولين في مختلف دول العالم، ومنها أميركا ودول أوروبا، يتخبطون في المعالجات؛ ما أدى إلى انتشار الفيروس وانتشار الموت معه؛ ما دفع بعض من ليسوا من المسلمين لأن ينتبهوا إلى تعاليم الإسلام والنبي ﷺ، وهذا ما يؤكد حاجة العالم الماسَّة للإسلام لحل أزماته، ويلفت إلى أحقية الإسلام، وهذا يبرز في هذه الفترة من التاريخ التي يعتبر كثير من المحلِّلين الاستراتيجيين أنه زمن تغيير كوني. ■

خبراء: لن يبقى العالم كما هو بعد انتهاء الأزمة

استمزجت مجلة "فورين بوليسي" آراء عدد من الخبراء حول العالم عن التحولات التي ستطال العالم بعد وباء كورونا وخرجت باحتمالات أهمها أن العالم سيتغير بعدها، ومن هؤلاء:

- الدبلوماسي الأميركي السابق **ريتشارد هاس**، رأى أن معظم الحكومات ستنكفئ على الداخل، وتبحث عن اكتفائها الذاتي، وستكون الحكومات معادية للهجرة، فيما ستصبح الدول الفاشلة أكثر فشلًا. وعن العلاقات الأميركية الصينية، قال إن الأزمة ستضيف مزيدًا من الأزمات، وستؤثر على التكامل الأوروبي.

- الدبلوماسي الأميركي، **نيكولاس بيرنز**، قال إن التداعيات الاقتصادية للأزمة «قد تفوق الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨م، ويمكن أن تغير بشكل دائم النظام العالمي وتوازن القوى كما نعرفه... وإذا لم يستطع الاتحاد الأوروبي حماية مواطنيه الخمسمئة مليون فإن الحكومات الوطنية ستسترد المزيد من الصلاحيات من بروكسل».

- الأكاديمي ووزير الخارجية السنغافوري السابق **كيشور محبوباني**، قال إن الفيروس سيحوِّل العولمة المتمحورة حول أميركا إلى عولمة تتمحور حول الصين، قائلًا: «الشعب الأميركي فقد إيمانه في العولمة والتجارة الدولية مع أو بدون الرئيس ترامب، بينما الشعب الصيني لم يفعل. وبالتالي أرى أن الصين انتصرت».

- مدير معهد بروكنغز، الجنرال الأميركي، **جون ألين**، رأى أن الأزمة ستعيد تشكيل «هيكل القوة العالمي بطرق يصعب تخيُّلها. سيستمر الفيروس في الضغط على النشاطات الاقتصادية وزيادة التوتر بين الدول، وعلى المدى الطويل سيخفّض الوباء القدرة الإنتاجية للاقتصاد العالمي.

- أستاذ العلوم السياسية في جامعة برينستون **جون أيكينبري**، رأى أنه على المدى القصير «ستعطي الأزمة دفعة للقوميين ومناهضي العولمة وأعداء الصين في العالم الغربي. وكذلك للانهيار الاجتماعي. والأكلاف الاقتصادية التي تتضح يومًا بعد يوم ربما تشابه تلك التي وقعت ما بعد الأزمة المالية في ثلاثينات القرن الماضي". ولفت إلى أن العالم «قد يتجه إلى بناء نظام جديد».

- الدبلوماسي، والمستشار السابق في مجلس الأمن القومي الهندي، **شيفشانكار مينون**، رأى أن السياسات ستتغير بعد كورونا «سواء داخل الدولة أو بين الدول، وقال إن على المستوى الدولي هناك اتجاه إلى الانغلاق.

- قال الأكاديمي والسياسي الأميركي، **ستيفان والت**، إن الفيروس المستجد سينقل القوة والتأثير عالميًا من الغرب إلى ناحية الشرق بعد استدراك الصين لأخطائها، في حين كانت أوروبا وأميركا تتخبطان.

الوعي: هناك شبه إجماع لدى الخبراء والباحثين الدوليين حول الرأي القائل بتغيير النظام الدولي جراء فيروس كورونا، وهذا صحيح، ولكن كيف سيكون شكله فهذا فيه تخبط لديهم... ونحن نقول إن النظام الدولي الجديد لن يكون إلا كما بشَّر رسول الله ﷺ: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**». ■